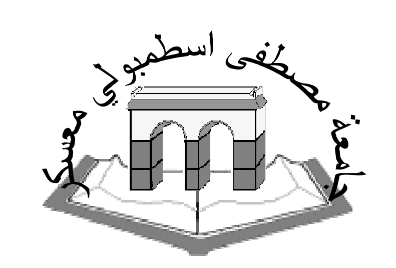
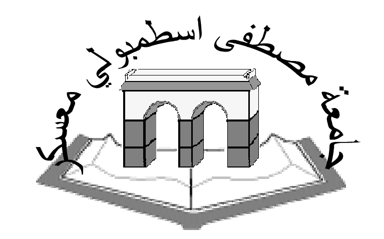


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.



جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم: العلوم الإنسانية.

السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين

(ق 13- 14م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط.

مشروع: الحوض الغربي المتوسط: تاريخ وحضارة.

تخصص: الغرب الإسلامي: تاريخ وحضارة.

إعداد الطالبة:

*أمال سالم عطية.

إشراف:

* أ.د. عبيد بوداود.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عمر بلبشير	أستاذ محاضر"أ"	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	رئيسا
أ.د. عبيد بوداود	أستاذ	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	مشرفا ومقررا
أ.د بودواية مبخوت	أستاذ	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	عضوا مناقشا
د.غازي الشمري	أستاذ محاضر"أ"	جامعة وهران أحمد بن بلة 1 وهران	عضوا مناقشا
د.سعدي شخوم	أستاذ محاضر"أ"	جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.نوال بلمداني	أستاذ محاضر"ب"	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1436-1437هـ/2015 -2016م

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

سورة الحجرات، الآية13.

إهــــداء

إلى ... والدَي الكريمين

إلى أفراد أسرتي ...

إلى كل الأحباب ...والصديقات

إلى كل من علمني حرفاً...

كلمة شكر وتقدير

اللهم أحمدك وأشكرك حتى ترضى، لِمَا أنعمت به عليَّ ، مِمَّا لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى، والصَّلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، تسليما كثيرا، وعلى آله وصحبه البررة الكرام أما بعد:

أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى الأستاذ الدكتور بوداود عبيد، لإشرافه على هذا العمل ، حيث كانت لتوجيهاته ونصائحه أبلغ الأثر في هذا البحث، كما أتوجه بخالص الشكر لرئيس مشروع الحوض الغربي المتوسط الأستاذ الدكتور ودان بوغفالة، كما يطيب لي أن أشكر جميع الأساتذة الذين ساهموا في تكويننا وأخص بالذكر: الدكتور عمر بلبشير، الدكتور عابد سلطانة، الدكتورة فاطمة بلهواري، وجميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر.

ولا يفوتني أن أشكر الدكتور مغزاوي مصطفى الذي قدم لي الكثير من المساعدة، والشكر موصل أيضا لأساتذة قسم التاريخ بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف.

كذلك أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين وافقوا على مناقشة هذه الرسالة فلهم مني التقدير والاحترام.

كما لا أنسى أن أشكر:

*عمّال المكتبة الوطنية الجزائرية.

*عمّال المكتبة الولائية بالشلف.

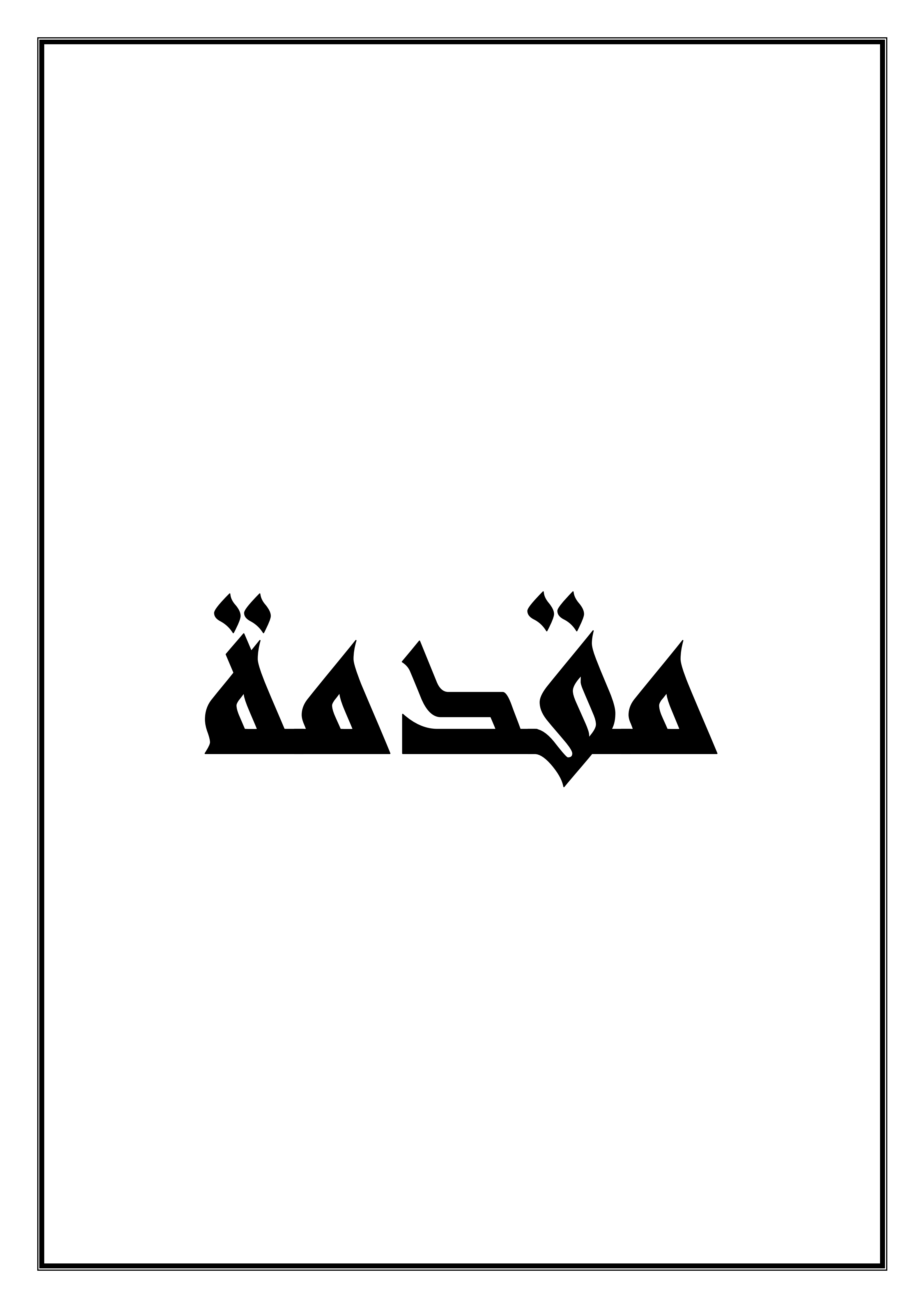
*عمّال مكتبة –جامعة الأمير عبد القادر– بقسنطينة.

*عمّال مكتبة –المدرسة العليا للأساتذة – ببوزريعة.

*عمّال مكتبة –أحمد بن بلة1– بوهران .

*عمّال مكتبة –الجيلالي اليابس – بسيدي بلعباس.

والشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.



مقدمة

تعد السفارات من أهم وأقدم الأنظمة السياسية التي عرفتها الدول، لأثرها الكبير في تمتين العلاقات السلمية والاقتصادية والثقافية، والمغرب الإسلامي على غرار بقية الدول عرف نظام السفارات واهتم سلاطينه بها من أجل توفير الاستقرار والسلم لتنظيم العلاقات فيما بينهم وبين الدول الأخرى خاصة منذ مطلع القرن السابع هجري (ق13م)، وهذا بعد سقوط الدولة الموحدية وانقسام المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول – الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة الحفصية في تونس- فكان تاريخ هذه الدول حافلا بالأحداث، والتي تراوحت بين الحرب والسلم فيما بينهم وبين جيرانهم من الدول، لهذا كان لابد من إيجاد وسيلة للحوار من أجل نبذ الحروب وعقد المعاهدات، ولما كان للسفارات دور كبير في تطوير وتعميق العلاقات السياسية والاقتصادية، كلف سلاطين المغرب الإسلامي السفراء لتمثيلهم، فاعتبر السفير حلقة الوصل لتحقيق أهدافهم، وجاءت هذه الدراسة بعنوان: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين(ق13-14م).

تتمثل الإشكالية الرئيسة للأطروحة فيما يلي: هل استطاعت دول المغرب الإسلامي من تأسيس دبلوماسية قوية في الغرب الإسلامي؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات من أهمها:

- ما هو الدور الذي لعبته السفارات في تمتين الروابط وتعزيزها بين دول المغرب الإسلامي، وبين دول العالم الإسلامي والنصراني ؟

- إلى أي مدى نجحت دول المغرب الإسلامي في استخدام السفارات والتعايش مع الدول المجاورة لها؟

- هل نجح حكام دول المغرب الإسلامي في استخدام الدبلوماسية لفرض الاستقرار في الغرب الإسلامي؟

ومن هذا المنطلق جاءت الدراسة لتبحث في التاريخ الدبلوماسي للمغرب الإسلامي وعلاقاته مع دول المنطقة والدول الأخرى، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التاريخية التي تبحث في العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي، إلا أن الجانب الدبلوماسي وتاريخ النظم السياسية لم ينل بعد القسط الوافر من البحث والتنقيب، لذلك جاءت الدراسة لرصد الجوانب المتعلقة بالنظم في المغرب الإسلامي، فالجانب المتعلق بكيفية اختيار السفراء واستقبالهم والظروف التي يتم إرسالهم فيها، والنتائج المترتبة على ذلك لازال يلفه الكثير من الغموض، لذلك انصبت الدراسة على الفترة الممتدة من بداية تأسيس دول المغرب الإسلامي من 627هـ/1230م إلى غاية أواخر القرن الثامن هجري (ق14م)، أين بلغت فيه دول المغرب الإسلامي أوج ازدهارها، وأصبحت كل دولة مستقلة ولها سياستها الخاصة، والتي شهدت فيها نشاطا كبيرا للعلاقات بينها وبين غيرهم من الدول، إضافة إلى أن جل ما ألف من المصادر يتحدث عن هذه الفترة .

وعلى هذا الأساس يمكن حصر أهمية موضوع الدراسة فيما يلي :

- معرفة أهم صفات السفير والشروط التي يجب أن تتوفر فيه.

- المشاكل التي كانت تعترض السفراء ومراسم استقبالهم.

- إبراز الدور الذي قام به السفراء من أجل حفظ الاستقرار بين دول المغرب الإسلامي وغيرها من الدول المجاورة لها.

- أثر السفارات في العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية.

- إظهار جهود العلماء والفقهاء في السفارة أثناء الحروب.

- أهمية السفارات في الحفاظ على المصالح الاقتصادية وحماية التجار، وكيف أثر ذلك في تطوير العلاقات الدبلوماسية.

أما عن الدراسات السابقة، فمن أهم الدراسات التي تناولت موضوع السفارة، دراسة الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم- المجلد السابع- إلا أنه تناول تاريخ المغرب الأقصى فقط وعلاقاته الدبلوماسية مع الدول دون التحدث عن تاريخ الدولتين الحفصية والزيانية .

وبالرغم من المكانة التي يتبوأها موضوع العلاقات السياسية في الدراسات الجامعية، فإن ما ألف عنها نجده متناثرا بين فصول بعض الرسائل والأطروحات الجامعية، منها أطروحة الدكتوراه للباحث: عبد الرحمن بالأعرج، والموسومة بـ:"علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والثامن الهجريين 7-9هـ/13-15م"، حيث خصص فصلا منها حول السفارات التي جمعت دول المغرب الإسلامي مع المماليك، وأطروحة دكتوراه أخرى في أصول الفقه بعنوان: "جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة(633-922هـ)" لسليمان ولد خسال، تطرق فيها لموضوع السفارات في مبحث واحد فقط.

فرضت طبيعة الموضوع استعمال المنهج التاريخي الوصفي وكذلك الاحصائي، للوقوف على حيثيات الأحداث وتطورات المشهد السياسي، وكذلك التحليلي لفهم وتفسير مختلف الظروف المحيطة بالأحداث التاريخية .

وقد قسمت موضوع الأطروحة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، ويجد القارئ في هذا البحث، بأن الفصول تتميز بعدم الوحدة حيث تناولت كل دولة على حدة، ثم تتبعت تطور السفارات على مر السنين، وإبراز أهدافها ونتائجها، وهذا التقسيم راجع إلى فتور العلاقات السياسية في الكثير من الأحيان لمدة قد تزيد عن عشرين سنة فكان لزاما تقسيمها على ذلك الشكل.

تناولت في الفصل التمهيدي مفهوم السفارة وما يتصل بها من تعريفات، ومشروعيتها من الكتاب والسنة، كما أبرزت أهم الشروط والصفات التي أولاها سلاطين المغرب الإسلامي أهمية، والتي يجب أن تتوفر في السفير، وأبرزت الوفد المرافق للسفارة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان السفارات بين دول المغرب الإسلامي الذي بدأته بالتحدث عن السفارات التي كانت قبيل القرن السابع الهجري، ثم تطرقت للسفارات التي جمعت دول المغرب الإسلامي فيما بينها أثناء الحرب والسلم، وبيّنت الدور الكبير الذي قام به العلماء، وفي نهاية الفصل تطرقت لأثر السفارات في الجانب الثقافي لهذه الدول.

والفصل الثاني جاء بعنوان السفارات بين دول المغرب الإسلامي وبين بني الأحمر، تحدثت فيه عن السفارات فيما بينهم وأسبابها وأثرها على العلاقات البينية. أما الفصل الثالث فجاء بعنوان السفارات بين دول المغرب الإسلامي والعالم الإسلامي والذي ينقسم إلى قسمين: الأول حول السفارات مع المشرق الإسلامي، والقسم الثاني مع السودان الغربي، أما الفصل الرابع فكان بعنوان السفارات الحفصية مع العالم النصراني، واقتصرت فيه على السفارات مع الجمهوريات الايطالية وقشتالة وأرغون وجنوة، وقد جاء منفردا بسبب المادة العلمية التي كان من الصعب حصرها ولما تقتضيه المنهجية العلمية، وختمت الفصل بجدول يبين السفارات المتبادلة بينهما، مع التعليق على الجدول في الأخير، أما الفصل الخامس فكان حول السفارات بين المرينيين والزيانيين والعالم النصراني، وختمت الفصل بجدول للسفارات المتبادلة ونتائجها على الجانب الاقتصادي والسياسي، ثم خاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات، وذيلت البحث بمجموعة من الملاحق التي تضم رسائل متبادلة بين سلاطين دول المغرب الإسلامي ونظرائهم من ملوك الدول المجاورة.

عرض وتقييم المصادر: من أجل دراسة هذا الموضوع استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع ومن أبرز المصادر:

أولا: المصادر التاريخية

-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون المتوفى عام(808هـ/1406م)، يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، خاصة القسم الثالث المتعلق بمختلف الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري، إضافة أن ابن خلدون تولى عدة مناصب هامة مكنته من الاطلاع على مختلف الوثائق الرسمية لدول المغرب الإسلامي،إلى جانب كان سفيرا في الكثير من المرات.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: ليحيى بن خلدون أبي زكرياء الإشبيلي المتوفى سنة (780هـ/1378م)، وتكمن أهمية هذا المصدر أن صاحبه عاصر فترة الدراسة، وما يهمني في هذا البحث القسم الثاني الذي يتضمن ثلاثة أبواب خصص الأول لذكر عهد يغمراسن وابنه أبي سعيد، ثم ثلاثة أمراء جاءوا من بعدهما، والثاني للحديث عن استيلاء بني مرين على تلمسان، ثم عهد أبي حمو موسى الثاني، ففي الباب الثالث تناول بالتفصيل الأحداث الواقعة على عهده من حرب وسلم[1].

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: لمؤلفه أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، كان بقيد الحياة أيام الملك المريني أبي سعيد الأول (710-731هـ/1310-1331م)، يؤرخ في كتابه لخمس دول منها دول المرابطين فالموحدين فبني مرين إلى أيام أبي سعيد الأول حيث يقف المؤلف عند سنة 726هـ/1326م، ما يميز كتاب ابن أبي زرع هو أنه عندما يؤرخ للدولة يذكر نسبها و قبائلها ومراحل تأسيسها،

[1] عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1،2011، ص191.

ثم يذكر سلاطينها، وما قاموا به من أعمال ثم يذكر في آخر الكلام عن الدولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية[1].

– **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية:** لمؤلفه أبي الحسن علي بن أبي زرع الفاسي الكتاب كما يبدو جليا من خلال عنوانه خاص بالدولة المرينية، وقد اعتمد المؤلف على ما شاهده وقيده وما رواه عمن يثق بهم من الأشياخ والثقات من أهل العلم بالتاريخ وأيام الناس والمعرفة بالأنساب[2].

–**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية:** لابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة(809هـ/1406م)، سمحت لي مادته المصدرية من استقاء الكثير من المعلومات الهامة عن الحكام الحفصيين، وما عرفته البلاد من حروب، وقد خص عهد أبي فارس بعناية أكثر، فركز على أهم الأحداث التي وقعت في عهده، مثل نقض البيعة من طرف سكان بجاية وقسنطينة وعنابة وبسكرة، يعتبر كتاب الفارسية من المصادر الأساسية حول العلاقات بين المرينيين والحفصيين رغم اختصارها[3].

– **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية:** للزركشي وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي التونسي الذي استمر بقيد الحياة حتى عام (894هـ/1488م)، تحدث فيه عن تاريخ بني حفص كما استعرض العلاقات القائمة بين دول المغرب، ويتناول أيضا أخبار عن بني زيان وبني مرين، إضافة إلى معلومات هامة عن تنظيمات الدولة والوظائف التي كانت على عهده.

– **صبح الأعشى في صناعة الإنشا:** للقلقشندي وهو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري المتوفى سنة (821هـ/1418م)، يعتبر صبح الأعشى كتاب شامل للكثير من الوثائق والرسائل السلطانية والدبلوماسية، وهو يتكون من أربعة عشر مجلدا، وقد استعملت في هذه الدراسة الجزء الأخير والجزء الثامن.

[1] عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص167-168.
[2] المرجع نفسه، ص 169.
[3] المرجع نفسه، ص215.

– **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**:لتقي الدين أحمد المقريزي المتوفى عام (845هـ/1442م)، يعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الدولة لمملوكية، وقد رتبه حسب السنين يعتبر هذا الكتاب مهم لفترة الدراسة حيث تمكنت من خلاله الترجمة لكثير من الشخصيات ومعرفة من كان يتولى رئاسة ركب الحجاج من المغرب الإسلامي إلى المشرق، وكيفية استقبالهم من طرف المماليك.

– **زهر البستان في دولة بني زيان**: لمؤلف غير معروف يؤرخ للدولة الزيانية في عهد أبي حمو الثاني، يتضمن الكتاب الكثير من الأحداث التاريخية المهمة، وذلك لأن المؤلف تحدث عن أحداث وقعت في عصره، وأغلبها وقعت بتلمسان وأحوازها، أو في قصر السلطان الزياني بالمشور، لهذا يعتبر مؤلفه شاهد عيان، إذ يعتبر كتاب زهرة البستان من المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في البحث في تاريخ المغرب الإسلامي.

–**واسطة السلوك في سياسة الملوك**: لأبي حمو موسى الثاني المتوفى عام (791هـ/1389م)، الذي احتوى على أرائه السياسية، وهو من المصادر التي أفادتني في جوانب الموضوع فقد أورد الكثير من النظم التي يجب التعامل بها مع الدول، ومنها كيفية اختيار السفراء.

مؤلفات لسان الدين بن الخطيب(ت 776هـ/1374م) وقد اعتمدت على مؤلفاته التالية:

– **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**: الذي يضم قسمان هما عبارة عن مجموعة من الرسائل السياسية المتعلقة بالشؤون الأندلسية والمغربية، وعددها خمس وعشرون رسالة من إنشاء لسان الدين بن الخطيب بعث بها كل من يوسف الأول سابع سلاطين بني الأحمر، ثم ابنه الغني بالله محمد الخامس ثامن هؤلاء السلاطين إلى معاصره بالمغرب السلطان أبي عنان فارس بن أبي

الحسن، وهي رسائل تمثل في مجموعها العلاقات الدبلوماسية التي كانت قائمة بين مملكة بني الأحمر بغرناطة ومملكة بني مرين بفاس يومئذ خلال القرن الثامن الهجري[1].

-ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: يتضمن مجموعة كبيرة من الرسائل السلطانية والسياسية في غاية الأهمية عن العلاقات السياسية والأدبية بين العدوتين المغربية والأندلسية.

ثانيا: كتب الرحلات.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة(ت770هـ/1368م)، قدم لنا ابن بطوطة في كتابه حوصلة لما شاهده، وهو مصدر مهم لتأريخ الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد التي زارها، ومنها بلاد المغرب الإسلامي[2].

- فيض العباب وإفاضة كتاب قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: لمؤلفه النميري الغرناطي المعروف بابن الحاج المتوفى بعد سنة (774هـ/1372م)، والكتاب يتحدث عن الرحلة التي قام بها السلطان المريني أبو عنان المريني التي كانت مليئة بالأحداث السياسية و الاقتصادية والثقافية.

- ثالثا: كتب التراجم.

- الإحاطة في أخبار غرناطة: يعتبر من أشهر مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب، وهو من المصادر المهمة في التاريخ الأندلسي عامة، وتاريخ غرناطة خاصة، كما يتضمن تراجم وافية لكثير من أعلام المغرب الإسلامي الذين دخلوا مدينة غرناطة[3].

[1] عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 154-185.
[2] المرجع نفسه، ص175-176.
[3] نفسه، ص180-181.

– **المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن:** لابن مرزوق الخطيب أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد العجيسي المتوفى بالقاهرة عام(781هـ/1380م)، يتناول الكتاب سيرة السلطان أبي الحسن المريني الذي تولى الحكم سنة731هـ/1330م، ومآثره في شتى الميادين، يتضمن الكتاب جملة من الأخبار المتعلقة بالتطور السياسي لدولة بني مرين على عهد أبي الحسن المريني[1].

– **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان:** لابن مريم المليتي المديوني المتوفى على الأرجح بين عامي (1025–1028هـ/ 1616–1619م) ويعتبر من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها، الذي ترجم للعديد من العلماء الذي ترددوا على حواضر المغرب الإسلامي، والذين كان للبعض منهم دورا في النشاط الدبلوماسي في المنطقة.

– **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزريها لسان الدين بن الخطيب:** لأبي العباس أحمد المقري المتوفى سنة (1401هـ/ 1631م)، ويكتسي هذا الكتاب أهمية خاصة في موضوع العلاقات التي جمعت العدوة الأندلسية بالمغرب الإسلامي، والرسائل التي تم تبادلها بين دول المغرب الإسلامي والدول المجاورة، كما يحتوي على تراجم الكثير من الشخصيات.

رابعا: المصادر الأجنبية.

أما المصادر الأجنبية فقد اعتمدت على كتاب (Traités de paix et de commerces) لماس لاتري (Mas latrie) الذي احتوى على عدد من رسائل ووثائق أرشيف أرغون، التي تتناول موضوع معاهدات الصلح والتجارة بين دول المغرب الإسلامي والجمهوريات الايطالية، وتضمن الكتاب في نهايته تصنيفا بيبليوغرافيا لجميع الرسائل.

[1] عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 183

خامسا: المراجع.

ومن المراجع المهمة التي اعتمدت عليها خاصة في الفصل الرابع، كتاب تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لروبار برنشفيك، الذي جمع فيه صاحبه الكثير من المصادر والمعاهدات التي لم تصل إلينا المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية، كما اعتمدت على دراسة مهمة لأحمد عزاوي بعنوان" العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة-الغرب الإسلامي والغرب المسيحي-" جمع فيه المؤلف العدد الأكبر من المعاهدات بين ضفتي دول الحوض الغربي للمتوسط.

واجهتني خلال البحث مجموعة من الصعوبات التي تعترض أي باحث يقدم على ميدان البحث في التاريخ أو غيره من العلوم متعلقة بطبيعة الموضوع بسبب اتساع المجال الجغرافي، وقصر المدة الزمنية للبحث هذا من جهة، ومن جهة أخرى السفارات المتبادلة بين دول المغرب الإسلامي حملت معها الكثير من الرسائل السياسية التي كانت تطلب من السفير نقلها شفهيا خوفا من وقوعه في يد خصومهم، لذلك في الكثير من المرات لا نعلم هدفها ولا النتائج المترتبة عنها، وكذلك صعوبة الحصول على المصادر التي أغلبها مازال متواجدا بالمغرب الأقصى وتونس ولم يتسن لي الاطلاع عليها.

الفصل التمهيدي: مفهوم السفارة والسفير.

أولا:مفهوم السفارة لغة واصطلاحا.

1-السفارة لغة.

2-السفارة اصطلاحا.

3-السفير.

ثانيا: مفاهيم حول السفارة.

1-الرسول لغة واصطلاحا.

أ-الرسول لغة.

ب-الرسول اصطلاحا.

2-الوفد.

3-البعثة.

4-ديوان البريد.

5-ديوان الرسائل.

ثالثا: طرق اختيار السفراء.

1-الصفات الشكلية.

2-الصفات الموضوعية.

3-أسباب علمية.

رابعا:معاملة الرسل والسفراء.

خامسا:مراحل عقد المعاهدة من طرف السفير.

1-المترجم.

2- الشاهد.

3-القاضي.

أولا: مفهوم السفارة لغة واصطلاحاً:

شهد المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين تنوعا في الروابط والعلاقات بين دوله والدول المجاورة له، فكان لا بد من نظام دبلوماسي لإضفاء صيغة رسمية لهذه العلاقات، وقد شكلت السفارة أهم صور هذا التواصل والحوار السياسي فيما بينها، والتي وردت في المصادر والرسائل الرسمية العديد من المصطلحات التي تشير إلى معناها.

1-السفارة لغة: مصدر من الفعل سفر، وهي بكسر السين وهي النيابة يقال: "سفرته بين القوم أي اصطلحت"[1]، وعرّفها أبو فارس والزمخشري على "أنها تدل على الانكشاف والجلاء، لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم. والسفر بين القوم سفارة إذ أصلح لأنه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف"[2].

وفي لسان العرب سفر أيضا بمعنى أضاء وأشرق[3]، وكذلك وردت اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ [38] ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**)[4].

---

[1] أبو زكريا النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د-ت، ج1، ص149./ ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 1986، ص 127.

[2] ابن فارس أحمد بن الحسن، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر لطباعة والنشر، 1979، ج3، ص82./ أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 457-458.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د-ت، مج1، ج23، ص2025./ الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص1005.

[4] سورة عبس، الآية 38-39.

2. **السفارة اصطلاحا:** المتتبع لمفهوم لفظ السفارة في اللغة لا يكاد يجدها تخرج عن مفهومها الاصطلاحي، ويراد بها إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة[1].

3- السفير: هو الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء، وقد سفر بينهم يسفر سفراً[2]، فسر القرطبي الآية 15-16 من سورة عبس (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ[15] كِرَامٍ بَرَرَةٍ [16])[3].

ثانيا: مفاهيم حول السفارة.

1- الرسول لغة واصطلاحا:

أ-الرسول لغة: "هو المرسَل الذي يتابع أخبار الذي بعثه، آخذا من قولهم جاءت الإبل رسلاً، أي متتابعة، وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسالة أي رسالة، فالرسول تعني الرسالة أيضا"[4]، جاء في القاموس المحيط: الإرسال، التسليط والإطلاق والتوجيه[5]، وفي المعجم المحيط معنى الرسل من الرفق والتودد يقال: "افعل كذا على رسلك..... ولا تعجل"[6].

ب-الرسول اصطلاحا: تختلف معاني الرسول بحسب العمل فربما كان صاحب رسالة سماوية كالأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وربما كان رسول لعقد صفقة تجارية وهو الوسيط التجاري أو

---

[1] عثمان بن جمعة ضميرية، السفارة والسفراء في الإسلام، د-م ، 2000، ص27.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، ص2025-2026.

[3] سورة عبس، الآية 15-16.

[4] هدى محمدي السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2008، ص91.

[5] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 1006.

[6] المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص344.

رسول يرسل بين ملكين في أمور خاصة من عقد صلح أو هدنة أو تحالف، فيمثل المرسل وكأنه هو ويتكلم باسمه[1].

2– الوفد: وهي تدل على الإشراف والطلوع[2] يقال: وفد فلان يفد وفادة إذ خرج على الملك أو أمير أي ورد رسولاً، فهو وافد[3]، وقد ورد مصطلح الوفد في قوله تعالى: (**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا**)[4]، وفي الحديث: *" وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ "* [5].

3– البعثة: ومعنى البعث الرسول والجمع بعثان وهم القوم المبعثون المشخصون ويقال بعث الجند ببعثهم بعثا أي وجههم وبعث البعير فانبعث أي حل عقاله فأرسله وبعثه بمعنى أرسله فانبعث[6]، وقد وردت كلمة البعث في قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**)[7] ، وقولة تعالى: (**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [8].

أما بالنسبة للسفراء الذين توافدوا على بلاد المغرب الإسلامي كان تمثيلهم مؤقتا، فبانتهاء المهمة التي وكلوا من أجلها في إبرام معاهدة صلح أو افتداء الأسرى، والتي أوردتها المصادر عن استقبالهم لمدة معينة ثم رجوعهم محملين بهدايا وكانت تتشكل السفارة من السفير والوفد المرافق معه، فإذا كان سلاطين المغرب الإسلامي اختاروا العلماء للقيام بالسفارة في المقابل استعمل النصارى القساوسة لتمثيلهم

[1] أحمد غالب محمد الخطيب، أحكام السفارة في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه في الفقه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005، ص27-28.

[2] ابن فارس، المصدر السابق، ص129.

[3] ابن منظور، المصدر السابق، مج6، ج54، ص4881.

[4] سورة مريم، الآية 85.

[5] أبو مسلم النيسبوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000، ص726.

[6] ابن منظور، المصدر السابق، مج1، ج4، ص307.

[7] سورة الجمعة، الآية02.

[8] سورة البقرة، الآية 56 .

الدبلوماسي، ففي عام 676هـ/ 1277م أرسل "الفونسو العاشر" سفارة تتكون من القساوسة والرهبان إلى السلطان المريني أبي يعقوب يوسف[1] .

4-ديوان البريد: عرف المغرب الإسلامي نظام البريد كوسيلة سريعة في توصيل الأوامر والأخبار إلى ولاتهم وكذلك إلى المماليك المجاورة لهم[2].

وبالتالي فإن مصطلح السفارة والرسول والموفد والبعثة والبريد، " ذات معنى واحد وتؤدي غرضاً واحد، كما أنها مصطلحات عربية أصيلة ليس فيها شيء من العجمة ما عدا كلمة بريد"[3]، والسفارة تؤدي معنى الدبلوماسية في وقتنا الحالي[4].

[1]أبو يعقوب المريني: هو الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر ولد سنة642هـ/1244م، يكنى بأبي يعقوب وتلقب بالناصر لدين الله، كان عهده عهد استقرار للدولة المرينية وتمكن من أن يوسع من حدود المغرب الأقصى ويخضع المغرب الأوسط وضرب حصار طويل على تلمسان، توفي مقتولا سنة 706هـ/1307م. ينظر: أبو الوليد ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، المغرب، 1962، ص 21./ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972، ص 327-328./أبو العباس الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار/ البيضاء، 1997، ج3، ص66-86./نظال الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني685-706هـ/ 1286-1306م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، 2004، ص16- 18.

[2] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980، ص149.

[3] عثمان بن جمعة، السفارة ، المرجع السابق، ص36-37.

[4]الدبلوماسية: أصل كلمة الدبلوماسية مأخوذ من الكلمة الإغريقية (دبلوما) ومعناها يطبق أو يطوي، بمعنى أن الوثائق الرسمية الصادرة عن رئيس الدولة التي ترتب لمن تمنح له امتيازا معينا كانت تعطى مطوية فسميت دبلوما، وأُطلقت اللفظة في روما على تصريحات المرور للرسل باسم مجلس الشيوخ أو الإمبراطور، ثم اتسع اللفظ ليشمل الوثائق الرسمية الأخرى وفي أواخر القرن السابع عشر أطلقت الدبلوماسية على الشؤون الدبلوماسية ودراسة المخطوطات وتحليل المعاهدات والإحاطة بالعلاقات الدولية، و تطلق كلمة الدبلوماسي على مبعوثي الدولة الذين يتولون مهمات خاصة إلى الخارج، قاسم خضير عباس، المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2009،1 ، ص17-18.

5-ديوان الرسائل: كان يختص هذا الديوان بالإشراف على الرسائل التي ترد من السلاطين أو الرسائل التي توجه من السلطان إلى الدول الأجنبية، وقد تطور هذا الديوان وكثر عدد من يعملون فيه، فأصبح له محفوظات خاصة يتولى العاملون فيه الإشراف عليها، وإلى جانب ديوان الرسائل ديوان الخاتم الذي بمثابة المكمل له[1]، ويشير القلقشندي أن ديوان الرسائل استبدل اسمه بديوان الإنشاء:" وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها وربما قيل ديوان المكاتبات، ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن"[2]، وتسمية ديوان الإنشاء استعملها يحي بن خلدون في تحديد ديوان الإنشاء في دولة أبي حمو موسى الثاني ، وقد امتاز هذا الديوان بأهمية كبيرة في الدولة إذ يعتبر صاحبه أقرب الناس إلى السلطان بعد الوزير[3]، أما الخاتم الذي كان يستعمل في آخر الرسالة يقول عنه ابن خلدون في هذا الشأن: " وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية، والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وبعده ...فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد أو الطين، ووضع على الصفح فتنتقش الكلمات فيه، ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه ...وقد يكون هذا الختم في أخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميد وتسبيح، أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب الكتاب ، يكون ذلك الخط علامةً على صحة الكتاب ونفوذه، ويسمى ذلل في المتعارف علامةً، ويسمى ختماً ..."[4].

كانت وظيفة حمل الرسائل تستند للسفراء، التي لا شك وفر لها السلاطين مختلف الوسائل المتاحة لتوصيل الرسائل، فقد استعملوا الحيوانات في تنقلاتهم في البر، وكتب التراث الإسلامي أوردت الكثير من

---

[1] عبد الرحمن محمد، الدبلوماسية الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، السعودية، 2006، ص215.

[2] القلقشندي، ج 1، ص90.

[3] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ت، ص176.

[4] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012، ص252-253.

الأسماء الجامعة للدواب التي كانوا يتنقلون بها[1]، مثل: الخيل والبراذين[2] والبغال، الذين يجدون في كل محطة يصلون إليها حصانا مسرجا يمتطيه للمحطة التي تليها[3]، أما في تنقله نحو المماليك فقد استعملوا السفن ولا ترد إشارات إن تم تكليف سفينة لتقله منفردا.

ثالثا:طرق اختيار السفراء:

لقد سبق المسلمون غيرهم في وضع قواعد وضوابط اختيار الرسل والسفراء المبعوثين[4]، التي سار عليها سلاطين المغرب الإسلامي في اختيار سفرائهم، حيث اختاروا سفراءهم من العلماء والفقهاء وكبار التجار أما النصارى اختاروا الرهبان والقساوسة، وهذه الصفات لا يستغني عنها السفير، وقمنا بتقسيم الشروط التي توفرها فيه إلى قسمين:

1- الصفات الشكلية:

لمظهر السفير الدور الكبير في نجاح مهمته، وهذا يبدأ باسم ولقبه السفير و صورته وحسن مظهره،[5] وبناء على ذلك نقسمها إلى:

[1]عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، دار ابن حزم، الرباط، ط1، 2010، ص143-144.

[2] البرذون : هو الخيل أو البغل الغير عربي، ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق محمد الفاضلي، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الجزائر، 2007، ص 103.

[3]لم يكن السفراء وحدهم المكلفين بنقل الرسائل، حيث كان يسند حمل الرسائل إلى رجال أقوياء مدربين على الركض والعدو. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص150.

[4]جمال سهيل، البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن11هـ/17م، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر،2010-2011، ص41.

[5] سهيل حسين الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص171.

أ- الاسم واللقب الحسن:

محبة الرسول عليه الصلاة والسلام للاسم الحسن مشهورة في السنة النبوية المطهرة[1]، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (*لَاعَدْوى ولا طِيرة وخَيرها الفَأْلُ قَيل يا رسُول الله، وما الفأل؟ قال: الكَلِمةُ الصَّالحة يَسْمَعُهاأحدُكُم*)[2].

وما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، ففي حديث عن عمر بن الخطاب أنه صلى الله عليه وسلم قال: "غير اسم عاصية، وقال أنتِ جميلة"[3]، ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أشيعوا الكنى فإنها منبه.ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق[4]، وقد أورد ابن الفراء عما جاء عن عمرو بن العاص أنه قال: "قالت الحكماء: ثلاثة تدل على ثلاثة الهدية على المهدي والكتاب على الكاتب، والرسول على المرسل"[5].

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون السفير أو الرسول جميل الاسم، فقد روي عنه قال:(*إذا أبردتم إليَّ بَرِيداً؛ فابعثُوه حَسَنَ الوجهِ، حَسَنَ الاسم*)[6].

---

[1]جمال أحمد جميل نجم، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008، السابق، ص44.

[2]أبو الحسين مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ص979.

[3]صحيح مسلم، ص 950.

[4]علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية ، ط3، 1986، ص44-48.

[5]ابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط3، 1993 ص38.

[6]أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995، ج7، ص367، 368.

ب– حسن الصورة:

حرص السلاطين أيضا أن يكون المظهر الخارجي للسفير لائقا حيث يجب أن"يتصف بحسن الصورة جميلا وأنيقا وأن تكون أعضاءه متكاملة ومتناسبة مع بعضها وأن يكون غير مصاب بعاهة أو تشويه لأن السفير معد لمقابلة الملوك والأمراء فلابد أن تكون صورته ما تبعث في النفس المسرة وتغرس فيها روح المحبة"[1]، ومما جاء عن أبي حمو الزياني أنه قال:" أن يكون السفير مليح الهيئة والصورة، فيه محاسن مشهورة"[2]، وقال أيضا أبو الفراء: "يستحب في الرسول تمام القد وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا. وإن كان المرء بأصغريه، مخبوءا تحت لسانه. ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان ولذلك ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " يُؤذن لكم، فيُقدم أحسنكم اسما، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجها، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم ... وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل؛ وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا تُنفذ واحدا إلى أمة، وفدا إلى جماعة، وشخصا إلى شخوص كثيرة. فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوقة إليه فلا تقتحمه، ويُشرف على تلك الخِلق المتصدية له فلا تستصغره"[3]، وهذا مصداقا لما قاله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق ذكره: (*إِذَا بَعَثْتُمْ إِلَيَّ بَرِيدًا فَابْعَثُوهُ* حَسَنَ الاسْمِ حَسَنَ الْوَجْهِ)[4]، لأن الوجه القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الأجمل اقرب وجاهة في الصدور أوسع[5] .

[1] سهيل حسين الفتلاوي، المرجع السابق، ص176.

[2] أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء، الجزائر، 2012، ص243.

[3] ابن الفراء، رسل الملوك، المصدر السابق، ص 47.

[4] أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ص 367، 368

[5] سهيل حسين الفتلاوي، المرجع السابق، ص178.

ج- النسب:

على الرغم من اعتناء العرب بأمر النسب، وفضلوا السفير ذا المحتد الكريم و الأصل النبيل على غيره، فالنبيل لا يصدر عنه إلا النبل[1]، فإننا نجد سلاطين المغرب الاسلامي لم يولوا اهتماما بالغا للنسب بل اكتفوا بأن يكون من أهل الوجاهة.

د- حسن المظهر أو اللباس الحسن:

يقصد بحسن المظهر أن يجتمع في الشخص نظافة الجسم والملبس، والتناسق في ألوان ملابسه ونوعيتها وملاءمتها لأذواق الناس وعاداتهم[2]، وقد جاء أنهم قالوا: "ينبغي أن يجمل السفير بكل ما أمكن، والعامة ترمق الزي أكثر مما ترمق الكفاية والسداد، وكانوا يعتنون بذلك، حتى أن إمبراطور بيزنطة دهش من كثرة تجمل سفير المعتصم إليه"[3]، روى أبو داود أن النبي قال لأصحابه وكانوا في سفر قادمين على أهليهم وإخوانهم:(*إِنَّكُم قَادِمُون على إِخْوانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُم وأَحْسِنوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُم شَامة في النَّاسِ فَإِن الله لا يَحِبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ*)[4]، وقد أمر الله تعالى على الناس أن يتطيبوا لقوله تعالى **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[5]، وفي تفسير الآية أنه لم يحرم الله

[1]أحمد غانم نجم، أحكام السفارة والفقه، المرجع السابق، ص125./ عبد الرحمن عنان، السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008-2009، ص55.

[2] سهيل حسين الفتلاوي، المرجع السابق، ص181.

[3] أحمد غانم نجم، المرجع السابق، ص131.

[4] سنن أبو داود، ج6، ص187.

[5] سورة الأعراف، الآية 32.

على العباد الزينة بل وسع علهم من الطيبات وجعلها لهم ليستعينوا بها لعبادته[1]، وقال تعالى: **(يَابَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ.)**[2].

وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: " *الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ: يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ* "[3]، ويبدوا أن سفراء المغرب الإسلامي لم يخرجوا عن هذا الإطار لأنها الصفات المتعارف عليها في تلك الفترة، على الرغم من عدم وجود إشارات تبين الملابس التي ارتداها السفراء، على الأرجح لا تخرج عن العُرف المتبع في تلك الفترة، إضافة أن سبب اختيار المظهر الجميل واللباس والاسم في الإسلام إلا من أجل نجاح مهمة السفير وأيضا يدل المظهر على مدى الاحترام الذي يكنه المرسل للمرسل إليه في اختياره شخص كامل الصفات.

2- الصفات الموضوعية:

-أسباب أخلاقية:

يعد منصب أو وظيفة الرسل من الوظائف الأساسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي، واعتبرت على غرار المناصب المهمة الأخرى كالحجابة والوزارة، وقد أولى السلاطين شروط يجب توفرها من يتولى السفارة، "فاعتبروا الأخلاق من أهم الشروط التي يجب أن يتميز بها السفير لإنها أخلاق الإسلام التي بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ووضع أصولها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته وصحابته الكرام في سلوكهم القائمة على الفضيلة والقيم، فأُعتبر صدق السريرة وحسن الخلق من أوكد

---

[1]عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص264.

سورة الأعراف، الآية 31.[2]

سنن أبو داود، ج6، 168.[3]

واجبات من يتولى السفارة"[1] ، وهذا مصداقا لقوله الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين) [2]، وقول عز وجل: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[3].

ولهذا نجد أن أغلب المصادر التي وقعت بين أيدينا تركز على الصدق والأمانة التي يجب أن تتوفر في السفير إذ يقول ابن رضوان:" فيجب عليك أن تختاره أرفع من بحضرتك عقلا وبصيرة وهيئة وأمانة، مجنبا لجميع الريب، فإن وجدته كذلك، فأرسل به وفوض إليه، بعد أن تعرف غرضك، ولا توصيه بما يأتي به، ...وإن لم يكن بهذه الصفة فليكن أمينا ثقة يقظا"[4].

وهو ما أوصى به أيضا أبي حمو ابنه قائلا: "أن يكون صادق القول حافظ على الأسرار، كاتما لجميع الأخبار"[5]، وأما الماوردي فيقول:" فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ظاهر النصيحة موثوق بدينه وأمانته مجربا منه حسن الاستماع والتأدية كتوما لإسرار عفيفا عن الأطماع غير منهمك في الهوامش والسكر والشرب"[6].

ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها السفراء القوة في قول الحقيقة حيث يقول ابن الفراء في هذا الشأن قائلا:" والرسول مع هذه الأمور محتاج من الإقدام والجرأة إلى مثل ما يحتاج إليه من الوقار والركانة،

[1] محمود شيت خطاب، سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1996، ج2،ص278.

[2] سورة التوبة، الآية 119.

[3] سورة البقرة: الآية 44.

[4]ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1984، ص 346.

[5] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص243

[6] الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق محمد خضير، مكتبة الفلاح، الكويت،ط1، 1983، ص276.

لأنه ليس كل الطبقات يشتد، ولا لكلّها يلين، وربما لم يسعفه إلا أن يصدع بالرسالة على ما فيها فمن لم يكن جريئا حرّفها، وأخل بها وأفسد معانيها"[1] .

3- أسباب علمية:

أ-الخطابة:

تعد الخطابة إلى جانب الإمامة من الوظائف الأساسية في المسجد، إلا أنها ارتبطت هي الأخرى بالسفارة وهذا مرده لكون الخطابة وظيفة إعلامية مهمتها الأساسية التأثير في الآخرين[2] ومن العلماء الذين تولوا الخطابة والسفارة: أبو محمد الحباك،[3] وابن مرزوق الخطيب[4].

ب-الفصاحة:

ومن المسلمات التي يجب توفرها في السفير، أن يكون فصيح اللسان ، ولهذا حرص السلاطين على توفرها في السفير إذ يقول أبي حمو عن السفير" فصيح اللسان حسن العبارة والبيان"[5] ، أما ابن الفراء فيقول:" اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك، رجلا حصيفا،

---

[1]ابن الفراء ، رسل الملوك، المصدر السابق، ص36.

[2]صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص162.

[3]أبو محمد الحباك: الفقيه القاضي الرئيس أبو محمد عبدون بن محمد الحباك، فقيه خطيب، حاجب الأمير أبي يحي يغمراسن بن زيان، وكان ذا رأي سديد وسياسة، يحي بن خلدون،ج1، المصدر السابق، ص163.

[4] ابن مرزوق الخطيب: هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب شمس الدين المشهور بالجد وبالخطيب، شارح الشفاء والعمدة في الحديث، نشأ في تلمسان ولد عام 710ه/1310، قام بعدة رحلات إلى المشرق وأخذ عن شيوخها، اتصل بأبي الحسن المريني وتولى خدمته وكذلك تولى الخطبة بجامع الحمراء بغرناطة، توفي مقتولا فاتح عام 776ه/1379م، أما ابن خلدون فيذكر أنه توفي في 781ه/ 1379م ، ابن مريم المليتي، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص،306-316./ التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة وضع هوامشه وفهارسه طلاب كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989، ص450، 455./ابن خلدون، العبر،ج7، ص 528- 532.

[5]أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص243.

بليغا حولا قُلّبا، قليل الغفلة منتهز الفرصة، ذا رأي جزل وقول فصل، ولسان سليط"[1]، كما أكد ابن رضوان على ذلك بقوله:" ...ذا بيان وعبارة بصير بمصادر الكلام، وأجوبته، مؤديا لألفاظ الملك، ومعانيها صادق اللهجة"[2].

ج- العلم بالنظم السياسية.

وهي التحصيل العلمي الذي يملكه العالم في الجانب الشرعي وتفقهه فيه، وهو ما حرص الإمام القلقشندي في كل مرة كان يستعرض فيها النظم السياسية التي يجب أن تتوفر في الكاتب[3]، إذ قال:" والكاتب الماهر يوفي كل مقام ويعطي كل الفصول المستحقة"[4].

وقد عمل بهذه النصائح سلاطين المغرب وهو ما نستشفه من خلال ما أورده صاحب زهر البستان عن السفارة التي ترأسها أبي القاسم ابن رضوان صحاب الإنشاء لأبي سالم السلطان[5]، "بعثه لتكملة الإشهاد على المولى أبي حمو مللك بني عبد الواحد... لأن ابن رضوان هذا ناظورة كتاب الأندلس والمغرب، وصاحب الإنشاء المطرب المعجب، بعثه سلطانه أبو سالم للمباهاة ولإعظام هذا المصالحة والموالاة لتقرب ذكائه وفطنته وتقربه منه ومكنته"[6].

---

[1]ابن الفراء، المصدر السابق، ص33.

[2]ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة، المصدر السابق، ص 346.

[3] سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ-922هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامع الجزائر، د-ت، ص374.

[4]القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج14، ص4.

[5]مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ج2، ص135-136.

[6]المصدر نفسه، ص135-136.

رابعا:معاملة الرسل والسفراء:

مع تطور العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع جيرانها من الدول، ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد خاصة لتنظيم الرسل والسفراء.

يقول الله تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ)**[1]، أي أنه منح الدين الإسلامي الأمان والحماية لهؤلاء السفراء لمجرد دخولها دار الإسلام، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى أو القتل أو المنع من أداء مهمتهم[2].وهو ما حافظ عليه أيضا سلاطين المغرب الإسلامي.

يتم هذا وفق مراسيم حيث يتم إرسال من يستقبل السفراء من طرف سلاطين المغرب الإسلامي، حيث استحدثوا منصب خاص في الدولة تتلخص مهام صاحبه في السهر على استقبال الوفود[3]، " ففي المغرب الإسلامي يتم استقبالهم في قصور السلاطين، لمدة ثلاثة أيام وبعدها يتم استدعائه من طرف السلطان لمعرفة سبب سفارته، فكان ذلك مدعاة لهيبة الدولة وعظمتها في نفوس ملوك وسلاطين الدول الأخرى، حتى إذا عادوا إلى أوطانهم تحدثوا بما رأوا"[4]، ويلاحظ أن بقاء السفير ثلاثة أيام، عملا بالسنة النبوية التي تقتضي بإكرام الضيف ثلاثة أيام، إذ قالρ:(*مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ*

[1] سورة التوبة، الآية 06.

[2] عبد الرحمن عنان ، السفارة ودورها، المرجع السابق، ص65-78.

[3] عمر راكة، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص117.

[4] المرجع نفسه، ص79.

جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)[1]، أما بنو نصر في غرناطة فقد أنشأوا بقصر الحمراء قاعة خصصت لاستقبال السفراء سميت هذه القاعة بقاعة السفراء[2].

وبعد معرفة حاجة السفير يؤمر له بهدايا يأخذها معه، وهو ما نستشفه من خلال ما ذكره صاحب البستان إذ يقول: " جاءه رسولا من المولى أبي حمو الملك الحازم، فاعد له خير دارٍ للكرامة، واحتفل به احتفالاً يليق بالإمامة، ثم وجّه من وجوه حضرته من يليق للقائه، وعمِل على راحته واحتفائه"[3]، ويقول في موضع آخر:" فأكرمهما أجمل إكرام، وقابلهما بما تقابل به الأرسالُ أُولي الإكرام. وعندما سلّما عليه أقبل عليهما إقبال السّارّ، وقال مرحبا برسولي خير الملوك الأحرار"، ثم إنه استحضرهما بعد ثلاثة أيام، وعمل لهما مجلس حفيلاً للكلام[4].

كما عرفت الدولة الإسلامية وسلاطين المغرب الإسلامي نظام الاعتماد، "فكان الخليفة يزود السفير بوثائق تصدر عن ديوان الإنشاء، وفيها التعريف بالسفير والغرض من سفارته، وكانت أوراق الاعتماد هذه تكتب باللغة العربية، وأحيانا يحمل السفير ترجمة بلغة البلد الذاهب إليه"[5].

---

[1] البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، مكتبة عباد الرحمن، مصر،2011، ص 740.

[2] حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس المفقود، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1985، ص 188.

[3] مجهول، زهر البستان، ج2، ص133.

[4] المصدر نفسه، ، ص135.

[5] عبد الرحمن محمد، الدبلوماسية الإسلامية، المرجع السابق، ص141.

خامسا:مراحل عقد المعاهدة من طرف السفير:

كانت المعاهدات التي تعقد بين المسلمين والنصارى تسمى" معاهدات هدنة"، سواء كانت معاهدة[1] سلام أو صداقة أو تجارة، ويحرر نص المعاهدة بلغة البلد الذي يصل إليه السفير، وتحفظ في نسختين مختومتين[2] باللغتين العربية واللاتينية، "ويتم توقيعها بختم السلاطين كضمان للتأكيد على صبغتها الرسمية، وكذا دوام صلاحية بنودها طيلة المدة المتفق عليها، إلى أن يتم تجديد بنود تلك المعاهدات أو تحريرها بحسب ما تقتضيه الظروف والمواقف في فترات لاحقة"[3].

1-المترجم: يعتبر المترجم الوسيط بين السفير الغير عربي والسلطان لعقد المعاهدات، وذكر-القس إنسلم تورميدا-المعروف بعبد الله الترجمان الأندلسي، الذي كان ترجمانا للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز[4]، وجاء في إحدى الرسائل المؤرخةفي766هـ/1364م لوظيفة المترجم:" فشهد إشهاد الرسول رمند دبله نوبة المذكور بما فيه عنه وهو بحال طوع ورضى بترجمة من ترجم ذلك عنه من المسلمين من سمع من الشيخ الأجل ....أبي يحي المذكور..."[5]، ويبدو بأن هذا المنصب يمكن أن يتولاه نصراني حيث وردت عدة أسماء للنصارى في الرسائل والمعاهدات المبرمة بين الطرفين، ، "كما برز دور آخر للمترجم وهي الوساطة في الديوان، هذا ما يتبين من خلال الرسالة التي بعثها أحمد بن تميم الترجمان ببجاية يطلب

---

[1] المعاهدة هي عقد بين فريقين على شروط يلتزمونها، ولقد دلت النصوص الشرعية على مبدأ مشروعية المعاهدات مع الأعداء في السلم والحرب، في قوله تعالى: (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)سورة الأنفال، الآية72. ينظر: الزحيلي وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر، دمشق، 2011، ص146-151.

[2] محمد بن ساعو، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن07-10هـ/13-15م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، الجزائر، 2013-2014، ص146.

[3] رشيد باقة، نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر(من السادس إلى التاسع الهجري)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-، الجزائر، 2006-2007، ص224.

[4] عبد الله الترجمان الأندلسي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق محمد علي حماية، دار المعارف، مصر، ط2، 1992، ص49.

[5] أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، ط1، مطبعة الرباط، المغرب، 2011، ج1، ص137.

فيها وساطة أشياخ وأعيان بيزة لدى قائد البحر أبي السداد موفق بن عبد الله حتى يعيده إلى الترجمة"[1]، وهو ماورد من خلال الرسالة التي وردت عند ميشال أماري إذ جاء فيها" ...أن تجتمع بصغير باربة البيشاني وتخصه بالسلام من وجهة الشيخ الجلاد الذي اشترى منه خمسمئة جلد خروف على يد الترجمان الذي يسمى بالإفرنجي أزمات دفركا بثمانين دينارا..."[2].

كما اعتبر الترجمان عون ضروري لكل فئة من التجار الأجانب[3] "لذلك ليس من الغريب أن يتابع كامل العمليات التجارية للتجار الذين يترجم لهم، منذ نزولهم إلى ساعة عودتهم، ونتيجة لملازمته قد يتحول إلى شاهد عن صفقة أو دين، كما أنه يكون أول من يستقبل التجار النصارى في الميناء"[4].

2– الشاهد: للشاهد دور بارز أثناء عقد المعاهدات بين البلدان، وتكشف بعض الرسائل بعض أسماء الشهود الذين تمت على أيديهم الشهادة وهذا بحضور السفير نفسه، الذين استعملهم سلاطين المغرب الإسلامي فيما بينهم وكذلك مع الدول النصرانية، منها الرسالة المؤرخة في عام 701هـ/1301م بين الحفصيين وأرغون اتفاقية سلم وتجارة جاء فيها:"...شهد بجميعه أبو القاسم بن محمد بن محمد الوسي وعبد الله بن محمد الوسي ..."[5]. وكانت مهمة الشاهد ذات مداخيل هامة إذ قال هذا الفقيه بعد أن

[1] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي –دراسة اقتصادية واجتماعية–، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص227.

[2] Michele Amari, i dipomi arabi I diplomi arabi del R. archivio fiorentino : testo originale con la traduzione letterale e illustrazioni ,1863 ,p61.

[3] الديوان: كان يهتم بكامل الأنشطة البحرية، واستخلاص ضريبة العشر. صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص218.

[4] المرجع نفسه، ص 228.

[5] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص112.

غادر هذه الوظيفة[1]، واحتاجت العمليات التجارية الرسمية أيضا التي تهم توثيق العقود والاعتراف بالديوان أنواع مختلفة من الالتزامات ومن المتداول أن الشهادة من مهام العدول[2].

3-القاضي: يجب أن يكون حاضرا أثناء إبرام المعاهدة، وهو ما نفهمه من خلال ما ورد في آخر رسالة عام 701هـ/1301م[3]" الحمد لله تم الرسم المقيد أعلاه وأعلم بذلك: عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن البلوي"[4].

كما بررز دور القاضي في عقد المعاهدات بين مختلف الدول المغرب الاسلامي وغيرها من الدول التي ربطتها معها علاقات الذي "لم يقتصر دوره في المفاوضة فحسب وإنما الشهادة أيضا، وتعني الشهادة أن الصلح والشروط الواردة في المعاهدة الخاصة به صحيحة من الوجهة الشرعية، ذلك أنه جرت العادة أن يحضر الصلح كبار الفقهاء ويشهدون بالإضافة إلى ذلك بأن عقد الصلح وشروطه ملائمة من الوجهة الشرعية"[5].

من خلال ما سبق ذكره يتبين أن الحكام المسلمين عامة وكذلك سلاطين المغرب الإسلامي اهتموا اهتماما بالغا باختيار السفراء ووضعوا شروطا لاختيارهم، ونلاحظ أنه تناوب على هذا المنصب العلماء والوزراء والحجاب لأداء هذه المهمة باعتبارهم يمثلون النخبة في المجتمع ناهيك عن معرفتهم بالأحكام الشرعية، مما جعلهم في صدارة من يختارونهم لهذه المهمة، وعينوا المترجمين للتفاهم مع سفراء الدول

---

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 228.
[2] المرجع نفسه، ص228
[3] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص112.
[4] عبد الرحمن البلوي: تولى القضاء عام 699هـ/1299م من أهل سوسة. ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس،1986، ص153.
[5] حسين ممدوح، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، دار عمار للنشر، الأردن، ط1، 1998م.، ص330.

الأجنبية، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على مدى أهمية هذا المنصب وهو ما سنراه في الفصول القادمة من البحث.

الفصل الأول: السفارات بين دول المغرب الإسلامي.

أولا: السفارات قبيل القرن السابع الهجري/13م.

1-السفارات في عهد عبد المؤمن بن علي(524هـ .558هـ/1130م .1163م)

2-السفارات على عهد أبي يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن (558هـ .580هـ/1163م .1184م)

3-سفارة صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي(586هـ /1190م).

ثانيا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي.

1-السفارات بين الدولتين الزيانية والمرينية.

- طبيعة العلاقات الزيانية المرينية.

2-السفارات بين الدولتين الزيانية والحفصية.

- طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية.

3-السفارات بين الدولتين المرينية والحفصية.

ثالثا: دور العلماء والفقهاء في السفارة بين دول المغرب الإسلامي.

1-علاقة العلماء بالسلطة.

2-سفارات العلماء والفقهاء بين الدولتين الزيانية والمرينية

3-سفارات العلماء بين الدولتين الزيانية والمرينية أثناء الصلح.

4-سفارات العلماء بين الدولتين المرينية والحفصية.

أ-سفارات من أجل تجديد الصلح.

ب-سفارات من أجل المصاهرة وتبادل الهدايا.

ج- سفارات من أجل تبادل الهدايا والتعزية.

5-أثر السفارة في توثيق العلاقات بين دول المغرب الإسلامي.

إن التقارب بين الدول والمجتمعات يفرض التواصل من أجل التبادل وربط أواصر العلاقات بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية، وهذا ما يساهم مساهمة فعالة ودافع نحو التفاهم والبحث عن التطور والرقي الاجتماعي بنبذها للصراع والحروب والعمل على بناء الحضارات.

فقد عرفت السفارة كنظام هام لربط العلاقات منذ الأزمة الإنسانية، إذ أن الطبيعة البشرية تقتضي التعامل والتقارب[1]، حيث قاموا بإرسال السفراء إلى بلاطاتهم الذين كانوا يُعتبرون الممثلين الرسميين لدولهم في العهود اليونانية والرومانية، وقد عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، بوصفها وسيلة وليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة العربية، ولتبادل المنافع مع جيرانهم، خصوصا في الشرق والشمال[2]، "وبعد انتشار الإسلام أصبحت السفارات وسيلة فعالة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدولة الإسلامية التي وطد دعائمه أركانها الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (1-40هـ/622-660م)، تقوم على نشر تعاليم الإسلام، وعقد المعاهدات مع الدول المجاورة"[3]، ومع مرور الزمن تطور النظام الدبلوماسي خلال الفترة الأموية والعباسية ومن بعدها المملوكي وفقا لما اقتضته الظروف الراهنة[4].

---

[1] إبراهيم عذال ، "بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر للفترة(490-571هـ/1096-1175م)"-مجلة جامعة تكريت-العدد العاشر- مج19-2012 ، ص 361.

[2] عبد الرحمن محمد، الدبلوماسية الإسلامية، المرجع السابق، ص33.

[3] إبراهيم عذال، المرجع السابق، ص361.

[4] المرجع نفسه، ص361.

أولا: السفارات قبيل القرن السابع الهجري/13م.

1-السفارات في عهد عبد المؤمن بن علي(558-524ه /1130م -1163م)

بوفاة المهدي بن تومرت[1] تولى عبد المؤمن بن علي[2]، استمر في ما بدأه ابن تومرت وتمكن من القضاء الدولة المرابطية وتأسيس الدولة الموحدية[3] .

من خلال المصادر التي بين أيدينا يلاحظ أنه في فترة حكمه لم يعرف المغرب الإسلامي سفارات مع الدول المجاورة له، وهذا على الأرجح بسبب مواجهته للمرابطين ومحاولة فرض الاستقرار في المغرب الإسلامي خاصة مع العمل على نشر تعاليم المهدي ابن تومرت ورغم ذلك فإنه استقبل الوفود من أجل بيعته منها وفود من أهل اشبيلية حيث ذكر ابن سماك العاملي:" وأول من وفد عليه أهل إشبيلية، ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم بالأندلس وكان من الوفد القادمين عليه أبو بكر بن العربي المعافري، والخطيب أبو عمر ابن حجاج والكاتب أبو بكر الجد، وأبو الحسن الزهري، وأبو الحسن بن صاحب الصلاة المؤرخ وأبو بكر بن شجرة والباجي والهوزني وابن القاضي شريح وعبد العزيز الصدفي وابن السيد وابن زاهر وغيرهم من وجوه اشبيلية"[4].

---

[1] محمد بن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد، صاحب دعوة إصلاحية، قام بتقسيم أتباعه الى14 صنف وألف لهم تعاليم لإتباعها منها التوحيد باللسان البربري، وأعز ما يطلب. ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 170-188./ ابن خلدون، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص301. /ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972، ص 46./ ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وتحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ص87-88./ مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عيد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص207./ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، المصدر السابق، ص172-173.

[2] عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان، لقبه الموحدون بأمير المؤمنين، تمكن من تأسيس الدولة الموحدية ووحد المغرب الإسلامي، توفي سنة558ه/1162م . ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص215-236./ ابن خلدون، العبر،ج6، ص305. /مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص208. /ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص27./ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 183-184.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 235.

[4]المصدر نفسه، ص224-225.

الملاحظ على فترة حكم عبد المؤمن بن علي لم تعرف علاقات دبلوماسية مع الدول المجاورة وهذا راجع على الأرجح بسبب المعارك التي خاضها مع المرابطين، وكذلك توحيد الغرب الإسلامي وفتحه جبهة الجهاد ضد النصارى في الأندلس.

2-السفارات على عهد أبي يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن (558هـ .580هـ/1163م .1184م)

استقبل أبو يعقوب يوسف[1]، "فرناندو ردريجيس" (Fernando Redrigas) " صهر "فرناندو الثاني" ملك ليون وزوج أخته ابنة القيصر" الفونسو ريموندس" مع أخويه إلى اشبيلية حيث أعرب لأشياخ رغبته أن يكون صديقاً وحليفا لأمير المؤمنين فبعث الموحدون إلى الخليفة، فأذن له بالقدوم إلى مراكش، فقدم إليها واستقبله الخليفة أبو يعقوب بترحاب بالغ وأنزله معه وأقام هناك خمسة أشهر "[2].

وقد نتج عن هذه السفارة إبرام معاهدات سلمية بين الخليفة يوسف أبو يعقوب وفرناندو الببوج(Fernando Albboj)[3] "وتمكن بفضل معاهدته أن أمده الموحدون بعسكر لمعاونته على قتال الكونت "نونيو دى لارا" حاكم طليطلة بفضلها اجتاح بعض مناطق قشتالة واستمرت غاراته عليها لمدة خمسة أشهر كاملة، وللتعبير عن امتنانه للموحدين أقام معهم حلف "دفاع وهجوم مشترك" أقسم على الوفاء به في كاتدرائية ببلاطه[4]" .

[1] أبو يعقوب المنصور: تلقب بأمير المؤمنين وجاز إلى الأندلس مرتين وهو من أمر ببناء المسجد الجامع بإشبيلية وكانت خلافته 22 سنة توفي سنة580هـ /1184م. ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 237- 239 ./ ابن خلدون، العبر، ج6، ص319./ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص130./ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص205./ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص197-198.

[2] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، العصر الثالث- قسم الموحدون-، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص30.

[3] عمر راكة، "العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالمماليك الإسبانية"، مجلة كان التاريخية (الكترونية)، العدد الرابع عشر،2011م، ص113.

[4] المرجع نفسه، ص113.

كما كانت هناك سفارات بين الموحدين وبني غانية[1] بعد أن عرف إسحاق بن غانية أن الموحدين بسطوا سلطانهم على شرقي الأندلس، وأضحوا على مقربة من الجزائر رأى أن يتحول إلى مصانعة الموحدين ومهادنتهم[2].

[1] بنو غانية: ينتمي بنو غانية الى قبيلة مسوفة ثاني أكبر القبائل الصنهاجية الكبرى التي قام عليها ملك المرابطين بعد لمتونة، وكان علي بن يوسف المسوفي من كبار يوسف بن تاشفين، وهو الذي زوجه من قريبة تسمى غانية، وقد أنجب منها ولدين هما محمد ويحي، اللذين عرفا بابني غانية، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص223.

[2] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص147.

3-سفارة صلاح الدين الأيوبي[1] إلى المنصور الموحدي(586هـ /1190م).

في سنة 586هـ/1190م تلقى الخليفة الموحدي سفارة هامة من الملك الناصر صلاح الدين سلطان مصر والشام[2] على يد وزيره عبد الرحمن بن منقذ[3]، ويعود سبب هذه السفارة أنه بعد تولي صلاح الدين الأيوبي الحكم في مصر، اعترض النصارى أسطول صلاح الدين في البحر فبعث طلب المساعدة إلى المنصور لإعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس، لذلك كان يرى في الدولة الموحدية القوة التي يمكن أن تقف مع في وجه النصارى[4]، فكتب إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور قبل هذه السفارة رسالة سنة585هـ/1189، جاءت الرسالة في كتاب الروضتين التي وصفت الخليفة الموحدي بألقاب تدل على مظاهر التبجيل والاحترام جاء فيها:" الأمير الأميل... العالم المحترم، شمس الدين، عدة الإسلام، جمال الأنام، تاج الدولة..."[5] .

ويبدو أن صلاح الدين الأيوبي لم يكن على علم بحقيقة سير الأمور في المغرب والأندلس في تلك الفترة، ذلك أن يعقوب المنصور ما كاد يتولى الخلافة عقب وفاة أبيه حتى أخذ يواجه سلسلة من الأحداث حيث اشتغل بثورة ابن غانية، أما في الأندلس فقد عانى المنصور من أجل رد عدوان النصارى على أراضي الأندلس، فبسبب هذه الظروف لم يلق صريخ صلاح الدين صدى[6]، غير أن صلاح الدين لم ييأس من الفوز بعون الخليفة الموحدي ومن ثمة فقد اعتزم أن يكرر محاولته فعاد في

---

[1] صلاح الدين الأيوبي: هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي، الملقب بصلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية، من عائلة كردية وكان والده حاكما لقلعة تكريت، نشأ في الموصل في عناية عند الدين زنكي، قام بالقضاء احكم الدولة الفاطمية في مصر أسس مدرستين كبيرتين لنشر مذهب أهل السنة وهي المدرسة الناصرية والمدرسة الكاملية قام بفتح بيت المقدس في رجب 583هـ، وتوفي في 27صفر سنة 589هـ/1193م. ينظر ابن خلكان، المصدر السابق،ج7، ص139.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص331-330./ ابن عذارى، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص209/ القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص527./عبد الله عنان، المرجع السابق، ص181.

[3] عبد الله بن منقذ: هو شمس الدين أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدين أبي عبد الله بن مرشد ولد في شيزر سنة 523هـ/1128م، له نظم ونثر، توفي سنة 600هم1203م .، بالقاهرة، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص12.

[4] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص181-182.

[5] شهاب الدين المقدسي، الروضتبن في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، د-ت، ص112. /عز الدين عمر موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983، ص36.

[6] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص182.

العام التالي[1]، و"أرسل وزيره ابن منقذ سفيرا فخرج من الإسكندرية متجها إلى المغرب فوصل إلى إفريقية في سنة586هـ /1190م، ثم واصل ابن منقذ مسيرته حتى وصل إلى بجاية، وفي رجب من نفس السنة وصلت كتب أبي زيد والي افريقية وأبي الحسن والي بجاية إلى الخليفة أبي يعقوب المنصور، تتضمن وصول ابن منقذ إلى ديارهم ومبالغته في الحرص على كتمان خبر وصوله إليهم والهدف من هذه الزيارة، وأفادت هذه الكتب بمدى الترحاب الذي قوبل به"[2] إذ قال ابن عذارى:"... ولما جاء فيه من انشغاله فروجع السادات بالشكر على ما قابلوه به من الإكرام، وأن لا يبحث عنه بشيء من الاستفهام، ثم قدمت المخاطبات إلى من بالمغرب من الولاة والعمال بالتوسعة له في نزل والاحتفال به... وأن يستقر بمدينة فاس"[3]

أورد صاحب كتاب الاستبصار أن الخليفة الموحدي التقى بابن منقذ في السادس من محرم سنة588هـ/ 1192م وأنه غادر بعد خمسة أيام[4]، وأوردت المصادر أن ابن منقذ نظم قصيدة من أربعين بيتا يمدح فيها الخليفة المنصور[5].

كما نستنتج من خلال أن علاقات الموحدين مع النصارى لم تكن مجرد عداء فحسب بل تعدتها لعلاقات دبلوماسية وهو ما تجسد من خلال إبرام معاهدات الصلح والهدنة بين الجانبين، في حين أن علاقات الموحدين مع بني غانية عرفت توترا الذي انعكس على النشاط الدبلوماسي بين الطرفين،

---

[1] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص182.

[2] ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي(564-936هـ/1130-1529م) دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص158.

[3] ابن عذارى، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص209.

[4] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، د ت، ص107.

[5] جاء في القصيدة التي مدح فيها ابن قنفذ يعقوب المنصور:

سأشكر بحرا إذا عُبَابِ قطعْتُه... إِلَى بَحْرِ جُودٍ مَا لأخراه سَاحِلُ.

إِلَى مَعْدِنِ التَّقْوَى إِلَى كعبةٍ... إِلَى مَنْ سَمَتْ بِالذِّكْرِ مِنْه الْأوائلُ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تزَلْ.. إِلَى بَابِكَ الْمَأْمُولِ تُزْجَى الرّواحِلُ

قُطعْتُ إِلَيْكَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُوقِنًا... بِأَنَّ نُدَاكَ الْغُمْرَ بِالنُّجْحِ كَافِلُ. أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وعلق عليه مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، مج1، ص424.

لهذا ترددت في استقبال سفارات وعقد معاهدات معه بحكم رغبة هذه الأخيرة استرجاع ملك المرابطين

ثانيا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي.

1-السفارات بين الدولتين الزيانية والمرينية .

- **طبيعة العلاقات الزيانية المرينية.**

تميزت العلاقات الزيانية[1] المرينية[2] بالنزاع المستحكم بين الطرفين، ويعود السبب الرئيس إلى أن المرينيين كانوا يعدون أنفسهم الوريث الشرعي للموحدين[3]، "إضافة إلى التنافس بينهما من أجل رئاسة زناتة، وقد زاد من توتر العلاقات بين الطرفين هو التحالف الزياني الموحدي الذي جمع يغمراسن مع الخليفة الرشيد[4]، وتبادلهما السفارات والهدايا وعززها أكثر يغمراسن بعقده معاهدة نصرة مع الخليفة أبي دبوس[5] ضد بني مرين، وهو الأمر الذي لم يرض الطرف المريني"[6]، وكذلك الحفصي[7] مما حول

[1]الدولة الزيانية: مؤسس دولة بني زيان هو أبو يحي يغمراسن بن زيان ، تولى الحكم سنة 633ه/1235م، حكم تلمسان مدة ثمانية وأربعين سنة، عمل خلالها على توطيد حكمه، توفي سنة 681ه/1282م .ينظر: ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص213/التنسي محمد بن عبد الله الجليل: نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق محمد بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 115-116./ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص45-46.

[2]الدولة المرينية: سمّو بالمرينيون نسبة إلى اسم جدهم مرين بن ورتاجن، ينحدر أصلهم إلى قبيلة زناتة البربرية التي استوطنت المناطق الشرقية على الحدود مع الصحراء، استطاعوا من التخلص من آخر الأمراء الموحدين في مراكش.ينظر:ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972، ص14-18./ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص8-9.

[3] حاج عبد القادر يخلف، "العلاقات الخارجية للدولة الزيانية"، مجلة عصور الجديدة العدد الثاني، وهران، 2011، ص146.

[4] الخليفة الرشيد:هو عبد الواحد بن المأمون أبي العلاء بن إدريس بن يعقوب المنصور بالله، المكنى أبو محمد وتلقب بالرشيد، كانت خلافته عشر سنين ، توفي في مراكش سنة 640ه. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 253/ ابن عذاري، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص299/ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 242. هوراية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر،2007-2008، ص190.

[5]أبو دبوس:هو أبو العلاء إدريس تلقب بالواثق بالله والمعتمد عليه، لقب بأبو دبوس لأنه كان في بلاد الأندلس لا يفارق الدبوس، فشهر به، عرفت فترته الكثير من الفتن لكثرة المخالفين عليه، توفي بمراكش سنة 668ه/ 1269م بوفاته سقطت دولة الموحدين.ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص257-258.

[6] هوراية بكاي، المرجع السابق، ص190.

[7] الدولة الحفصية:يعود أصل بني حفص إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي وينتسبون إلى سلالة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يعتبر أبي حفص من الأوائل العشر القائمين بدعوة المهدي محمد بن تومرت والذي كان يتمتع بمكانة كبيرة عنده.ترجع بداية نشأة الدولة الحفصية في افريقية

هذه المنافسة إلى صارع سياسي وعسكري دام سنين طويلة غذته الضغائن والرغبة اللا متناهية في تحقيق الريادة وبسط النفوذ[1]، لتستمر العلاقات مابين توتر وسلم في عهد السلاطين الذين جاؤوا من بعدهم حسب الظروف والمصالح والمواقف.

- سفارة عام 670هـ/1272م

يعود تاريخ هذه السفارة إلى ما بعد هزيمة الزيانيين في معركة واد تلاغ[2] الذين تكبدوا فيها خسائر كبيرة مع المرينيين، وعلى إثرها حاول يغمراسن معاودة منازلة المرينيين فأعد جيشا، وقد علم السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق[3] بذلك فارتحل للقائه بجيشه عندما وصل إلى أنكاد[4]، "وفي تلك الأثناء وافته رسل ابن الأحمر تطلب منه شد أزر المسلمين في الأندلس"[5] فرأى يعقوب أن ينتهز

إلى تاريخ تنصيب الخليفة الموحدي محمد الناصر بين يعقوب ين يوسف حيث قام هذا الأخير بتنصيب أبي محمد بن أبي حفص يوم 10شوال سنة 603 هـ /10 ماي1207م، خلال فترة حكمه قام بتسيير أمور افريقية على أكمل وجه وتصدى بجيوشه لأبن غانية، كما اهتم بتنظيم دواوين الإمارة واستحدث منها زمام التضييف لاستقبال الضيوف الوافدين على الدولة، بعد وفاته سنة 618هـ/1221م آلت الإمارة إلى أبي يحي أبي زكريا بن المولى أبي محمد عبد الواحد.ينظر: البيذق، المصدر السابق، ص34./ ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص126./ ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص370-372./ ابن الشماع أبو عبد الله، الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1984م، ص48. /الزركشي، المصدر السابق، ص24./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص177./ ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس،1968، ص105.

[1] هوراية بكاي، المرجع السابق، ص190.

[2] معركة وادي تلاغ: يقع واد تلاغ بالقرب من واد ملوية ، كان سبب هذه المعركة أنه لما نزل السلطان يعقوب بن عبد الحق، حضرة مراكش من أجل الاستيلاء عليها، لم يجد أبو دبوس إلا يغمراسن ليساعده فبعث إليه سفارة محملة بالهدايا تدعوه لإنقاذه، فقام يغمراسن بمساعدته، مما أدى بزحف يعقوب بجيوشه اتجاه يغمراسن فالتقى الجيشان في واد تلاغ ، التي انهزم فيها يغمراسن وقتل فيها ابنه أبو حفص عمر، والكثير من كبار الدولة.ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص115./ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2001، ص 66./ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص116./ الناصري، الاستقصا، ج3، ص25-26.

[3] يعقوب بن عبد الحق: هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، لقب بالقائم لأمر الله والمنصور به، بويع سنة 656هـ/1257م، دفن بشالة بسلا سنة 685هـ/1286م.ينظر: ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص 261-264./ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المصدر السابق، ص297-298/ ابن الأحمر، روضة النسرين، المصدر السابق، ص 17-20.

[4] أنكاد:تقع بين مدينة وجدة ونهر ملوية يخترقها نهر ايسلي. التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص248./ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج1، ص 272.

[5] ابن خلدون، العبر، ج 7، ص244/ هوارية بكاي، المرجع السابق،ص 194

الفرصة ليصالح يغمراسن ليأمن جانبه[1]، فأرسل إليه وفدا يطلب منه الصلح من يغمراسن إلى الصلح، لكن يغمراسن رد قائلا: "لا صلح بيني وبينه ولو بلغت حربه الردى، وقد قتل ولدي قرة عيني وولي عهدي، أصالح وأهدر دمه والله لا كان هذا أبدا، ولا أترك دم ولدي يمضي سُداً حتى أخذ منه الثأر وأضيق بلاده التباري"[2] .

وبفشل السفارة التي أرسلها السلطان أبو يعقوب، ترك شأن الأندلس وسار نحو تلمسان لقتال يغمراسن فخرج إليه هذا الأخير في قومه وحلفائه من مغراوة[3] والعرب والتقى الجمعان في منطقة إيسلي قرب وجدة في 15 رجب 670هـ/ 1272م[4]، "انتصر فيها المرينيون على يغمراسن، وقد نتج عن هذه الهزيمة تغيير في سياسة يغمراسن بن زيان تجاه فاس، حيث كف عن مناوءتهم بعض الوقت، وتوجه شرقا للتوسع في أراضي الدولة الحفصية، وفي سنة 674هـ/ 1275م، تم عقد أول هدنة بين يغمراسن بن زيان وأبي يوسف يعقوب بمبادرة هذا الأخير"[5]، الذي أرسل سفارة كلف بها حفيده تاشفين بن عبد الواحد[6]، وقد نجحت هذه السفارة في التمهيد لإبرام عقد الصلح، ولتأكيد عقد السلم "بعث يغمراسن بن زيان رسل من طرفه من مشيخة بني عبد الواد، والتزم بمقتضاها يغمراسن من خلال عقد الصلح بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية، كي يتسنى لأبي يوسف يعقوب تلبية نداء بني الأحمر لصد هجمات قشتالة المتتالية على أرضيهم، وكان لهذا الاتفاق نتائج طيبة على الوجود الإسلامي بالأندلس"[7].

---

[1] هوارية بكاي، المرجع السابق،ص 194.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص130.

[3] مغراوة: إحدى بطون زناتة، ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك الديرت بن جانا إخوة بني يرنيان، أما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يليث وبني زنداك وبني رواو...وكانت محلاتهم بأرض بالمغرب الأوسط من شلف الى تلمسان إلى جبل مديونة ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص33-38.

[4] هوراية بكاي، المرجع السابق، ص 194.

[5] محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول(633هـ - 1236م/ 737هـ - 1337م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008، ص 82.

[6] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص254.

[7] محمد مكيوي، المرجع السابق، ص 82.

– سفارة عام684هـ/ 1285م

بدأ أبو سعيد عثمان بن يغمراسن[1] عهده بالصلح، عملا بوصية والده إذ أورد ابن خلدون قال يغمراسن لابنه:" يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك. فعلقت وصية الشيخ بقلبه، وعقد عليها ضمائره، وجنح إلى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك"[2]، بعد هذه المهادنة بين الطرفين توجه عثمان بن يغمراسن للإمارات الشرقية الموالية للحفصيين[3].

– سفارة عام 706هـ/1306م

جاءت هذه السفارة من طرف أبي ثابت حفيد السلطان يوسف بن يعقوب[4] طالبا فيها الصلح مع الزيانيين، لتعلن عن انتهاء الحصار الذي ضرب على تلمسان من 698هـ/1299م[5]، "ومما طلبه أيضا السلطان المريني خلال هذه السفارة في رسالة طلب المساعدة من الزيانيين، ضد

---

[1]أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: ولد السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 639هـ/1241م، بويع بعد وفاة والده سنة 681هـ/ 1283م. ينظر، التنسي، المصدر السابق، ص 129./ يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص 208-209.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص123.

[3] هوارية بكاي، المرجع السابق، ص196.

[4] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1978، ج2، ص17.

[5]حاصر يوسف بن يعقوب المريني مدينة تلمسان من سنة 698هـ/1298م إلى سنة706هـ/1306م ، كان لهذا حصار كان له وقع شديد على سكان مدينة تلمسان، بحيث أحاط العسكر بها من جميع جهاتها، وضرب عليها سياجا من الأسوار، واختط مدينة إلى جانبها، ليأخذ بمخنقها فنال سكان مدينة تلمسان من الجهد والجوع، ما لم ينل أمة من الأمم، إذ يقول ابن خلدون فاضطروا إلى" أكل الجيف والقطط، والفئران وأشلاء الموتى"وارتفعت أسعار والحبوب والخضر حتى استهلك الناس أموالهم ومدخراتهم وضاقت أحوالهم فكان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل"، وأطلق المرينيون أيديهم على المنازل "نهبا واكتساحا'، وأصدروا أمرا بقتل كل من يدخل بضاعة أو مواد غذائية إلى مدينة تلمسان، فتضرر السكان في داخلها، لانعدام الأقوات باستنفاذ المخازن، فلم يطق السكان تحمل هذه المجاعة فمات منهم خلق كثير، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص129-130/ التنسي، المصدر السابق، ص132./ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، المصدر السابق، ص69.

إخوته وحفدة السلطان المريني فما كان من الزيانيين إلا تلبية طلبه مقابل أن يتنازل لهم عن جميع ما استولى عليه السلطان يوسف بن يعقوب"[1].

و لما أطمأن على ملكه من الناحية الغربية وقام بجميع الاحتياطات في حالة هجوم مفاجئ من هذه الجهة، عمل على استرجاع نفوذه في شرق البلاد، فأعاد إلى حضيرتها منطقة الشلف، وجبل وانشريس والمدية وغيرها من المدن[2]، وهكذا يتضح لنا أن هذه السفارة كان لها الأثر الجيد في تحسن العلاقات بين الدوليتن، حيث حظيت الدولتين بالسلم، وأمن كل منهما من الحروب والغارات، هذا الاستقرار انعكس على الدولتين فالزيانيون استطاعوا من إعادة بعث الدولة من جديد، وتمكنوا من الرجوع كقوة في المنطقة تخضع القبائل المجاورة لها،وفي المقابل استفاد الجانب المريني من فرض الاستقرار في دولته بعد أن تشتت كلمتهم بعد اغتيال والده.

- سفارة 735هـ/1334م.

بعث السلطان أبو سعيد المريني[3] وفدا إلى أبي عبد الرحمن بن أبي تاشفين الأول يطلب منه "الكف عن مهاجمة بلاد إفريقية، والإقلاع عن حصار بجاية، فقد كان يجمع بين الدولتين تحالف خاصة مع المصاهرة التي جمعت الطرفين ، لهذا لما استغاث بهم الحفصيون يطلبون منه دفع خطر بني عبد الواد، هبوا لمساعدتهم وكان ذلك بدون شك فرصة أراد من خلالها من أجل الاستيلاء على المغرب الأوسط، وكان جواب عبد الرحمن بن أبي تاشفين بالرفض"[4]، وفي تلك الأثناء توفي السلطان ا المريني، وخلفه ابنه أبو الحسن[5].

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص135 ./ محمد مكيوي، المرجع السابق، ص 99.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 135-138/ محمد مكيوي، المرجع السابق، ص97.

[3] أبو سعيد المريني: هو عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبو سعيد دام حكمه 21سنة، توفي سنة 731هـ/1330م.ابن الأحمر، روضة النسرين، المصدر السابق، ص 23-24.

[4] محمد مكيوي، المرجع السابق، ص107.

[5] أبو الحسن المريني: هو السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الملقب يكنى بأبي الحسن يلقب بالمنصور بالله، بويع بعد أبيه سنة 731هـ/1330م وتوفي عام 752هـ/1351م، ودفن بشالة، كان ضخم الملك، متسع السلطان، ملكت تلمسان، وتونس وسائر بلاد افريقية، ابن

"فغادر السلطان أبو الحسن المريني فاس سنة 735هـ/1335م، واكتسح في طريقه مدن المغرب الأوسط، وجدة، ندرومة، وهنين، ولم تكد تنتهي سنة 736هـ/ 1336م، حتى كان السلطان أبو الحسن قد بسط نفوذه على جميع الممتلكات الشرقية لدولة بني عبد الواد، وفي سنة 737هـ/1337م، اقتحم الجيش المريني العاصمة الزيانية وملكها عنوة، وبهذا الانتصار أصبحوا أقوى حكم في المغرب الأوسط "[1].

- سفارة عام 760هـ/1358م.

لما كانت فترة حكم أبي حمو موسى (760- 791هـ/1358-1388م) الأطول مقارنة مع السلاطين الذين كانوا من قبله، وقد شهدت الدولة الزيانية على عهده أوج ازدهارها، وهو ما عكس عودة الزيانيين من جديد و البحث عن الريادة والرئاسة ومعها تجددت الحروب بين الطرفين[2].

كان بنو مرين في سنة 760هـ/1358م منقسمين على أنفسهم بالمغرب الأقصى، فأصبحت حامياتهم بالمغرب الأوسط تعيش في جو قلق وارتباك، لا تصلها أمداد من فاس[3]، في شهر شعبان من نفس السنة خرج أبو يعقوب والد أبي حمو بجيش اتجاه المناطق الشرقية، قصد إجلاء بني مرين عنها ونزل البطحاء[4] أياماً، ثم اتخذ طريق وانشريس، حيث التقى القائد المريني يحي بن علي البطيوي

الأحمر أبو الوليد، روضة النسرين، المصدر السابق، ص 25-26./ ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 125-126. /الناصري، الاستقصا، ج3، المرجع السابق، ص 153- 154.

[1] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص110.

[2] نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص23.

[3] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص95.

[4] البطحاء: مدينة بنواحي شلف شمالا شرقيا من—غليزان– قام بإعادة بنائها عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ/1160م، إذ يقول ابن أبي زرع: " أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالمشرق والتغرب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام، وتوافقوا على ذلك فأتى شيخ ممن علم الأمر إلى عبد المؤمن فأخبره الخبر قال له: دعني أبت الليلة في موضعك، فبات في فراشه فاستشهد فلما أصبح وصل عبد المؤمن افتقده فوجده مقتولا، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته لا يقودها أحد فسارت الناقة يمينا وشمالا حتى بركت وحدها، فأمر عبد المؤمن بالشيوخ فانزل عنها... وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبناء بإزاء القبة جامعا ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل العرب". ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص199- 200./محمد الميلي ، المرجع السابق، ج2، ص 333- 334.

وأحلافه من بني توجين[1]، فهزمهم. ثم اعتصم القائد المريني بمليانة[2]. وفي تلك الأثناء، نجحت محاولة أبي سالم بن أبي الحسن[3] وبويع له بفاس، فبعث رسولا إلى أبي حمو في شأن الصلح طالبا منه أن يكف عاديته على الحامية المرينية المتمركزة في المنطقة الشرقية[4].

بعد ذلك في شهر شوال أرسل السلطان أبي سالم السفير ابن روجي الذي كان من كبار خدامه، يطلب فيها إيقاف الحرب في المناطق الشرقية ويطلب الصلح في شأنها، وبعدها تلتها سفارة أخرى من طرف المرينيين وهي لابن مساهل[5] وكان جواب أبي حمو له:" قد أرسلنا الوزير عبد الله بن مسلم لاقتضاء السلم الذي سألتموه لحصصكم من والدنا، إذ لم تجد المكاتبة ذلكم شيئاً، وصرف بريده"[6].

يتضح من موقف أبي حمو أنه لم يكن راغبا في سلم عاجلا، وأنه كان ينتظر استيلاء جنوده على المنطقة الشرقية لإجراء السلم، "ولاشك أن القضاء على الحاميات المرينية كان يعزز بصفة محسوسة الجانب العبد الوادي أثناء المفاوضات لإقرار السلم بين البلدين حيث كانت تستغله لما ينتج عن ذلك من اتساع رقعة الأراضي الخاضعة للسلطة العبد الوادية ولما يتوفر لدى أبي حمو

---

[1] بني توجين: عرفهم ابن خلدون بأنهم من شعوب بن يادبين من أهل الطبقة الثالثة من زناتة ، مواطنه من واد شلف قبلة جبل الونشريس من أرض سرسو، وكان بأرض السرسر بطون لواتة فغلبهم بنو عليها بنو وجديجن ومطاماطة، ثم صارت أرض السرسو لبيني توجين واستضافوهم إلى مواطنهم الأولى وصارت مواطنهم مابين بني راشد وجبل دراك:ابن خلدون، العبر،ج7، ص205-206./ ينظر: بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (8-7هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010 ، ص 97. /عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص95.

[2] مليانة: مدينة قديمة بناها الرومان، جددها زيري بن مناد واسكنها ابنها ابنه بكلين، تقع على سفح جبل –زكار- تحيط بها الأشجار. البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د-ت، ص 61./ حسن الوزان ، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص34، 35.

[3] السلطان أبو سالم: هو إبراهيم بن أبي الحسن، يكنى بأبي سالم، لقبه المستعين ولد عام 735هـ/1334م، بويع عام 760هـ/1358م، وكانت دولته سنتين وثلاثة أشهر وأربعة أيام. ابن الأحمر أبو الوليد، روضة النسرين، المصدر السابق، ص30.

[4] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص95.

[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص55- 56.

[6] المصدر نفسه، ص56.

أثناء تلك العمليات من أسرى يمكن تقديمهم مقابل أسرى بني عبد الواد الموجودين آنذاك عند المرينيين"[1].

- سفارة 762هـ/1360م

توجه عيسى بن روح سفيرا سنة 762هـ/1360م من طرف السلطان المريني أبي سالم إلى السلطان أبي حمو الثاني، حسب ما ذكر صاحب زهر البستان أن سبب هذه السفارة لتحسين العلاقات بينه وبين أبي حمو، ومن أجل الاتفاق على المناطق الشرقية التي كانت سبب الصراع، إذ يذكر صاحب زهر البستان قائلا: "...إذ أتى الرسول المذكور أول البواعث، فأنزله المولى أبو حمو بدار كرامته... ولما كمل ثلاثة أيام استحضره وسأله عن إتيانه فأخبره.فقال:" عن مولاي أبا سالم بعثني إليك وهو يسلم عليك، يطلب منك الموالاة، والكف عمّا وقع من الشتات، وأنه لم يكن من مراده الحركة على بلادك، وإنما كان ذلك من قبل بني مرين حين رأوا من استدراك...واعلم أن مولاي أبا سالم ليس له إلا ساعة يقطعها في لهو وطرب، ومراح وخلاعة ولعب، وقد أراد أن تكون أيامه أيام سلم ومهادنه... وقد وجهني إليك ولا علم لأكثر الأشياخ بما كان، وقد أودعني سرّاً..."[2].

يتضح من خلال هذا النص أن طلب الصلح من طرف أبي سالم جاء خفية عن شيوخ بني مرين، بسبب مقتل البعض من أفراد القبائل في المعارك التي كانت بين الدولتين، لهذا اقترح أبو سالم أن يرسل مع سفيره عيسى بن روح أحد أولاد أبي حمو كسفير حتى يظهر أمامهم شيوخ بني مرين رغبته لحقن الدم بين الدولتين، ويبدو أن أبا سالم كان يفهم نفسية شيوخ القبائل والتي ما كانت لترضى إلا بأحد كبار أفراد الزيانيين لعلو مكانته، فكان رد أبي حمو قائلا:" ما على وجه

[1] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص96.
[2] زهر البستان، ج2، ص131- 132.

المحاسنة وصلاح الإسلام، فأفعل ذلك من غير ملام..."[1]. ولما انتهى عيسى بن روح من سفارته، أمر له أبي حمو بإعطائه هدية تتكون من كسوة سنيّة، وكذلك من الذهب[2].

وعملا بالاتفاق الذي حدث بينهما أرسل السلطان أبو حمو سفارة ترأسها ابنه أبو تاشفين، في شأن الاتفاق وعلى المصالحة وقد أرسل معه في السفارة وزيره عمران بن موسى نائبا عنه، وقاضي الجماعة بتلمسان احمد بن الحسن شاهدا على ما يسمع به[3]، وأعلام تجلة من بني عبد الواد[4] وجهزت السفارة بهدية تتكون من مائة حصان من العتاق، وما يرافقها من الذخائر والنفائس[5]. هذا يدل على مدى خطورة المهمة وأهميتها، حيث أوفد كبار الدولة الزيانية وحملهم الهدايا كما تبين نية الطرف الزياني في الصلح وهي توضح الحنكة الدبلوماسية للسلطان أبي حمو من أجل الحصول على رضا شيوخ القبائل .

تم استقبال هذه السفارة بكل حفاوة من طرف السلطان المريني حسب ما تقتضيه المراسيم الدبلوماسية التي كانت آنذاك، وهنا نذكر ما جاء عن صاحب البستان قائلا:" ولما دخل عليه رحب به ترحاب الملوك الكرام وأنسه بالمجلس باللين من الكلام..."[6]، وذكر يحي بن خلدون أيضا هذا الاستقبال قائلا:" وأعد لهم ملك المغرب السلطان أبو سالم لإنزالهم الدور الرحبة والفرش المرفهة ، وأركب للقائهم يوم الوصول أعلام دولته وكبار قبيلته للسلام عليهم..."[7] وكان في المجلس كبار شيوخ بني مرين والعلماء، واستهل أبو تاشفين المفاوضات معهم قائلا:" يا أيها الملك السعيد، إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد، والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة، وأن

---

[1] زهر البستان، ج2،ص 132.

[2] المصدر نفسه، ص132.

[3] المصدر نفسه، ص133.

[4] يحي بن خلدون، ج2، ص 86.

[5] زهر البستان، ،ج2، ص132- 133.

[6] المصدر نفسه، ص133.

[7] يحي بن خلدون، ج2، ص 86.

يكون القبيلان يدا واحدة على الكفار...فإن الصلح مندوب إليه شرعا، والخلاف منهي قطعا، ويد الله مع الجماعة"[1]، بعدها تكلم الفقيه احمد بن الحسن ما استحسنه الشيوخ، ثم تكلم الوزير عمران بن موسى بما يليق من الكلام، حتى رقت نفوس بني مرين[2]، ثم أخذ السلطان أبو سالم مع بني مرين يلين قلوبهم بالكلام اللين وقال لهم:" يا بني مرين، انظروا ما في السلطان أبي حمو من الرقة واللين، جنح بنفسه للمصالحة والمهادنة والموالاة والمحاسنة مع قدرتنا عليه، فنعم ما فعل وما ندب إليه..."[3].

استطاع أبو تاشفين والوفد المرافق معه من إقناع شيوخ بني مرين بالصلح، التي كان من نتائجها تمكنهم من إطلاق سراح الأسرى من بني عبد الواد، وقد رجع أبي تاشفين والوزير والقاضي محملين بالهدايا، وأرسل معهم أيضا رسولين وهما: اونزمار بن عريف شيخ قبيلة سويد[4] ومحمد بن النوار، واستقبلوا بحفل عظيم فرحا لعودة أبو تاشفين، وكذلك استبشارا لنجاحه في سفارته، إذ يقول صاحب البستان:" فكان لدخوله بروز عظيم، وصيت جسيم، فرحت لذلك الأولياء، وشرقت الأعداء[5].

أنزل الرسولين الذين جاءا من طرف أبي سالم في سفارة ابنه أبو تاشفين بما يليق بهما، ثم استحضرهما بعد ثلاثة أيام، وقد قدم السفيران هدية السلطان أبي سالم، إظهارا لحسن نواياه وعلى

[1] زهر البستان، المصدر السابق، ص133.

[2] المصدر نفسه، ص133.

[3] المصدر نفسه، ص134.

[4] قبيلة سويد: تنسب إلى سويد بن عامر بن مالك، كان أول ظهورها في المغرب الأوسط تحالفت مع قبائل بني يادين فاستطاعوا من تكوين حلف قوي وأن يسيطروا على تلول المغرب الأوسط ويخضعوا قبائله، استطاع يغمراسن أن يضمهم بحسن معاملته، واقطعهم البطحاء والسرات، كان لقبيلة سويد عدة أدوار في تاريخ المغرب الإسلامي.ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص59-60.

[5] زهر البستان ،ج2، ص135.

أنها هدية البشارة على هذه الموالاة وأخبراه أنه سيرد عليه سفيرا من طرف سلطانهم من أجل استكمال شروط الصلح[1].

في أوائل جمادى الثانية من سنة 762هـ/1360م وصل الفقيه أبو القاسم بن رضوان سفيرا عن السلطان أبي سالم، وكان اختيار أبو القاسم بن رضوان بهذه المهمة راجع لأنه كان صاحب الإنشاء و القائم على كتابة العقود، وقد بدأت كتابة شروط المهادنة بحضور الفقهاء الزيانيين وكبار شيوخها والوزراء، وانعقدت شروط المهادنة على الصلح على الحدود القديمة، ماعدا الجزائر ووهران، وعلى هدنة مدتها أربعة أشهر[2].

والملاحظ أنه بالرغم من إبرام معاهدة الصلح "إلا أنه احتفظ -أبو سالم- بوهران ولم يرض تسليمها رغم إلحاح رسله في ذلك، حيث أرسل في أواسط شهر رمضان من نفس السنة الوزير عمر بن عبد الله بن علي الياباني سفيرا، وقد استقبل من طرف أبي حمو وجرت مفاوضات بين الوزير عمر بن عبد الله والوزير الزياني عبد الله بن مسلم وتمسك الطرف المريني على أن وهران والجزائر تم استثناؤه في شرط المصالحة وهو الأمر الذي أثار الخلاف بين الطرفين، ورجع السفير في اليوم الثاني من يوم عيد الفطر إلى أبي سالم ولم تنجح مفاوضاته مع الوزير ابن مسلم، بل آلت إلى خصام شديد وغادر السفير المريني تلمسان غاضبا"[3].

قد جاء عن أبي حمو في واسطة السلوك رواية أخرى عن سبب مجيء السفير عمر بن عبد الله إذ يقول:" وقد اتفق لنا ذلك مع عمر بن عبد الله وزير ملك المغرب أبي سالم حين أرسله إلينا بالجد العازم، والعهد اللازم، ليتحيل بعض الحيل علينا، ويخادعنا بين يدينا، مع قوة سلطانه، ورفيع مكانه...فأنزلناه عند وزيرنا عبد الله بن مسلم لما بينهما من تأكيد متقدم..."[4]، وبعدها أمر وزيره

---

[1] زهر البستان، ج2، ص135.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 86.

[3] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 102/ زهر البستان ،ج2، ص138.

[4] أبو حمو الزياني، واسطة السلوك، المصدر السابق، ص 248.

باختباره فوجده رجلا يريد المكيدة عن طريق إعطاء المال"لأهل وهران طلبا لولائهم للمرينيين من دون أبي حمو، ويريد الخديعة على عبد الله بن مسلم حتى يجتذبه إلى جانبه هو وسلطانه، وذلك لما كان تقدم بينهما من المودة والصداقة، فلما عرف ذلك أبو حمو أخذ يدخله على مجالسه الخاصة، ويتحدث أمامه بما يوهمه أنه من أسراره، فزاد بذلك طمعه، وأبطأ في العودة إلى سلطانه وأبو حمو يطيل بقاءه عمدا لديه، والأخبار ترد على أبي سالم، فتزيد سوء الظن به سوءا، ولما عرف أبو حمو تأكد الحقد بين الطرفين، وانخداع الرسول بتقريب السلطان إليه، أطلق سراحه، فغادره، معاهدا إياه أن يغدر بالسلطان أبي سالم"[1]، تكشف هذه السفارة أنه قد يكون السفير جاسوسا، ويعمل من أجل إشعال الفتن ، ولكن في هذه السفارة لم تنطل الحيلة على أبي حمو الذي تمكن بفراسته التعرف على حيله.

إن سبب تشبث أبي حمو بضرورة استرجاع المدينتين، "راجع لما لهما من أهمية في تمكين سلطته على البلاد ولدورها الاقتصادي الهام، لذلك طلب من قائد وهران والجزائر أن يقوما بسحب جيشهما، وأن يسلما له المدينتين بموجب ما حدث بين القطرين من المصالحة"[2].

وقد تأزم الوضع من جديد بين الطرفين، فقرر أبو حمو الزحف إلى وهران، وحاصرها ستة أيام، ثم فتحها عنوة، بعد أن قاومتها الحامية المرينية مقاومة شديدة، ثم رجع أبو حمو بعد أن هدم سور القصبة[3].

وفي تلك الأثناء قدم إلى تلمسان الشيخ وانزمار وسليمان بن عامر بن فتح الله، في سفارة من طرف أبي سالم بشأن تسوية الخلاف بينهما ورغبة في طلب إعادة الصلح ، ويطلب فيها بأن يقوم بإقناع أبي سالم بتسليم الجزائر لأبي حمو، وقد استجاب لذلك أبي سالم وكان رده مع سفيره ابن فتح إذ

---

[1] وداد القاضي، "النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة"، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة، العدد 27،الجزائر، 1975، ص 24./ أبو حمو الزياني، واسطة السلوك، المصدر السابق ص 248- 249.

[2] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 102.

[3] زهر البستان، المصدر السابق،ج2، ص140./ يحي بن خلدون،ج2، ص 87./ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص103.

قال:" سر للسلطان أبي حمو وأعلمه أنّ من الجزائر مكّنّاه"[1]، بعدها بعث أبو سالم رسوله سليمان بن عامر إلى قائد الجزائر علي بن يعلي، وشعيب بن وادرار بأن يخرجوا منها و تسليمها لأبي حمو[2]، فبعث أبو حمو إلى والده يعقوب بمليانة طالبا منه أن يتوجه إلى الجزائر وأن يتخذها مقرا لولايته على المناطق الشرقية، فدخلها في 13 من ذي القعدة من سنة 762هـ/1360م[3].

وفي 19 من ذي القعدة 762هـ/1360م خُلع أبو سالم المريني وقتل، وقد أرجع أبو حمو سبب مقتله بسبب سفيره عمر بن عبد الله، الذي كان قد توعده سابقا بالثأر منه بعد انتهائه من سفارته التي وجهه إليها إلى أبي حمو إذ يقول:" عاهدنا على أن يغدر بسلطانه، وأن يجلس أخاه مكانه... وعندما وصل إلى سلطانه أبي سالم وأدى له رسالته على الواجب اللازم أضمر ما عول عليه من غدره، وأخذ في المحاولة في مكره..."[4]، وقد أدى مقتل أبي سالم إلى فتن واضطرابات في المغرب الأقصى، فأمن أبو حمو عادية بني مرين لمدة واغتنم هذه الفرصة لتوجيه عنايته إلى الناحية الشرقية[5].

- سفارة 763هـ/ 1361م

نظرا لكثرة الفتن التي عرفتها الدولة المرينية الذي أدى الى ضعف الدولة المرينية ، "الأمر الذي دعا الوزير المريني عمر بن مسعود، إلى أن يرغب في عقد صلح جديد بين الدولتين، فبعد تبادل عدد من السفارات انعقد الصلح في 15رجب من سنة 763هـ/1361م، وبموجبها أطلق سراح بني عبد الواد الذين كانوا لا يزالون بفاس، إلا أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ابن عم أبي حمو ومنافسه في

---

[1] زهر البستان، ج2، ص 146./ يحي بن خلدون، ج2، ص 87.
[2] زهر البستان، المصدر السابق، ص 147./ يحي بن خلدون، ص 87. /عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 103.
[3] ينظر:زهر البستان، ج2، ص147./ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص103.
[4] أبو حمو الزياني، واسطة السلوك، المصدر السابق، ص 249.
[5] زهر البستان، ج2، ص152./ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص103.

العرش فإنه بقي في السجن"[1]، وكان من أثار نجاح العلاقات أن أصهر السلطان أبو تاشفين ابنته لأبي حمو[2].

- سفارة 767هـ/1365م.

أرسل السلطان أبو حمو في سنة 767هـ/1365م الفقيه أبا عبد الله الشريف الحسني[3] ومحمد بن عمر البريطل رسولين إلى السلطان المريني من أجل عقد الصلح بين الدولتين وقد نجحا في سفارتهما[4]، والتي تدخل ضمن سفارات المجاملة من أجل استمرار علاقات الود والصلح.

- سفارة 771هـ/1369م.

الملاحظ أن العلاقات الزيانية المرينية شهدت نوعا من الاستقرار بداية من سنة 763هـ/1361م، وهي محاولة من السلاطين في جعل تقارب بين الدولتين ونبذ الخلاف لأنه لا يخدم مصلحة الطرفين فاتجها إلى فتح تقارب بينهما من خلال إرسال السفارات وعقد المعاهدات، إلا أنه بداية من سنة 771هـ/1369م عاد الصراع بين الدولتين من جديد.

بعد تولي السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز الحكم[5] ، تجدد الصراع بسبب قبائل المعقل الخارجين عن طاعته، فأرسل في شأنهم سفارة "تولاها حسون بن علي الصبيحي من أجل طردهم،

عبد الحميدحاجيات، المرجع السابق، ص104./ زهر البستان، المصدر السابق، ج2، ص 165.[1]

زهر البستان، المصدر السابق، ص248.[2]

[3]أبو عبد الله الشريف الحسني: وهو أبو عبد الشريف محمد بن أحمد الشريف الحسني، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان ، ولد سنة 710هـ/ 1310م. نشأ بتلمسان وقرأ القرآن وتفقه على خيرة علماءها من أمثال ابني الإمام وأبا عبد الله الآبلي، وصفه ابن خلدون بأنه فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول توفي سنة 771هـ/.1388م التنبكتي:المصدر السابق، 1989، ص589. /ابن خلدون عبد الرحمن، العبر،ج7، ص536-537.

[4] زهر البستان، المصدر السابق، ص157.

[5] عبد العزيز بن أبي الحسن: يكنى أبو فارس تولى بويع بالحكم سنة 767هـ/1365م، حكم مدة ستة أعوام وتوفي سنة 774هـ/1372م. ابن الأحمر، روضة النسرين المصدر السابق، ص 33/ ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، ج2، 1973، ص 449-450.الناصري، الاستقصا، ج4، ص 59.

لكن السلطان أبا حمو رفض طلبه، ورد عليه بأن طرد سفيره حسون، كان هذا الرد من طرف أبي حمو سببا في تحرك الجيش المريني الذي انتظر خروج أبي حمو من تلمسان مشرقا والتحاقه ببني عامر، في تلك الأثناء انتهز عبد العزيز الفرصة وتوجه إلى تلمسان واحتلها سنة 772هـ/1393م"[1].

يتضح من خلال ما سبق ذكره أن العلاقات بين الدولتين الزيانية والمرينية كانت في أغلب الفترات يغلب عليها الحروب بسبب تخوف كل طرف من الآخر، كما كان للتحالفات بين الزيانيين والمريينن مع الحفصيين تارة أخرى أججت الصراع بين الدولتين، وعلى الرغم من هذا الصراع حاول الطرفان عدم غلق جميع منافذ الحوار، وهو ما تجلى في السفارات التي كانت ترسلها كلا الدولتان التي لعبت دورا بارزا في تغيير سياسة الدولتين بتغير مصالحهم وأهدافهم .

2-السفارات بين الدولتين الزيانية والحفصية.

- طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية.

تميزت العلاقات بين الدولتين بالصراع المحتدم، فكلاهما كان يحاول ضم أكبر قسم من التركة الموحدية[2]، "وتوسيعه إلى حدود تأمن منها خطر جارتها، وتأثرت العلاقات بين الدولتين بعوامل خارجية وبالأحداث التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى الأوضاع الداخلية المتغيرة داخل كل دولة"[3] ، فقد سعى أبو زكريا الحفصي إلى الاستيلاء على الدولة الزيانية، خاصة بعد تبادل السفارات بين البلاطين الموحدي والزياني سنة 639هـ/ 1242م[4]، إضافة إلى دور شيوخ قبائل المغرب الأوسط، حيث اتصلوا بأبي زكريا الحفصي وحرضوه على التحرك نحو تلمسان[5]، وقد وصل إلى تلمسان في نهاية شهر محرم سنة 640هـ/ 1242م، وتمكن من هزم الجيش الزياني الذي تصدى له أمام المدينة ثم دخلها، أما يغمراسن فقد أفلت منه ولجأ إلى جبال بني ورنيد مع عائلته ومجموعة من

---

[1] وداد القاضي، المرجع السابق، ص24.

[2] خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، دار المعية للنشر والتوزيع، 2011، ص151.

[3] عبد الله طويلب ، "العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والحفصية"، مجلة كان الالكترونية، السنة الخامسة، العدد18، 2012، ص32.

[4] المرجع نفسه، ص32.

[5] ابن خلدون، العبر ج6، ص356 ./ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 152.

أنصاره[1] تاركا عاصمته في يد أبي زكريا، إلا أن الحفصيين لم يرغبوا الاستمرار في سيطرتهم المباشرة على تلمسان، فبحثوا عن شخصية قوية تمثلهم، فعرض ولايتها أبو زكريا على جميع القبائل فامتنعوا، والظاهر أنه لم يجرؤ أحد على ذلك في وجود يغمراسن بن زيان [2]، فقال حينئذ أبو زكريا: " ليس لها إلا صاحبها"[3].

-سفارة سوط النساء عام 640هـ/1241م.

استطاعت الأميرة " سوط النساء"[4] أن تقوم بدور السفيرة لتحقيق الصلح، التي استقبلها أبو زكريا "وأكرم موصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها"[5]، "واستطاعت بكل دبلوماسية أن تقنع السلطان الحفصي اقتراحا يتضمن العفو لابنها يغمراسن، والسماح له بالعودة إلى تلمسان، فقبل أبو زكريا هذا الصلح وأذن بعودة السلطان يغمراسن إلى إمارته"[6] .

بعد هذه المعاهدة اتخذت العلاقات بين تلمسان والدولة الحفصية اتجاها ايجابيا، وذلك عندما خطب السلطان يغمراسن[7] لابنه وولي عهده أبي سعيد عثمان من ابنة السلطان أبي إسحاق ابن أبي زكريا الحفصي[8] سنة677-681هـ/1278-1282م، "كان هذا الزواج السياسي الذي قام به

---

[1] الزركشي أبو عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص29./ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص153.

[2] بوداود عبيد ، "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية"، مجلة عصور، العدد 6و7، مخبر البحث التاريخي مصادر ومراجع، جامعة وهران، الجزائر، 2005، ص205.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص118.

[4] سوط النساء: هي والدة السلطان يغمراسن، أصلها من قبيلة بني علي، وابنة عبد الحق، ويبدوا بأنها كانت لها مكانة مرموقة داخل البيت الزياني ولا تشير المصادر إلى حياتها وسنة وفاتها. ابن خلدون، العبر،ج6، 392./ نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة(ق12-15 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008، ص111.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص29.

[6] نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص 111

[7] يذكر التنسي أن يغمراسن خرج للقاء موكب العروسة، حفاية بها وأبيها فلقيها بمليانة، فلما عاد أدركه الموت برهيو من شلف سنة 681هـ/1282م، التنسي، المصدر السابق، ص.128

[8] أبو إسحاق بن أبي زكريا: هو إبراهيم أبو إسحاق بويع بالحكم في تونس سنة 678هـ/1279م، كان حكمه ثلاث سنوات، توفي عام 682هـ/1283م. ابن الشماع ، المصدر السابق، ص75- 79./ بسام كامل شقدان، المرجع السابق، ص113.

يغمراسن لصالح تلمسان والدولة الزيانية، فقد أراد أن يكسب ود سلاطين الدولة الحفصية اتجاه دولته، وتأمين خطرهم نحو بلاده"[1].

– سفارة عام 670هـ/1271م

لم تعرف بالضبط غاية هذه السفارة، وقد وردت عن ابن قنفذ أن السلطان الحفصي أرسل "الفقيه أبو سالم القاسم بن أبي بكر ابن زيتون اليمني في سفارة إلى يغمراسن[2] .

– سفارة في الربع الثاني من القرن السابع الهجري(ق14م).

تحدث ابن بطوطة، عندما قام برحلته من تلمسان إلى تونس، أنه عندما وصل إلى تلمسان في عهد السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى[3]، وجد بها رسولي السلطان أبي يحي، وهما قاضي الزواج بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن إبراهيم النفزاوي[4]، والشيخ أبو عبد الله محمد الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي، ولم يشر ابن بطوطة إلى المهمة التي كلفا بها في تلمسان، وذكر فقط أنه رافقهما أثناء عودتهما إلى تونس، قال ابن بطوطة:" إلى أن وصلنا مدينة تونس، فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي، ولقاء أبي عبد الله النفزاوي، فأقبل بعضهم على بعض بالسلام..."[5].

---

[1] بسام كامل شقدان، المرجع السابق، ص113.

[2] ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص132.

[3] أبو تاشفين عبد الرحمن الأول:هو ابن السلطان أبو حمو موسى الأول، بويع له بالحكم بعد مقتل والده سنة718هـ/1318م، في عهده عرفت الدولة العبد الوادية أوج ازدهارها، فنشطت فيها الفنون والصناعات، واتسع العمران، كانت سياسته ترمي إلى متابعة التوسع في الناحية الشرقية، قتل من طرف أبو الحسن المريني أثناء دخوله تلمسان سنة 737هـ/1336م، ينظر: التنسي، المصدر السابق، 141-148.

[4] أبو عبد الله محمد النفزاوي: ذكر ابن بطوطة بأنه أثناء طريق العودة إلى تونس أصابه مرض توفي به في اليوم الرابع عشر من مرضه، وقاموا بدفنه في مليانة، ابن بطوطة ، المصدر السابق، مج1، ص157-158.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص164.

- سفارة 762هـ/1360م

لا تسعفنا المصادر في الإشارة إن كانت قبل هذا التاريخ سفارات بين الدولتين، ويبدو أن نشاط السفارات بين الدولتين تزامن مع ازدهار الدولة الزيانية في عهد أبي حمو، إذ يذكر الزركشي قائلا:" في أوائل صفر عام اثنين وستين قدم لتونس الفقيه أحمد البنزرتي من مدينة فاس وقدم معه رسولان بهديتين أحدهما من قبل صاحب فاس السلطان عبد الحق المريني، والأخرى من قبل صاحب تلمسان أحمد بن حمو الزياني فانزلا في دارين عظيمتين، وأجريت لهما الأرزاق إلى مولانا فأدخلا عليه ومع كل واحد هديته فأكرمهما"[1]، ومن خلال هذه الفقرة يتبين لنا أنها كانت سفارة موجهة إلى السلطان عمر مشتركة بين الدولتين الزيانية والمرينية، ويفسر هذا التوافق خاصة إذا ما علمنا أن سنة 762هـ/1360م هي نفس السنة التي عقد فيها أبي حمو علاقات صلح مع الطرف المريني.

أما سبب السفارة ونتائجها لم ترد في المصادر، التي يبدو أنها تدخل ضمن سفارات المجاملة من أجل توطيد العلاقات، وقد رد السلطان الحفصي على هذه السفارة بأن أكرم كل من السفرين وأعطاهما الهدايا وأرسل سفيره إبراهيم بن نصر بن غانية إذ يقول الزركشي:"في أواخر من ذي القعدة من العام المذكور بعث السلطان هديتين إحداهما لصاحب فاس والأخرى لصاحب تلمسان بصحبة رسوليهما ووجه مع هدية تلمسان رسولا من قبله إبراهيم أبو نصر بن غالية"[2]. على الرغم عدم إشارة المصادر لسبب إرسال السفير إبراهيم مع السفارة الزيانية والمرينية، إلا أنها يبدو من أجل التأكيد على شروط معاهدة وهو ما لاحظناه من خلال السفارات بين دول المغرب الإسلامي، حيث كانت تعقب كل سفارة أخرى يمثلها سفير يكون من كبار الدولة أو فقيها يمثل السلطان من أجل إتمام شروط أو بنود الاتفاق .

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص150.
[2] المصدر نفسه، ص150.

– سفارة عام766 هـ/1364م.

والجدير بالذكر أن الدولة الزيانية أقامت علاقات حسنة مع بني حفص في بجاية وكذلك الحفصيين في تونس، "وهذا راجع إلى أنه بعد وفاة أحمد بن أبي عمارة الحفصي سنة 623هـ/1284م ارتحل أبو زكريا يحي خفية إلى بجاية واستولى عليها في نفس السنة فانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين: القسم الشرقي عاصمته تونس، والقسم الغربي عاصمته بجاية"[1].

فبعد أن استولى الأمير أبو عبد الله الحفصي على بجاية سنة 765هـ/1363م، "تعرض في تلك الأثناء إلى هجمات عمه أبي العباس أمير قسنطينة، الذي هزمه مرتين، الأولى بفرجيوة، في آخر سنة 766هـ/1364م، ولم يستطع أبو عبد الله أن يواجه الحروب في الجبهتين الشرقية والغربية، فآثر أن يغير موقفه إزاء أحد الجانبين، ليستعين به على مقاومة الآخر"[2]. لذلك عزم أبو عبد الله على تحسين علاقاته مع أبي حمو فأرسل سفارة عين عليها أبي عبد الله[3] ، الذي استطاع تسوية الخلاف الذي نشأ بينهما في شأن تدلس، وحاول أن يؤكد له رغبته الكبيرة في توطيد العلاقات بين الطرفين لذلك "تنازل له عليها وأصهر له في إحدى بناته، وتم زفافه في أوائل ربيع الثاني 767هـ/1365، وعلى الرغم من هذه المصاهرة إلا أن الأحوال لم تتحسن في إمارة بجاية، ولم يفتأ الوضع يتدهور بها إلى أن أغار أبو العباس على بجاية، فاحتلها في 20شعبان 767هـ/1365م، وألقي جنوده القبض على أبو عبد الله و قتلوه"[4].

1. عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص 32.
2. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص114.
3. المرجع نفسه، ص114.
4. يحي بن خلدون، ج2، ص 159./ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص115.

- سفارة عام 764هـ/1362م.

كان كل من الأمير أبي عبد الله و الأمير إسحاق يبحث على التأييد والنصرة من أجل تأمين حدودهما والبحث على الاستحواذ على المناطق الشرقية، ولهذا سافر الأمير أبو عبد الله إلى تلمسان وفي أثناء ذلك وصل رسول الأمير أبي إسحاق وهو يحي بن ومازير[1]" وذلك أن الأمير أبا إسحاق لما تحقق عنده وصول ابن أخيه لتلمسان، وأنه تأمن من المولى أبي حمو، خاف ما يتطرق إليه بسبب ذلك، وما ينجر بهذا القصد من المهالك...فاتفق أن أسعفه المولى أبو حمو بالمصالحة على شروط شرط عليها وأمور خفية أودعها لديه..."[2]، وهكذا استطاع أبو إسحاق الحصول على اتفاق مع أبي حمو في حين عاد الأمير أبو عبد الله دون أن يحقق نتيجة من سفره، ومع توتر علاقته مع القبائل قرر أن يرسل سفارة إلى أبي حمو ترأسها يحي بن خلدون الذي كان حاجبا عنده، "يستأذنه في القدوم عليه ويطلب مأربه"[3]، وتمكن من الحصول على موافقة على قدومه إلى تلمسان، فسافر إليها في ثامن جمادى الثانية وتم استقباله من طرف أبي حمو إلا أنه لم تحقق سفارته نتيجة وعاد أدراجه.

[1]يحي بن ومازير: هو من كبار الموحدين، وزير السلطان الحفصي أبي إسحاق. زهر البستان،ج2، ص 249.

[2]زهر البستان،ج2، ص 249.

[3]يحي بن خلدون، ج2، ص159.

3-السفارات المرينية بين الدولتين المرينية والحفصية.

ما ميز العلاقات المرينية والحفصية بأنها كانت بالجيدة في أغلب الأوقات، خاصة بعد المصاهرات السياسية التي وطدت العلاقات أكثر، واتجهت السفارات التي كانت بينهما إلى تبيين مظاهرها من خلال إبراز الود بين الطرفين وهذا بتبادل الهدايا .

- سفارة 652هـ/1254م

كانت العلاقات المرينية الموحدية متوترة وفي صراع شديد خاصة في عهد الخليفة المرتضي[1]، "لهذا بحث المرينيون عن حليف لهم ضد الخلافة الموحدية، فأرسلوا سفارة إلى المستنصر ببيعة أهل فاس يحملها وفد هام من مشيختهم. وكان لهذه البيعة أثرها الكبير على السلطان الحفصي فاستقبلهم بالترحاب والتكريم وأجزل عليهم الهدايا والعطايا"[2]، وعندما تولى أبو يوسف يعقوب بعد وفاة أخيه أبي يحي، أرسل مبايعته للمستنصر الحفصي في وفد كبير وهدايا ثمينة، وطلب من المستنصر إعانته ومساعدته في حروبه ضد الموحدين[3]، وهكذا تحالفا الطرفان وتضافرت الجهود من أجل القضاء على العدو المشترك وهو الموحدين.

- سفارة 667هـ/ 1268م

بعد أن تمكن السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من أخذ مراكش ، أرسل على إثرها بسفارة ، إذ يقول ابن قنفذ، "وجه صاحب المغرب الأقصى ...كتابا للمستنصر فيه الإعلام بأخذ مراكش وقتل أبي دبوس، وكانت المراسلة في ذلك بينهما متقدمة والمظافرة على ذلك متداولة"[4].

---

[1] المرتضي:هو عمر بن أبي إبراهيم إسحاق المكنى بأبي حفص، كانت خلافته ثماني عشر شهر، توفي عام 665هـ/1267م.ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 255- 256.

[2] العروسي محمد المطوى، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص187.

[3] المرجع نفسه، ص 187.

[4] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص131.

وهكذا بعد الاستيلاء على مدينة مراكش بعث المستنصر" بهدية فيها من أصناف الخيل والجياد والسلاح والثياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه، وقد بعث بذلك مع جماعة من وجوه دولته كان على رأسهم كاتبه ووزيره أبو عبد الله محمد بن محمد الكناني"[1]، حمله هدايا ورسائل تهنئة، واستطاع هذا الرسول أن يقنع المرينيين بذكر المستنصر على منبر مراكش، فعزز ذلك آصرة العلاقة بين البلاطين[2].

- سفارة 677هـ/1278م

سار أبو زكريا الملقب بالواثق ابن المستنصر "على سنن والده في ربط الصلات بالسلطان أبي يعقوب يوسف، وجوابا على السفارة المرينية التي جاءت للتعزية والتهنئة، أرسل الواثق سفارة ترأسها أبو العباس الغماري[3] قاضي بجاية تحمل هدية حافلة عظم موقعها لدى السلطان المريني"[4].

- سفارة 730هـ/1329م.

بعد أن استولى الزيانيون على تونس بعث السلطان أبو بكر بن زكريا[5] الذي كان جريحا في بونة سفارة إلى السلطان أبي سعيد المريني يستصرخه ضد الزيايانيين، "عين عليها ابنه الأمير أبي زكريا ووزيره أبي محمد ابن تافرجين وقد لقيت هذه السفارة الترحيب الكبير ، وقد تمكن أبو سعيد من الوقوف معه ضد الزيانيين واستطاع في إعادة أبو زكريا على كرسي الحكم، ولهذا نجد بعد أن استتب الحكم للحفصيين قرر السلطان أبو سعيد إرسال سفارة برئاسة إبراهيم بن أبي حاتم العزفي"[6]، وقاضي فاس أبو عبد الله بن عبد الرزاق، وقد اجتمعوا بالسلطان أبي بكر الحفصي حيث حملوا إليه تهاني السلطان

---

[1] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم–عهد بني مرين والواطسيين–، د–م، 1988 ، ج7، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] أبو العباس الغماري: هو أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري، كان فقيه جليلا، تولى القضاء استعمل رسولا بين دول المغرب الإسلامي. الغبريني ، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 45– 46.

[4] عبد الهادي التازي، المرجع السابق،ج7، ص24،

[5] أبو بكر بن زكريا: هو أبو بكر بن أبي زكريا بن إسحاق ولد سنة 692هـ/1292م، كان مكنى بالمتوكل على الله، كانت بينه وبين بني عبد الواد حروب كثيرة، وربط علاقات قوية عن طريق المصاهرة مع المرينيين، توفي سنة747هـ/.1346م. ينظر: ابن الشماع، المصدر السابق، ص 87–91./ الزركشي، المصدر السابق، ص 66–87.

[6] إبراهيم بن أبي حاتم العزفي: من عائلة العزفيين التي حكمت ثغر سبتة وهو من أعيان القرن الثامن الهجري، 14م، عبد الهادي التازي، المرجع السابق،ج7، ص25.

المريني إلى عرشه وبلغوه رسالة رغبته في المصاهرة بخطبته للأميرة فاطمة لابنه أبي الحسن وهكذا أثمرت هذه السفارة بمصاهرة بين البلاطين[1].

لقد أصبحت الدولة الحفصية بعد هذه المصاهرة" أقوى صلة وأكثر ارتباطا، ولهذا نراها تشاطر السلطان أبا الحسن اهتمامه في الجهاد ضد نصارى قشتالة، وعلى إثر ذلك وردت سفارة من المرينيين إلى تونس سنة 740هـ/1339م تطلب فيها بتجهيز الأسطول، وذلك أعقاب المعركة التي حدث بين النصارى وأبي الحسن، فأرسل إليه السلطان أسطولا وعين عليه القائد زيد بن فرحون، وقد استطاعوا بفضله خرق الحصار الذي كان القشتاليون يضربونه على الذين يحاولون الجواز إلى الأندلس وحققوا نصرا كبيرا عليهم"[2].

– سفارة عام 758هـ/1356م.

كانت العلاقات المرينية الحفصية جيدة في أغلب الفترات، إلا أنها توترت بسبب السفارة التي أرسلها أبو عنان من أجل خطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحي أبي بكر وعين على ترأسها أبو عبد الله محمد ابن مرزوق، وقد رفضت الزواج منه وقالت: " بلغني أن فيه قلقا يمنع من عشرته"[3]، ونتيجة لرفضها الزواج أدى هذا إلى سجن ابن مرزوق ستة أشهر بسبب فشله خطبتها، يبدو أن السلطان المريني انساق وراء الوشايات التي ألبته على ابن مرزوق لعدم تفانيه في تحقيق الخطبة[4] ، "وأما مضمون الوشاية، فتتمثل في إشاعة خبر اختفاء الخطيبة بتونس، بدعوى أن ابن مرزوق كان مطلعا على مكانها مما آثار حفيظة أبي عنان عليه"[5].

---

[1] ولد خسال سليمان ، المرجع السابق، ص333.

[2] عبد الهادي التازي، المرجع السابق،ج7، ص 26.

[3] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 174-175 .

[4] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 530./الزركشي، المصدر السابق، ص98./ ابن مرزوق محمد التلمساني، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص307./ مصطفى نشاط، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، مطابع أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 58.

[5] مصطفى نشاط ، المرجع السابق، ص 58.

ثالثا: دور العلماء والفقهاء في السفارة بين دول المغرب الإسلامي:

كانت الحروب سجالا بين هذه الدول، مما أدى إلى مشاركة العلماء في الحياة السياسية بوقوعهم طرفا في الصراع الدائر بين هذه القوى الثلاث فقد أقحموا في مهمات سياسية للعب دور الوسيط والإصلاح بين المتخاصمين، فكُلفوا بعدة سفارات ومراسلات بين مختلف الأطراف[1].

1-علاقة العلماء بالسلطة:

إن الغرض من الاعتماد على هؤلاء الفقهاء في الحكم هو البحث عن التأييد والشرعية إذ ليس من مصلحتهم أن تكون علاقاتهم بهم سيئة لأنهم بحاجة ماسة إلى تأييدهم وتعاونهم[2]، مثال على ذلك إكرام أبي حمو موسى الأول الفقيهين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت743هـ/1342م) وأخيه أبي موسى عيسى[3] .

نجد أن الإمام الطرطوشي أمر بأخذ مشورة الفقيه لعلمه بقانون السياسة إذ قال:" فاتخذ أيها الملك العلماء شعارا والصالحين دثاراً، فتدور المملكة بين نصائح العلماء، ودعوات الصلحاء، وأخلق بمُلك يدور بين هاتين الخصلتين أن تقوم عُمُده، ويطول أمده" [4].

---

[1] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص116.

[2] ولد خسال، المرجع السابق، ص375.

[3] أبو زيد عبد الرحمان بن محمد و أبو موسى عيسى: المشهورين ببني الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام التنسي البرشكي رحلا في شبابهما إلى تونس فأخذوا العلم عن جماعة من العلماء أمثال ابن العطار والبطروني و سافرا إلى المشرق في حدود 720هـ/1320م و كان يذهبان إلى الاجتهاد وترك التقليد وأخذ عنهم عدد من الأئمة كالشريف التلمساني والمقري و ابن مرزوق الجد. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص245./ يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص130./ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص222- 223.

[4] أبو بكر بن محمد الطرطوشي، سراج الملوك، حققه محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، دار المصرية اللبنانية، مصر، 1999، مج1، ص 217-216.

من نماذج تقريب سلاطين المغرب الإسلامي للعلماء، أنه لما نقض السلطان أبو عنان (749هـ/1348م-759هـ/1358م) بيعة أبيه ندب الفقيه أبا عبد الله المقر ي[1] (ت759هـ/1359م) لكتابة البيعة فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود[2] "وكانت الأسباب التي جعلت أبا عنان يختاره لذلك مكانته العلمية بتلمسان التي لم يكن ينافسه فيها أحد خاصة مع توجه جل العلماء آنذاك في صحبة السلطان أبي الحسن (732هـ/1331م -759هـ/1358م) المريني إلى إفريقية، إضَافة إلى أنه لم تكن في عُنُقِه بيعة لأي سُلطان"[3].

يتضح من خلال ما سبق أن سلاطين المغرب الإسلامي، وضعوا معالم دبلوماسية تنظم وتضمن استمرار علاقتهم مع غيرهم من الدول، حيث وضعوا ضوابط وشروط في اختيار السفراء، وهو ما يظهر جليا في اختيارهم لشخصية العالم أو الفقيه الذي اعتبر الأقدر أكثر من غيره في نجاح المهمات التي يكلف بها .

2-سفارات العلماء والفقهاء بين الدولتين الزيانية والمرينية:

قام العلماء والفقهاء بعدة أدوار في الصراعات السياسية التي شهدها بلاد المغرب الإسلامي، ومن الأدوار التي قام بها العلماء خلال الأحداث والصراعات الخارجية:

- تكليف الفقيه محمد بن مرزوق الجد بسفارة من طرف أبي سعيد، ذلك أنه لما استعاد عرش تلمسان من المرينيين، فكر أبو السلطان أبو الحسن في حشد قواته والزحف على تلمسان

[1] أبو عبد الله المقري: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن القرشي المقري التلمساني، من أكابر فقهاء المالكي في وقته، ولد ونشأ بتلمسان رحل إلى المشرق وحج وأخذ من علماء مصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس وعاد إلى بلده وتولى خطة القضاء في الدولة المرينية على عهد أبو عنان و لأبن مرزوق الحفيد كتاب في سيرته سماه النور البدري في التعريف بالمقري. يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص121./ التنبكتي: نيل الابتهاج، ص420. /محمد الكتاني، الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن محمد الطيب الكتاني و محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004. ص298./ أبو الأجفان، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، ص23، 24. /نبيل شريخي، المرجع السابق، ص78

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 421 .

[3] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص78.

لاسترجاعها، فرأى السلطان الزياني المخرج في الحل الدبلوماسي فاستدعى ابن مرزوق إذ يقول :" فلما وصلت تلمسان رغب مني سلطانها أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت محاولة الصلح مع السلطان أبي الحسن فأقمت بتلمسان ووجهت له فجاء من تونس إلى الجزائر عازما على الصلح"[1] غير أن مهمة ابن مرزوق فشلت بسبب سجنه من طرف أبي ثابت شقيق السلطان أبي سعيد لعدم علمه بهذه المأمورية فغضب على أخيه وعاتبه وأمر بسجن الفقيه ابن مرزوق[2].

كما بعث المرينيون سفارة برئاسة السلطان "الأمير تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب، ووفد هام من زعماء وفقهاء بني مرين، وقد نجحت هذه السفارة في التمهيد لإبرام عقد الصلح بين الدولتين"[3]، ومع الأسف لا تشير المصادر التي بين أيدينا إلى أسماء هؤلاء الفقهاء، ولاشك بأنهم كانوا من كبار العلماء الأجلاء في تلك الفترة.

وفي سنة763هـ/1361م أرسل الفقيه أبو القاسم بن رضوان رسولا من قبل أبي سالم السلطان إذ ذكر صاحب زهرة البستان الحوار الذي دار بين الرسول ابن رضوان والسلطان أبي حمو أورد قائلا:" ثم قال ابن رضوان المذكور: إن مولاي أبا سالم قد استحسن منك هذا الصلح ...وإنه قد بعثني إليك لأكمل عقد المصالحة وأشهد عليك بهذه الفعلة الصالحة . ثم قال له : لكَ ذلك"[4]، وتمكن بذلك من تحقيق هدنة لمدة أربعة أشهر كاملة ونال كل واحد من الصلح أمله[5].

أورد صاحب البستان في حديث يطول كيف تم إبرام الصلح بين السلطانين أبي زيان محمد بن يعقوب والسلطان أبي حمو، وقد برزت نية حرص أبي حمو لعقد الصلح إذ جاء في زهر البستان على لسان أبي حمو:" نعم ما ذهب إليه أبو زيان، ونعم السجية الأمان من السلطان، هذا رأي يجب أن يساعد عليه شرعا، وينقاد إليه المسلم طوعا، لاسيما ألفة كلمة الإسلام التي هي عُمدت

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص307.
[2] التنبكتي: نيل الابتهاج ، المصدر السابق، ص451./ ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص308.
[3] سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص331.
[4] مجهول ، زهر البستان، ج2، ص 135- 136.
[5] المصدر نفسه، ص136.

الاعتصام"[1]، ومن أجل إبرام شروط الصلح أرسل أبا زيان القاضي والفقيه أبا سالم البرجي[2] أما أبو زيان فعين الفقيه العالم محمد الشريف محمد ابن أحمد الحسني التلمساني وقد أورد صاحب البستان كيف تم ذلك إذ قال:"...فأقام إليه السيد الشريف، وقال" يا أمير المؤمنين، لا أحد أنصف من نفسه من أئمة المسلمين، ثم أخذ في الإطناب، وفيما نالاه في إصلاح ذات البين من الثواب، وتطاول الحديث بكلام يلين النفوس، ويذهب بالبؤس، ثم سكنت همهمة الأصوات، وطمحت الأصوات بالالتفات... "[3].

وهكذا تم عقد الصلح بين الطرفين وتمكن من خلال ذلك أن يفك الأسرى من بني عبد الواد، وكان لهذا الصلح الأثر الكبير على الدولتين وهو ما ذكره لنا صاحب زهر البستان" ولما انصرف الرسولان ورفع الله سبحانه سبب الخلاف والشنان، شاع الخير في الأقاليم، وفرح الخاص والعام بهذا الصلح الدائم..."[4].

3-سفارات العلماء بين الدولتين الزيانية والمرينية أثناء الصلح.

عرفت العلاقات الزيانية والمرينية فترات من السلم، حيث كانت تشكل تبادل الهدايا بين الدولتين من أهم المظاهر التي تأكد على رغبتهم في استمرار الصلح وتجديده.

---

[1] زهر البستان، المصدر السابق، ص182/ يحي بن خلدون ، بغية الرواد، ج2، ص98-99.

[2]أبو سالم البرجي: الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحي البرجي، وهو من برجة الأندلس كان كاتب السلطان أبي عنان، وصاحب الإنشاء والسر في دولته وكان مختصا به، برز في النظم والنثر، عالم في الإقدام على الخلفاء، ممن تقدمت له الخدمة مع الاعيان والشرفاء. ابن خلدون، العبر،ج7، ص537-538./ مجهول، زهر البستان، المصدر السابق، ص182.

[3]زهر البستان، المصدر السابق، ص185-186.

[4]المصدر نفسه، ص185.

ففي سنة764هـ/ 1362م أرسل السلطان المريني أبو زيان بن أبي عبد الله سفارة عين عليها الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن الإمام مع الوزير عمر بن عبد الله بن علي، وكانوا محملين بهدية إلى السلطان أبي تاشفين مشتملة على عشرين فرسا مسرجة ملجمة[1].

ومن أجل تأكيد الصلح بين الطرفين سنة 776هـ/ 1374م ذكر يحي بن خلدون قائلا:" أرسل أبو حمو الشيخ أبا عمران موسى بن خالد بن محمد إلى ملك المغرب السلطان أبي العباس أحمد لتجديد عهد المصادقة وتثبيت عقد السلم فتكمل ذلك وعاد"[2].

قد وردت في كتب التراجم أسماء لعلماء تولوا السفارة بين الدولتين، لكن النصوص لم تسعفنا لمعرفة أسباب هذه السفارات وظروفها أمثال: محمد بن منصور الغماري الصنهاجي التلمساني الشهير بالأشهب(ت791هـ/1379م) قال تلميذه الإمام ابن مرزوق الحفيد شيخنا:" الإمام العلامة، توفي بفاس وقد توجه رسولا إليها من تلمسان في أواخر سنة 781هـ/1389"[3].

و من أبرز العلماء الذين تولوا السفارة بين الدولتين، شخصية الفقيه أبو عبد الله الشريف الذي استعمل في أكثر من مرة في السفارة بين دول المغرب الإسلامي، ولقد رأينا فيما سبق أنه استعمل للسفارة بين الزيانيين والمرينيين، حيث ترأس سفارة بطلب من أبي حمو الثاني إلى صاحب بجاية الأمير أبي إسحاق ابن أبي يحي الحفصي لطلب الصلح سنة 764هـ/1363م[4].

في سنة 762هـ/1360م " قدم لتونس الفقيه أحمد البنزرتي من مدينة فاس وقدم معه رسولين بهديتين أحداهما من قبل صاحب فاس السلطان عبد الحق المريني والأخرى من قبل صاحب تلمسان

[1] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص225.
[2] المصدر نفسه، ص 287- 288.
[3] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص252.
[4] يحي بن خلدون، ج2، ص117.

...فأنزلا في دارين عظيمتين"[1]، إلا أنه لا تشير المصادر لسبب هذه السفارة، وهي الأرجح تدخل ضمن سفارات المجاملة.

عندما خرجت بجاية من يد الأمير عبد الله استنجد بطلب النصرة من السلطان أبي حمو، ووجه إليه سفارة عام سنة 766هـ/1264م ترأسها يحي بن خلدون[2] يستأذنه في القدوم إليه، وبعدها أرسل سفارة أخرى وعين عليها الفقيه أبا عبد الله محمد بن يوسف القيسي وقد كان لهذه السفارة أثر كبير حيث تمكن من الحصول على رضا السلطان أبي حمو من أجل استقباله ورحب به إذ قال صاحب زهر البستان: "فكان وصوله لتلمسان في ثامن جمادي الأخرى وحلوله بخير مكان، فبايعه بمشوره المنيف، ولقي منه ما رجاه من الأمن بعد التخويف فأنزله بدار الكرامة وتوعده بالموالاة في الظَّعْن والإقامة ببني عبد الواد"[3].

4- سفارات العلماء بين الدولتين المرينية والحفصية.

كانت العلاقات بين الدولتين الحفصية والمرينية جيدة، ولم تعرف التوتر الذي عرفته الدولة الزيانية، لذا نجد أن أغلب السفارات كانت أثناء فترة السلم. ولهذا قمنا بتقسيم السفارات إلى:

أ- سفارات من أجل تجديد الصلح.

ترأس ابن مرزوق الخطيب سفارة بطلب من السلطان أبي الحسن إلى بلاد افريقية مع أبي عمران موسى بن إبراهيم بن عيسى الزناتي، من أجل التفاوض مع الأمير الحفصي لتعيين ابنه يحي إذ قال:" فوصلنا بجاية وكان بيننا وبينه من الحديث ما كان عرض لنا فقهاؤها وصلحاؤها طالبين ووصول إمامنا

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص150.

[2] يحي بن خلدون: شغل يحي بن خلدون مناصب سياسية وإدارية في خدمة الأمير أبي عبد الله الحفصي، وفي خدمة السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، ثم في بلاط الأمير عبد العزيز المريني، ثم عاد أخيرا إلى خدمة أبي حمو الثاني،بتلمسان، الذي قتل في رمضان سنة 780هـ/1378. يحي بن خلدون ، بغية الرواد،ج2، ص 27.

[3] مجهول، زهر البستان،ج2، ص258-259.

إليها ودخولهم تحت إيالته"[1]، ولقد استطاع ابن مرزوق بحنكته السياسية وثقافته ومكانته أن ينجح في سفارته ويعين المناطق التي لكل طرف، وهو ما نستشفه من خلال الحوار الذي دار بينه وبين السلطان الحفصي.

ب-سفارات من أجل المصاهرة وتبادل الهدايا.

من المهام التي كلف بها أيضا العلماء والفقهاء، السفارة من أجل المصاهرة باعتبارهم من علية القوم وأكثرهم شأنا والممثلين للسلطان في الخطبة ومن الأمثلة على ذلك:

في سنة746هـ/ 1345م تولى الإمام السطي سفارة من أجل رسم خطبة بنت السلطان أبي يحي للأمير أبي الحسن المريني[2]، "وتمت الخطبة بنجاح، وتم الاتفاق على الصداق سنة 747هـ/1346م، وعلى إثر ذلك تعززت العلاقات بين الدولتين وقد ذكرنا فيما سبق كيف أصبحت تونس بعد هذا الحدث أقوى صلة وأكثر ارتباطا مع المغرب من أي وقت مضى"[3].

إن كان بعض الفقهاء وفقوا في السفارة من أجل المصاهرة فابن مرزوق الخطيب "يعتبر من العلماء الذين سجنوا ثلاث مرات مختلفة لأسباب سياسية، كلها ترتبط بالأجواء السياسية السائدة بالمنطقة، وبطبيعة الدسائس، فقد سبق وأن سجن من لدن السلطان العبد الوادي أبو ثابت مثلما سبق ذكره، وسجن مرة أخرى عندما أرسله السلطان أبو عنان لخطبة الأميرة الحفصية، والتي آلت الخطبة إلى الفشل. مما دفع أبو عنان إلى أن يبعث يحيى بن شعيب بن مقدمي"[4] .

[1] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 253- 254.
[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 78.
[3] عبد الهادي التازي، ج7، المرجع السابق، ص25.
[4] يحيى بن شعيب بن مقدمي: من كبار الشرطة عند السلطان أبو عنان. مصطفى نشاط، المرجع السابق ، ص 58.

ج- سفارات من أجل تبادل الهدايا والتعزية.

بعد وفاة السلطان المستنصر، استمر السلطان أبو زكريا الملقب بالواثق على سنن والده في ربط الصلات بالسلطان المريني أبي يوسف، وجوابا على سفارة مغربية للتعزية والتهنئة أرسل الواثق بوفادة سنة 677هـ/1278م ترأسها أبو العباس الغماري[1] "قاضي بجاية تحمل هدية حافلة عظم موقعها لدى السلطان المريني، الذي أكرم الوفادة وأجّل مقدمها وقد كان للسفير الغماري صيت طيب بالمغرب تحدث عنه الناس ردحا من الزمان"[2].

5-أثر السفارة في توثيق العلاقات بين دول المغرب الإسلامي.

إن السفراء لم يكونوا يكتفون بتبليغ الرسائل وتأدية المهام المنوطة بهم فقط، وإنما يغتنمون فرصة حلولهم بالبلد المبعوثين إليه "ليتفرغوا للمناقشة والمناظرة في مجالسه وحلقاته، فهذا أبو إسحاق التنسي كلما زار مدينة فاس سواء في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدبلوماسية، التي كان يقوم بها بين السلطان الزياني والمريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث، وقد كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير وصار يعد من أساتذته بهذه الديار، ترك أبو إسحاق سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء"[3]، فقد قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب: "ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته"[4].

---

[1] أبو العباس الغماري: وهو أحمد بن عيسى عبد الرحمن الغماري وكان له لسان يستنزل له العصم كان جادا طلبا مناصبا للأمراء ومناصبا لهم وسيوسا مع ذلك لهم، وكان قاضيا بذات العلمية وولي المنصب مع ذلك في بلاده وفي بجاية كرتين وتوجه رسولا إلى ملك المغرب مرارا من المستنصر بالله ومازال ناجح أسعي سديد الرأي وكان سريع البديهة بالجواب بطبق المفصل بموافقة الصواب. أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص 46-45. /عبد الهادي التازي، ج7، المرجع السابق، ص24.

[2] عبد الهادي التازي، ج7، المرجع السابق، ص24.

[3] مبخوت بودواية وهوراية بكاي، "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين 7-9 الهجريين"، مجلة الفسطاط الالكترونية، www.fustat.blogspot.com تاريخ زيارة الموقع 2016/8/22.

[4] عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، دار موفم ، الجزائر، 2007، ج2 ، ص330

من عادة السلاطين حبهم للمحاورة مع السفراء وذكر ابن مرزوق الخطيب في المسند الحوار الذي كان بينه وبين السلطان أبي الحسن إذ قال:" قدمني رسولا مع الوزير أبي عمران موسى بن إبراهيم بن عيسى الزياني إلى بجاية لان يعرض على الأمير أبي عبد الله الأمير أبي زكرياء يحي ابن السلطان أمير المؤمنين أبي يحي أبي بكر ما أمرنا بإنهائه إليه، فوصلنا بجاية وكان بيننا وبينه من الحديث ما كان عرض لنا فقهاؤها وصلحاؤه"[1]، ومن الأمثلة على انتهاز الطلبة لقدوم العالم في سفارة ما ذكره المقري قائلا:"... فقد ورد فاسا شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي عرف بابن المسفر، رسولا عن صاحب بجاية، فزاره الطلبة، فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين، واستشكله الشيخ معه من وهذا نصه ... فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي فتأمله ثم قال: هذا كلام مصحف"[2].

وقد بلغ اهتمام السلاطين بالعلماء أن أرسل السلطان أبو عنان سفارة من أجل إحضار الآبلي، وخلال رحلة قدومه إلى فاس" مر ببجاية ودخلها، وأقام بها شهرا، حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه برغبتهم في ذلك ومن صاحب الأسطول"[3].

من خلال ما سبق ذكره في هذا الفصل يتضح أن أغلب المصادر التاريخية تذكر أن أهم ما يميز العلاقات بين دول المغرب الإسلامي هو احتدام الصراع بين الأطراف، إلا أنه من خلال هذه الدراسة نستنتج أنه في خضم هذه الأوضاع السياسية المضطربة، اهتم السلاطين بتخفيف حدة الصراع وهو ما يبرز عنايتهم بالجانب الدبلوماسي ويفسر لنا سبب اختيارهم للعلماء لأداء المهمات، وقد تجلى دورهم في نجاحهم في أغلب سفاراتهم من خلال إبرامهم لشروط الصلح والمعاهدات، كما انعكست هذه السفارات على الجانب الثقافي لدول المغرب الإسلامي من خلال

---

[1] ابن مرزوق، المسند، ص53-54.

[2] المقري، نفح الطيب، ج5، ص246.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص521.

تبادل المؤلفات وحلقات العلم التي كان يعقدها العلماء فساهم ذلك في تنشيط الحركة العلمية بين الحواضر فاس وتلمسان و تونس.

الفصل الثاني: السفارات بين دول المغرب الإسلامي وبني الأحمر.

أولا: السفارات بين الدولة الزيانية وبني الأحمر.

1-السفارات بين الدولتين.

2-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي لدولة بني زيان وبني الأحمر.

3-خصائص الرسائل الديوانية:

ثالثا: السفارات بين الدولة المرينية وبني الأحمر.

-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين المرينية وبني الأحمر.

رابعا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة بني الأحمر.

1-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين الحفصية وبني الأحمر.

2-جدول يبين السفراء الذين ترددوا على بلاط سلاطين المغرب الإسلامي وبني الأحمر.

أولا: السفارات بين الدولة الزيانية وبني الأحمر[1].

إن الصلات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العصر الوسيط عرفت منذ قيام الدولة الرستمية والتي تطورت فيما بعد[2]" لتبلغ أوجها عندما تأسست الدولة الزيانية سنة 633هـ/1235م، فكانت العلاقات قائمة بالدرجة الأولى مع غرناطة في عهد ملوك بني نصر، وقد تضافرت العوامل لتوطيد هذه العلاقات بين تلمسان وغرناطة، وإرسائها على أسس متينة، إذ أن هناك تشابه كبيرا بين المدينتين من حيث موقعهما ومناخهما، وكونهما عاصمتين لدولتين ثم ازدهارهما في نفس الفترة"[3].

ثم كانت المنافسة التي قامت بين دول المغرب الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية، "وتطلع المرينيين خاصة من أجل توسيع نفوذهم وسلطتهم عبر سائر أقطار المغرب الإسلامي، وتحالفهم في مناسبات

[1] ينتسب ملوك بني الأحمر أو بني نصر لمؤسس دولتهم محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري، وتذكر بعض المصادر أن نسبهم يرجع إلى سيد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله بن الصامت الخزرجيوأما عن سبب تسميتهم ببني الأحمر، فقد اختلفت في شأنها الروايات، ويقال أن هذه التسمية ترجع إلى نضارة وجه مؤسسها محمد بن يوسف و احمرار شعره، وكان يعرف بالشيخ ويلقب بأمير المسلمين، ويرى البعض أنها أسبغت عليه لإنشائه حصن الحمراء.ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2009، ص57-75./ مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2007، ص267-268./ ابن عذاري، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 296. ينظر: ابن عبد البر النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، مج1، 1992، ص 594-595. عبد الله عنان، ، العصر الرابع، المرجع السابق، ص52.

[2] إن العلاقات بين الدولتين سابقة لهذه الفترة وترجع للفترة العهد الأموي والدولة الرستمية حيث قامت العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والرستميين على أسس التحالف المتين والصداقة المتبادلة، وقد بدأت هذه العلاقات في وقت مبكر حيث إن مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، عبد الرحمن بن معاوية حين فر من العباسيين لجأ إلى المغرب الأوسط وأقام بين بني رستم ، ظلت الدولتان تسعى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى ففي سنة 207هـ/822م بعث الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبناءه الثلاثة وهم: دحيون وعبد الغني وبهرام في سفارة رستمية إلى قرطبة وكان يوم وصول هذه السفارة إلى قرطبة يوما عظيما مشهودا.ينظر: ابن الأبار أبو عبد الله، الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارض، القاهرة، ط2، 1985،ج2 ص 372. . ابن القوطية أبو بكر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 1989، ص 8./عبد القادر بوباية،"علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس"، مجلة التراث العربي، العدد99-100، 2005، ص822/ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع ،ط3، 1987، ص216.

[3] عبد الحميد حاجيات، "تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط"، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد الثاني، 2011، ص 39.

عديدة وارتباطهم الوثيق في تقلبات سياسية كثيرة، واسْتُهْدِفتا من طرف النصارى، فكانت العلاقات بينهما تخدم مصلحتهما، وتمتاز دائما بطابع التحالف و التضامن والتفاوض المستمر بين الجانبين"[1].

1- السفارات بين الدولتين.

استقبل البلاط الزياني الكثير من السفارات والرسائل بين تلمسان والأندلس والتي كانت في أغلبها من أجل طلب النصرة من هجمات النصارى، وكذلك تم تبادل الهدايا من أجل توطيد علاقات المودة بين الدولتين.

- **سفارة عام 676هـ/ 1278م.**

في إطار العلاقات الجيدة التي جمعت السلطان الزياني يغمراسن مع بني الأحمر، " أرسل يغمراسن بسفارة محملة بالهدايا تمثلت في تحف ونفائس من منتوجات بلاده، وكان من بينها ثلاثون من عتاق الخيل، وثياب من عمل الصوف الجيد الرفيع، وفي المقابل فإن السلطان النصري قد بعث إلى السلطان يغمراسن نظير ذلك مبلغ عشرة آلاف دينار صحبة مروان التجاني كفء ذلك عشرة آلاف دينار، فلم يرضى يغمراسن بالمال في هديته وردها على صاحبها وما كان هذا الصنيع ليعكس عن صفو العلاقات الحميمية بين الدولتين التي استمرت فيما بعد"[2].

---

[1] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص39.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 266-267./ عبده بن محمد عواجي القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية 630-897هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 1998، ص111.

– سفارة عام 684هـ/ 1285م.

لم يتخل السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن عن تقديم المساعدة لبني الأحمر، حيث زودهم بالمؤن ليواجهوا ضربات النصارى، وهنأ سلطان بني الأحمر الزيانيين بعودة تلمسان إليهم، كما شكره على ما يتم تقديمه لهم من مساعدة[1].

– سفارة 763هـ/ 1361م.

تسكت المصادر بعد عهد أبي سعيد الزياني حول العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، إلى غاية فترة حكم أبي حمو موسى الثاني التي عرفت العلاقات بين الدولتين على عهده نشاطا كبيرا.

ففي سنة 763هـ/1361م وصل الفقيه الكاتب إبراهيم بن الحاج[2] رسولا من الأندلس يطلب من السلطان الزياني أبي حمو، "إعانتهم على محاربتهم عدو الله ورسوله حسبما جرت عادته بذلك"[3]، فأرسل السلطان الزياني" خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف من الذهب للكراء عليه في البحر"[4]، وكان ضمن وفد السفارة الفقيه أبو محمد عبد العزيز بن علي بن يشت، الذي حمل قصيدة إلى السلطان الزياني جاء فيها:

عَرِج على الدَّارِ مِن سَلْمَى تُحَيِّيها   واسْتَوقَفَ العِيْس في أطْلاَلِ نَادِيْهَا

[1]لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980، مج1، ص 265./محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال افريقية64-897هـ/683-1492م، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1986، ص500-503.

[2]إبراهيم بن الحاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد قاسم النميري، المعروف بابن الحاج الغرناطي، والقبب برهان الدين، كان فقيها وقاضيا وعالما، ولد عام 713هـ/1313م،كان سفيرا لدى بن الأحمر، كما عمل كاتبا في البلاط المريني، وألف كتابه الشهير فيض العباب، أثناء تجواله مع أبي عنان في رحلاته داخل المغرب، يختلف المؤرخين في سنة وافته والتي هي الأرجح (760هـ/1358م-780هـ/1378م.ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، المصدر السابق، ص 342./ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق، ص91.

[3]يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص107.

[4]المصدر نفسه ص107.

وَنَاد يا دَارَها بالجَزَعِ مِن كَثَبْ حيّيتِ مِن دِمْـنةٍ رَاقَتْ مَعَـانِيْهَا[1].

فأحسن إليه السلطان الزياني بحصان من عتاق الخيل أشهب وثلاثين من الذهب العين وكسوة حسنة[2].

-سفارة عام 767هـ/1365م.

وجه السلطان النصري أبو عبد الله محمد الغني بالله عام 767هـ/1365م نداءا إلى بني زيان ليهبوا لنصرته ضد ضربات النصارى[3]، وكان ذلك النداء من نظم الشيخ الفقيه أبي البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي[4] جاء فيها:

هَلْ مِنْ مُجِيْبٍ دَعْوَةَ المسْتَنْجِدْ أَمْ مَنْ مُجِيرٍ لِلْغَرِيبِ المفرد

هَلْ مِنْ وَلِي نَاصِر دِين الهُدَى أَوْ ذِي حِمَى يَحْمِي حَنِيفة أَحْمد[5].

كان لهذه السفارة أثر كبير على السلطان الزياني إذ يقول يحي بن خلدون:" وامتعض خليفة الله أيده الله لدين الإسلام واستفزته أريحية الشجاعة وعطفته على غرباء المسلمين بالعدوة رحم الملة وحجزه البحر الزاخر عن الوصول إليه بنفسه فأمدهم في سبيل الله الأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعاً أجزل الله ثوابه ...وجعل الفوز بالحسنى مآبه"[6]، ونتيجة

---

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص107.

[2] المصدر نفسه، ص113.

[3] عبده بن محمد عواجي القهار، علاقات مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص112.

[4] أبو البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي: من مشاهير القضاة، عرف بالبلفيقي نسبة إلى حصن من عمل مدينة المرية.ينظر: أبو الحسن النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس-المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا- منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983، ص164-165.

[5] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص160.

[6] المصدر نفسه، ص165

للدعم الزياني استطاع بنو نصر من تحقيق عدة انتصارات أهمها تحرير الجزيرة الخضراء وطرد النصارى منه[1].

– سفارة 768هـ/ 1366م.

أرسل أحد سلاطين بني الأحمر بوفد يحمل الكثير من الهدايا والتحف نفيسة وبينما الركب سائر في طريقه إلى مرسى هنين تعرض للقرصنة من طرف النصارى سنة768هـ/1366م، فأسروه ولم يسمحوا لهم بالمغادرة، حتى تدخل السلطان أبو حمو وافتداه بسبعة آلاف دينار [2].

– سفارة 774هـ/ 1372م.

وفي الأول من رجب قدم إلى البلاط الزياني رسول السلطان أبي عبد الله محمد الغني بالله، في غرض التهنئة محملا بهدية إذ يقول يحي بن خلدون:"...فأكرم، أيده الله، نزله، وأوسع بره، وحباءه، وراجع مرسله بما يناسب تودده من الشكر والثناء العاطرين وصرفه."[3] وتدل هذه السفارة على غرار السفارات الأخرى على عميق الود الذي جمع بين الدولتين، التي كانت في أغلبها من إنشاء لسان الدين بن الخطيب، ومنها الرسالة التي جاء فيها:

وَقَّفَ الْغَرَامُ عَلَى ثَنَاء لِسَانِيّ   رَعيًا لَمَّا أَوَلِيَتْه مِنْ إحْسَان
فَكَأَنَّمَا شُكْرِي لَمَّا أَوَلِيَتْهُ شُكْرُ   الرِّيَاض لِعَارِضِ النِّسْيَان
أَنَا شِيعَةُ لَكَ حَيْثُ كُنَّتْ قَضِيَّةٌ   لَمْ يَخْتَلِفْ فِي حُكْمِهَا نَفْسَانِ
وَلِقَدْ تَشَاجَرَتْ الرِّمَاحُ فَكُنْتِ فِي   مَيْدَانِكَ نَهر فارس الْفُرْسَانَ[4]

[1] عبده بن محمد عواجي القهار، المرجع السابق، ص115.
[2] ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص 363
[3] يحي بن خلدون ، بغية الرواد، ج2، ص259.
[4] المقري، نفح الطيب،ج9، المصدر السابق، ص214.

كما قال في قصيدة أخرى:

أنْت الذي أمْددت ثَغر الله بالصـ قات تَلْبِس كُرة إبليسا

وَأَعَنْتِ أنداسا بِكُلُّ سَبِيكةِ مُوسَوِيَّةٍ لَا تَعْرُفُ التَدنيسا

وَشحنتُهُ بِالْبَرِّ فِي سَبِيل الرِّضَا وَالْبَرِّ قَارَبَ قَاعُهَا القَامُوسا[1]

هذه رسائل الود وكذلك الرسائل الدبلوماسية، فإن دلت على شيء فإنها تدل على حرص السلاطين على توطيد العلاقات السياسية بين الدولتين ، "وهذا ما جعل المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان محطة هامة لاستقبال الأندلسيين، كما كان للمساعدة الزيانية دور في تأخير سقوط الأندلس من خلال المعونات، أما في الجانب الحربي فقد كان جيش بني الأحمر يشمل كثيرا من فرسان بني عبد الواد ضمن فرقة الغزاة "[2] ، هذا وعلى الرغم من البعثات الدبلوماسية الكثيرة التي كانت تتوجه من تلمسان إلى الأندلس أو العكس، فإننا نجد القليل منها فقط على عكس الرسائل الحفصية والمرينية التي ظلت محفوظة في المصادر والأرشيفات، وقد عبر المؤرخ عبد العزيز فيلالي بأن هذا لغز محير للغاية[3]، فلو تمكنا الوصول لهذه الرسائل لكشفت لنا الكثير من الحقائق التاريخية التي تخص خاصة الجانب الدبلوماسي ودور السلاطين الزيانيين في مساعدة الأندلس.

2- أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي لدولة بني زيان وبني الأحمر.

كان لتبادل السفارات والرسائل بين الدولتين أثر كبير في تمتين الروابط بينهما، وهو ما أدى إلى هجرة الأندلسيين نحو المغرب الأوسط، خاصة مع تشجيع السلاطين الزيانيين للعلماء، للاستقرار بها، حيث استقبلت وفود كثيرة من العلماء والكتاب والصناع الذين استقروا لا سيما بالعاصمة تلمسان

[1] المقري، نفح الطيب،، ج8، ص330- 331

[2] عبد القادر بوحسون، الأندلس في عهد بني الأحمر-دراسة تاريخية وثقافية(897-675هـ/1238-1492م)-،رسالة دكتوراه،. جامعة تلمسان، 2012-2013م،ص50-51 /عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 43.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص458.

وكان لملوك بني زيان "دار الصنعة"، لإنتاج الأسلحة والعتاد الذي هي بحاجة إليه[1]، إذ وصفها يحي بن خلدون قائلا:" ...دار الصنعة السعيدة تموج بالفَعَلة، وعلى اختلاف أصنافهم، وتباين لغاتهم وأديانهم.فمن درّاق ورمّاح ولجّام ووشّاء وسرّاج وخبّاء ونجّار وحدّاد وصائغ ودبّاج وغير ذلك .فتستكُّ لأصواتهم وآلاتهم الأسماعُ، وتحار في إحكام صنائعهم الأذهان، وتقِف دون بحرهم الهائل الأبصارُ، ثم تعْرض قومتُهم أصيلان كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة أيده الله..."[2].

ومنهم عائلة ابن الملاَّح[3]، "من أهل قرطبة، الذين كانوا يشتغلون بحرفة صياغة الذهب والفضة، ونزلوا تلمسان في جملة من هاجر إليها من جالية قرطبة، فزاولوا بها حرفتهم، واستعملهم ملوك بني زيان في أشغال دولتهم، وعُينوا في وظيفة سكِّ الدنانير والدراهم. وزادت حظوتهم في عهد أبي حمو موسى الأول، الذين عينوا في الحجابة محمد بن ميمون ابن الملاّح، وبقيت الحجابة في أسرته إلى وفاة السلطان الزياني سنة 718هـ/ 1318م"[4] .

وعليه ما من شك أن العديد من الأندلسيين المسلمين قد ساهموا في ذلك التطور عندما استقروا في تلمسان، فبرزوا في صناعة السروج والمصنوعات الجلدية كصناعة الأحذية وغيرها من الحرف[5]، وما يدل على ذلك ، وجود المنجانة، التي اخترعها أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام[6].

كما وظف السلاطين الزيانيون الكتاب الأندلسيين لإنشاء الرسائل، فقد عين يغمراسن في بلاطه كاتبا أندلسيا شهيرا في الأدب، وهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن دواد خطاب الغافقي

[1] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 40.

[2] يحي بن خلدون، بغية الرواد ج2، ص 155.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،ج7، ص699.

[4] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 41.

[5] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية –الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج2، ص93.

[6] وصف التنسي المنجانة قائلا: "وخزانة المنكانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه، ويخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر...وبصدرها أبواب موجفة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان مجوفان ...".ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص162-163./ المقري، نفح الطيب، ج9، ص228.

المرسي[1]، انتقل إلى حاضرة تلمسان من مدينة مرسية الأندلسية، فجعله يغمراسن من كتاب إنشائه، فكان يكتب له رسائله إلى بني حفص بتونس[2] .

ويلاحظ نفس التواصل في المجال الثقافي، "حيث أن كثيرا من علماء تلمسان كانوا يرحلون إلى الأندلس للقاء رجال العلم والأدب أو لأغراض أخرى، ويستقرون بها أحيانا مثل الشاعر ابن خميس التلمساني الذي رحل إلى غرناطة واستقر في خدمة الوزير ابن الحكيم إلى أن توفي بها سنة 708هـ/1308م"[3] .كما امتد التأثير الأندلسي على العمارة في تلمسان، ففي مسجد أولاد الإمام، توجد قطع من الجص المنقوشة والمزخرفة على الخصوص إطار المحراب[4] .

ومن أشهر العلماء أبي عبد الله الآبلي، الذي يرجع أصل أجداده إلى مدينة آبلة بالأندلس، انتقل أبوه وعمه إلى تلمسان فاستخدمهم يغمراسن بن زيان وولده في جندهم[5]، ونشأ الآبلي بتلمسان في كفالة جده القاضي ابن غلبون، وأخذ العلم بها، رحل إلى المشرق وحج، ولقي كثيرا من العلماء. وعاد إلى تلمسان، ثم رحل إلى المغرب الأقصى، فلقي ابن البناء بمراكش[6].

---

[1] أبو بكر محمد بن خطاب: كان كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام .ينظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص 426.

[2] ينظر:محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر، 2015-2016، ص 131.

[3] عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة، المرجع السابق، ص40./ ينظر: الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص 99.

[4] مختار حساني، المرجع السابق، ص97.

[5] محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم، المرجع السابق، ص 135.

[6] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 345-351.

3-خصائص الرسائل الديوانية:

تبادل سلاطين المغرب والأندلس العديد من الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان الرسائل[1] الذي كان يعتبر أعلى جهاز إداري في البلاد لأن جل المكاتبات السلطانية المختلفة الموضوعات كانت تتم داخل هذه المؤسسة الرسمية، والتي كانت تشرف على صياغة وتحرير رسائل السلطان[2] .

وكانت تتقيد هذه الرسائل بشروط منها: "حفظ القرآن، والإطلاع الواسع على السنة، والأخبار والتواريخ والسير، وحفظ الكثير من الرسائل والمهارة في نظم الشعر، والقدرة على الخطابة والإلمام بالعلوم اللسانية والبلاغة"[3]، وهي الصفات التي ذكرها أبو حمو موسى الثاني التي يجب أن تتوفر في كاتب السر إذ يقول:" فصيح اللسان، جرئ الجنان، بليغ البيان، عارفا بالآداب، بارع الخط عالما بالحل والربط"[4] ويقول أيضا:" ومن كتابك يستدل على عقلك"[5].

وقد نبغ العديد من الكتاب والأدباء في إنشاء الرسائل السلطانية، ومنهم" أبو بكر ابن الخطاب الغافقي الذي ترك أثرا كبيرا في فن الكتابة بمدينة تلمسان، الذي نبغ في الترسل والكتابة الفنية وبها اشتهر أكثر من اشتهاره بالشعر، فاق معاصريه في المغرب والأندلس، وقد شغل ديوان الرسائل بغرناطة، ثم انتقل إلى تلمسان، فجعله يغمراسن صاحب القلم الأعلى في بلاطه"[6]، وقد تولى

[1]أنشأ ولاة المغرب الإسلامي الدواوين منذ أن تأسست دولة المرابطين وذلك لمعاونتهم في شؤون الدولة، التي استمر العمل بها في بلاد المغرب، ومن بين هذه الدواوين ديوان الرسائل أو الإنشاء ويرأسه موظف كبير يعرف بالكاتب، الذي كان يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والخلفاء والملوك.حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 146-147./ ينظر:الجبري محمد عبد المتعال، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1989، ص7-8.

[2] عبد الرحمن رزقي، النظم الإسلامية في الأندلس (316-422هـ/929-1031م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011، ص233.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المرجع السابق، ص457.

[4] أبو حمو موسى، واسطة السلوك، المصدر السابق، ص288.

[5] المصدر نفسه، ص289.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 465

وظيفة الكتابة الكثيرين أمثال:محمد ابن خميس التلمساني، وابن هدية القرشي وابن مرزوق الخطيب، ويحي بن خلدون، ومحمد بن يوسف الثغري ولسان الدين ابن الخطيب[1].

ولأن للرسائل قيمة سياسية وتاريخية لما تبينه حول طبيعة العلاقات بين الدول، كان لزاما شرحها لأنه كان في أغلبها يقوم بنقلها السفير وتكون في أحيانا مكتوبة ومرات يتولى السفير إبلاغها شفهيا خوفا من وقوعها في أيادي معادية لهم، وقد تكون بعض الرسائل تحمل الرموز والإشارات[2].

ويتضح من خلال الرسائل المتداولة بين دول المغرب الإسلامي، أن أصحابها كانوا يمتازون بالنثر الأدبي، وعادة ما كانت هذه الرسائل تفتتح بلفظ من "فلان إلى فلان"، حيث تبتدئ الرسالة بذكر المكتوب عنه والدعاء له بما يليق، كأن يقول المقام الذي طيب الأفواه ثناؤه، وطرزت صحف الحمد أنباؤه، زريت بكواكب الفخر والمناقب سماؤه..."[3]، وفي رسالة أخرى:"... المقام الذي انتظمت لدولته الفتوح الغر انتظام العقود، واقتضيت بغرماء عزماته ديون الأيام اقتضاء النقود، وطلعت من ثنايا أرائه السديدة وجوه السعود..."[4]. ثم يذكر اسم المكتوب إليه ويدعى له بما يناسبه، ويؤتى بالبعدية التي تليها الصلاة على النبي محمد وعلى آله وصحبه، ثم يلج الكاتب إلى صلب الموضوع[5]، ويرد في آخر الرسالة الدعاء من أجل استمرار الحكم ودوامه وكانت تنهى بلفظة" ...يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته"، ويكتب في أخر الرسالة علامة السلطان بخط يده، يكون بخط سميك مثل عبارة"وكتب في التاريخ المؤرخ به"[6]، إذ يقول المقري:" وقوله وكتب

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 460.

[2] المرجع نفسه، ص 456./ ينظر:عبد الهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983، ص22-23.

[3]لسان الدين بن الخطيب،كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، د-ت، ص79

[4] المصدر نفسه، ص79.

[5]حداد مزوزية، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر-باتنة-الجزائر، 2012-2013، ص9.

[6] أحمد عزاوي، ج1، المرجع السابق، ص66.

في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان، يكتب بخط غليظ، وبعض ملوك المغرب يكتب عنه العلامة صح في التاريخ"[1]، " ومن خلال بعض الرسائل نجد الاختلاف في بنية الرسائل، بالرغم من محاولة الاحتفاظ على السمات العامة وهي:

- البسملة والتصلية.
- من...
- إلى...
- سلام.
- البعدية.
- التحميد.
- التصلية على الرسول صلى الله عليه وسلم."[2]
- الدعاء للسلطان.
- إنا كتبناه.
- الموضوع.
- اسم السفير.
- سنة الصدور.
- العلامة السلطانية.

يلاحظ في كثير من الرسائل التي صدرت من بلاط بني الأحمر أخفت اسم ذكر السفير ويصطلح عليه فقط "بفلان"[3]، وبذلك لا نعرف إن كان السفير قاضيا أو وزيرا أو عالما.

المقري، نفح الطيب، ج8، ص 146.[1]

حداد مزوزية، المرجع السابق، ص23. .[2]

لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان، ص64.[3]

ثالثا: السفارات بين الدولة المرينية وبني الأحمر.

واجه بنو الأحمر عددا من الصراعات الخارجية مع الممالك النصرانية المتكالبة على المسلمين، وهذا بسبب الموقع الجغرافي، وهو ما حتم عليها إقامة علاقات قوية مع بني مرين معها بفعل المصالح[1]،" لهذا نظرت الدولة المرينية إلى غرناطة أن الاعتداء على مملكة غرناطة هو اعتداء على المغرب، لهذا عملوا على حماية مملكة غرناطة من حروب الاسترداد النصرانية، سواء كان بسبب الاستغاثات التي كان يوجهها ملوك بني الأحمر في غرناطة أو تطبيقا لسنة الجهاد في سبيل الله"[2].

وقد أوردت المصادر الدور المتميز للمرينيين في جهادهم بالأندلس كما سنبينه فيما سيأتي ذكره من الأحداث، "ورغم ذلك كان بنو الأحمر متخوفين منهم، ففي عهد ملوك الطوائف المعتمد بن عباد مع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، ولهذا تراوحت سياستهم في معظم الأحيان بين التعاون مع المرينيين للدفاع عن كيان المملكة الغرناطية، ومابين التوجس من نواياهم خشية التدخل في شؤونهم"[3].

- سفارة 674هـ/1275م

وصل محمد الفقيه في سفارة إلى السلطان أبو يوسف يعقوب المريني عام 674هـ/ 1275م تطلب منه النجدة، إذ قال ابن أبي زرع :"فتتابعت عليه رسل ابن الأحمر يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان، والمنظور إليه في هذا الأوان قد وجب عليك نصرة المسلمين، وإعانة المستضعفين"[4]، وقعت بعدها معركة بين الطرفين بقرب استجه في الخامس عشر من شهر ربيع الأول

[1] أحمد جميات، مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية(635-897هـ/1238-1492م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011-2012،ص73.

[2] عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا(668-869هـ/1269-1465م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص123.

[3] المرجع نفسه، ص 123.

[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 313.

في سنة674هـ/1275م ، وقد تولى الأمير يوسف قيادة الجيش فيها والذي يضم ألف فارس وقد حققوا نصرا على جيش الفونسو العاشر حاكم قشتالة، وقتل قائدهم " الدون نوينو دي لارا"[1].

وكان لهذه الانتصارات "أثرها على الوجود الإسلامي في آخر ما تبقى من الأندلس، إذ تعزز الاستقلال الغرناطي وأصبح في مأمن من الخطر النصراني ولو بشكل مؤقت، كما كان لهذه الانتصارات دور في تعزيز تواجد المرينيين في القواعد الأندلسية الجنوبية، كجبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف ورندة"[2]، وعلى الأرجح أن الجوازات الثلاثة الأخرى كانت من أجل نصرة بني الأحمر .

- سفارة عام 701هـ/1301م.

وبعد وفاة السلطان محمد الفقيه خلفه ولي عهده محمد الثالث ولده أبو عبد الله محمد الثالث الملقب بالمخلوع[3] الذي سارع بعد توليه الحكم في سنة 701هـ/1301م، إلى تجديد عهود المودة فأرسل سفارة ترأسها وزيره أبا سلطان عزيز الداني وكاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم اللخمي[4] إلى بلاط فاس وأكرمت وفادتهما، وطلب منهما السلطان المريني أن تقوم غرناطة بإمداده بالجند للاستعانة بهم على حصار تلمسان، فقام بتلبية طلبه فأرسل إليه قوة منهم أدت مهمتها أحسن أداء[5]، "ولكن سرعان ما انقلب الموقف الغرناطي سنة 703هـ/ 1303م، إذ قرر المخلوع أن يعود إلى محالفة ملك قشتالة هرانده بن ساشو، مما أغضب المرينيين ودعاه لرد الجند الذين استقدمهم لمساعدته في الحصار على تلمسان"[6].

---

[1]المصدر نفسه، ص 316-317./نضال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد أبي يعقوب، المرجع السابق، ص24.

[2]عامر أحمد عبد الله، المرجع السابق، ص125.

[3]أبو عبد الله المخلوع: وهو محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي، ثالث الملوك من بني نصر، كان ذا نباهة وفهم، عرف عنه حبه للعلم والعلماء، وله الكثير من القصائد في الشعر، توفي عام710هـ/1310م.ينظر: الإحاطة، مج1، ص544-555.

[4]أبو عبد الله محمد بن الحكيم اللخمي: يكنى أبا عبد الله الرندي، كان من كتاب ديوان الإنشاء، كما تولى الوزارة والكتابة، لقب بذي الوزارتين.ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص 444-445.

[5]عبد الله عنان، العصر الرابع، المرجع السابق، ص112-213./ عامر أحمد عبد الله، المرجع السابق،ص136.

[6]المرجع نفسه، ص136.

- سفارة عام 745هـ/ 1344م

أرسل السلطان يوسف الأول إلى أبي الحسن المريني رسالة بصحبة السفير أبي العباس الحصار، يخبره بشأن شروط معاهدة الجزيرة الخضراء[1]، يتضح من خلال الرسالة أن السفير المرسل من طرف السلطان يوسف الأول كان قد جاء من قبل السلطان المريني أبي الحسن المريني، من أجل الاستفسار حول ما جرى للجزيرة الخضراء، وفي هذه الرسالة ذكرت الصلح الذي وقع مع القشتاليين، ولكنها لم تذكر أهم بنود الشروط، وتركتها للسفير الشيخ أبا الحصار يتولى شرح ما جاء في المعاهدة، وأن الرسائل لا تذكر كل ما يريده السلطان على الأرجح خوفا أن تقع في يدي الخصوم، لذلك يتم تعيين سفيرا يتولى إبلا غ الرسالة شفويا.

- سفارة عام 745هـ/1344م.

أرسل السلطان أبو الحجاج الكثير من الرسائل إلى الدولة المرينية، في شأن علاقات مسلمي الأندلس بدول النصارى في الشمال (قشتالة و أراغون)[2]، "ومنها الرسالة التي أرسلها مع سفيره إلى السلطان أبي عنان المريني، في شأن إعلام هذا الأخير بالعلاقات الغرناطية القشتالية ، من خلال المعاهدات القائمة بين هاتين المملكتين، مما استلزم إعلام ملك المغرب بمجريات الحوادث الراهنة، وذلك إثر الشكايات التي كانت قد تبودلت حينئذ بين كل من غرناطة وقشتالة"[3]، وجاء في الرسالة ما يلي:"...وإن سلطان قشتالة ردد إلينا الرسل يطلب الخلاص ناسه مما به إليه استظهروا، وقد حشدوا كثيرا من الشكايات واستكثروا، وحضروا بين يدينا، فألقوا ما يختص بما رجع لإيالتكم الرفيعة العماد...وقد وجهنا إلى بابكم في هذا الغرض من يشرح الأمور فيها، ويقرر المقاصد ويستوفيها، وله

[1] محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د-ت ، ص312-313.

[2] ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص101

[3] المصدر نفسه، ص102.

بها دربة وخبرة، ومعرفة مستقرة، ذلك القائد كذا، ومقامكم يتفضل بالإصغاء لما يلقيه، والقبول على ما يؤديه..."[1].

- سفارة عام748هـ/ 1347م.

من خلال الرسالة المؤرخة في عام 748هـ/1337م التي أرسلها السلطان يوسف الأول إلى أبي الحسن التي بشأن إعلامه بانتصارين غرناطيين على النصارى، تبين أن السلطان المريني كان أول من أرسل سفارة بشأن الاستفسار عن حروب بني الأحمر مع النصارى إذ جاء في الرسالة:"...والى هذا فإننا ورد علينا كتابكم الذي موقعه عند العدو موقع الكتائب، وخطابكم المشتمل على المواعد الصادقة، والعزائم المتلاحقة..."[2]، وكان الرسول الذي أوصل هذه الرسالة الشيخ القائد أبو مهدي بن الزرقا، وقد حمله أيضا السلطان يوسف الأول هو الأخر رسالة للسلطان المريني إذ قال:"...لما جلى غرضنا ولا أبان، وإلى الله نكل جزاءكم، ونسأله أن يصل اغتناءكم، ويحرس سناءكم، ويذيع في الخافقين ثناءكم، ورسولكم القائد أعزه الله يقرر لديكم ما جملناه، ويعرض بين يديكم ما من الله أملناه، وفضلكم بالإصغاء إليه كفيل، ونظيركم جميل..."[3]، وهكذا لم يفصح السلطان يوسف عن الغرض تاركا تفاصيل الغرض الذي يريده بحوزة السفير الشيخ القائد أبو مهدي بن الزرقا.

تكشف الرسالة أنه سبقت هذه السفارة سفارات أخرى من طرف بني الأحمر حول الخطر النصراني، فكانت السفارات حلقة الوصل بين الطرفين لمعرفة تحركات العدو، وأهم الخطط التي يجب العمل بها.

---

[1] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص105.

[2] لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص129.

[3] المصدر نفسه، ص 133 .

-سفارة عام754هـ /1353م[1].

في إطار توطيد روابط المحبة والتواد بين الدولتين استقبل السلطان يوسف بن الأحمر، سفارة جاءت من قبل السلطان أبي عنان المريني[2]، وكان رد عليه بأن أرسل رسله مع السفارة المرينية ليخبره عن رغبته ووده في أن تتواصل العلاقات بين الدولتين إذ جاء في الرسالة ما يلي:"...رأينا أن وجهنا إلى بابكم الرفيع بكتابنا صحبة أرسالكم الواصلين إلينا، من تجدد العهد بتقرير ما تبديه من الود ونعيده، ونلمسه من جميل اعتقادكم وستزيده، وشرح ما لدينا ...وهو القائد أبو فلان وهو من ببساطنا مكانه، وله- في طريق الرسالة- دربة بها و أمانة أصحبناه أرسالكم، وصل الله كرامتهم، ويمن ظعنهم و إقامتهم، وألقينا له جميع الجزئيات التي وردوا فيها ما يلقيه، وحملناه ما يعيد لمقامكم ويبديه..."[3]. يبدو أنه كان السلاطين ينتهزون فرصة وفود سفارة الدولة حتى يرسل معهم سفراء معهم يعودون معهم، وهذا فيه استغلال للوقت وأيضا من أجل إبلاغ الرسالة شفهيا باعتبارهم يمثلون السلطان.

- سفارة عام 750هـ/1349م.

على إثر الثورة الداخلية التي قام بها أهالي تونس[4] ضد أبي الحسن المريني، بعث هذا الأخير بسفارة ترأسها الشيخ أبو محمد ابن أحبانا، يطلب فيها المساعدة لمواجهة هذه ثورة، ولذلك أرسل السلطان يوسف الأول رسالة محررة في عام 1349م، يخبره فيها اعتذاره لتقديم المساعدة

[1]وردت رسالة شفاعة السلطان يوسف الأول أبي الحجاج في إلى السلطان أبي عنان في شان الشفاعة له.ينظر: كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 123-125.

[2]المصدر نفسه، ص 131.

[3]ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 131.

[4]ورد في ملعبة الكفيف أن سبب هذه الثورة بسبب مطالبة السلطان أبي الحسن للزكاة وبإعاز وتدبير من ابن تافريجين الذي حرض عليه السكان.ينظر:الكفيف الزرهوني، ملعبة الكفيف، تحقيق وتعليق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ص 19.

نظرا للظروف التي كانت محدقة به من طرف النصارى، كما أعلمه بوصول السفينتين المغربتين إلى الشواطئ الأندلسية، وهما اللتان وصلت الأولى رست بمرسى المنكب[1].

- سفارة عام 751هـ/ 1351م.

أرسل السلطان يوسف الأول بسفارة عين عليها سفيره القائد أبا الحسن عباد إلى السلطان المريني يخبره عن انسحاب جيوش " الفونسو الحادي عشر"، وعن انسحابهم عن جبل طارق[2]، بسبب موت هذا الأخير بالوباء عام 751هـ/1351م[3]، كما أخبره أنه بعث بتعزية للعرش القشتالي إلى الملك بيدرو الأول"bidrou"، لوفاة والده الفونسو الحادي عشر[4].

- سفارة عام 751هـ/1350م.

عندما غرق أسطول السلطان أبو الحسن المريني في شواطئ إفريقية، بادر السلطان يوسف الأول إلى إرسال رسول يحمل إليه رسالة تهنئة بنجاته، وتذكر الرسالة المخاطر التي تعترض السفير إذ جاء فيها:...وأثنينا على مجادتكم التي لم يعترض برد الرسائل، من غوايل الطرق الغوايل، فثابرت على تحصيل هذا الغرض حتى حصل..."[5].

[1]مرسى المنكب: عرفه الحميري قائلا: مرسى المنكب صيفي يكن بشرقيه، وله نهر يريق في البحر، وعليه حصن كبير لا يرام، به ربض وسوق وجامع، وفيه آثار للأول كثيرة وكانت لهم فيه مياه مجلوبة وآبار فيسقى بهتا إلى اليوم؛ وبقرب الحصن من ناحية الشمال ديماس عظيم، مبنى من حجارةٍ، مربع الأسفل محدد الأعلى، ارتفاعه نحو مائة ذراع، في رأسه منفس للماء المجلوب إليه، وقد نحت في عرض جهة الديماس الجنوبية من أعلاه إلى أسفله، فصب الماء حتى وصل إلى الأرض فدل أن الماء كان مجلوباً من موضعٍ هو أرفع من هذا الصنم وبهذا المرسى خرج الإمام عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس، وذلك في ربيع الأول من سنة 138، ويتلو مرسى المنكب مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك، وبها فواكه جمة... "الحميري، المصدر السابق، ص186.

[2]لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص140.

[3]لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص 133.

[4] محمد كمال شبانة، المرجع السابق ص352.

[5]لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص254.

- سفارة عام 752هـ/1351.

بعث السلطان يوسف الأول إلى السلطان أبي عنان في شأن تنصيب الشيخ أبي زكريا البرقاجي واليا على مدينة مربلة، وقد تولى هذه السفارة هذا الأخير، الذي حمل معه رسالة فيها تزكية له ليتولى ولاية مربلة، يبدو أن اختيار يوسف الأول ليتولى الوالي الجديد هذه السفارة من أجل أن من يتحاور مع السلطان المريني، حتى يتعرف عليه أكثر[1].

-سفارة عام 752هـ/ 1351م.

أرسل السلطان المريني أبو عنان بسفارة محملة بالهدايا، ومعها مجموعة من الأساطيل من أجل مساعدة السلطان يوسف الأول ضد النصارى، ردا على السفارة التي أرسلها إليه يطلب فيها المدد العسكري وكذلك الطعام[2]، ويبدو بأن هذه السفارة لم تلقى تجاوبا من السلطان المريني، لذلك أرسل رسالة أخرى يطلب المدد من المرينيين، إذ جاء فيها:"... ووجهنا من يقرر لديكم ما عندنا من الولاء، في أخوتكم الرفيعة العلاء، ويتكلم بين أيديكم في والأشياء، ويجري من تبين الخلوص على سبيل السواء، وهو القائد الأجل المكرم أبو فلان، وصل الله كرامته، وكتب سلامته..."[3]، وعليه فإننا ماعدا ما ورد في الرسالة لا نعلم عن مجريات الأحداث، والحوار الذي دار بينهما لذلك ضاعت الكثير من التفاصيل.

-سفارة عام 752هـ/1351م.

في إطار العلاقات الطيبة التي جمعت الدولتين، أرسل السلطان أبو عنان سفارة تحمل هدية إلى يوسف الأول، ورد عليه هذا الأخير بسفارة تحمل رسالة يشكر فيها يوسف الأول هذه المهاداة، وينوه

[1] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص345.
[2] المصدر نفسه، ص374.
[3] المصدر نفسه، ص469 .

بمعونات المرينيين لصالح الجهاد بالأندلس[1]، ولقد حرص بنو مرين أن تكون هداياهم مما يتقوى بهم سلموا مملكة غرناطة على الصمود لمواجهة الهجمات النصرانية وكانت كثيرا ما تشمل هذه الهدايا وبعث معهم بمجموعة من الهدايا تشتمل على الخيل ومهندات مهاميز[2].

- سفارة عام 752هـ/ 1351م.

بعث السلطان يوسف الأول سفارة تحمل رسالة تهنئة للسلطان أبي عنان لاسترداده مدينة تلمسان من بني زيان، لا تفصح عن الذي تولاها ماعدا لفظة فلان، كما تبين أن هناك كلاما آخر أوصى به السلطان بني الأحمر ليوصله السفير شفهيا إذا جاء في الرسالة:"...واخترنا للوفادة به من ينوب عنا في هذا الغرض، ويقوم للوقت بواجب المفترض، وهم صدور آياتنا، ودرر عمالتنا، فلان وفلان. وصل الله إعزازهم وكرامتهم ويمُّمن ظعنهم وإقامتهم، وأوفدنا على بابكم المقصود، وشرعة المزدحمة بالوفود، وهم يلقون إلى ودادكم في تقرير ودادنا، والتنبيه على مقدار اعتدادنا، ما نعلم أن قواعده لكم غير مفترقة للتقرير..."[3].

- سفارة عام 752هـ/ 1351م.

أرسل يوسف الأول إلى السلطان أبي عنان رسالة مع أحد خدامه، يدعى غالب[4] بمناسبة فتح تلمسان وتعرب عن دعمهم و عن رغبتهم أن تستمر العلاقات الودية التي تجمع الدولتين، وقد كان السفير محملا بهدية إذ جاء في الرسالة:"...ولما تعرفنا حركتكم التي تستقبلون بها -إن شاء الله- وجوه السعادة، وجهنا معها ما أمكن من الدواب البغلية، مما عسى أن يسعد بخدمة مثابتكم العلية، على سبيل السمح وسنة الهدية..."[5].

[1] ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص56.
[2] المصدر نفسه، ص57-62./ عبده بن محمد، علاقات مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 108.
[3] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص 216.
[4] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص75-77.
[5] المصدر نفسه، ص77.

- سفارة عام752هـ/1351م.

كان للانتصارات التي حققها السلطان أبو عنان فارس المريني بتونس، سببا في إرسال السلطان أبي الحجاج يوسف الأول سفارة تهنئة، جاء في الرسالة ما يلي:"... وقد كنا لأول ورود هذا الخبر أعطيناه حقه من السرور بمقدمه، وعينا رسولنا الذي أوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذممه، وإلقاء ما يسع استيفائه عادة مجده وكرمه. ونحن الآن نعيد هناءكم، ونذيع على هذه المحافظة ثناءكم. وإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم، والابتهاج بانتظام أموركم..."[1]، وفي هذه الرسالة أيضا لا يذكر لسان الدين بن الخطيب من تولى هذه السفارة وهو نفس الأمر في أغلب الرسائل التي أوردها.

-سفارة عام 753هـ/1352.

أوفدت سفارة خاصة أخرى في شأن الأمير أبي الفضل المريني أخ السلطان أبي عنان، الذي فر من يد السلطان يوسف الأول وعلى إثر ذلك أرسل سفارة يعتذر فيه منه على تقصيره وعين عليها سفيرا تكفل بشرح كل حيثيات الأمور باعتباره شاهد عيان لما حدث وأنه هو من أبلغ من سيصف له ويخبره بما حدث فيها إذ جاء فيها:...وقد وجهنا إليكم بكتابنا هذا القائد الكذا، بكونه ممن اتفق لمشاهدة هذا الأمر حضوره، وحدثت بمرأى منه أموره، فهو يلقى إليكم فيه قرارنا، مما يقتضيه الحب، ويشرح منه ما أجهله الكتب، ومقامكم يصغى إلى ما يلقيه، ويقابل بالقبول ما يؤديه..."[2].

هذا وقد تبادل الطرفان الرسائل والسفارة عند فرار أبي الفضل وقد وصلت للبلاط المغربي ثلاث رسائل متتالية الأولى عن فرار هذا الأخير، جاءت هذه الرسائل لدفع الوشاية عنه بأنه أعانه للخروج عليه، مستدلا في النهاية بوشائج المودة وروابط التاريخ التي تجمع بين المملكتين منذ القديم[3]، ولا نعرف بعدها رد السلطان المريني في هذا الشأن.

[1] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص86

[2] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص135./ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص 547.

[3] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص142.

- سفارة عام753هـ/1352م.

أرسل السلطان أبو الحجاج يوسف الأول، إلى السلطان أبي عنان فارس، يعلمه فيها باتصاله الأخير بملك قشتالة في شأن حقوق المسلمين في أرضه، وبأيدي رجاله من النصارى، والرسالة هذه مصحوبة بهدية إلى السلطان المريني[1].

وقد رد السلطان أبو عنان هو الآخر بسفارة وهدية تليق مقامه، إذ قال يوسف الأول :"...وحضر بين يدينا مؤدي الهدية السنية خديمكم فلان، وألقى مقاصدكم الجميلة، وأغراضكم الأصيلة ومواعيدكم الكفيلة..."[2]، وبادر السلطان يوسف الأول بأن رد على هذه السفارة المرينية بجواب أطلعه في رسالته التي بعثها حول الشؤون والعلاقات السياسية مع قشتالة، مصطحبا معه هدية مشتملة على عدد من الخيول[3].

-سفارة عام 754هـ/1353.

استمر تبادل الرسائل والسفارات بين الدولتين، سواء من أجل إخبارهم بكل ما يحدث في الأندلس أو من أجل التهنئة، ومنها السفارة التي أرسلها السلطان يوسف الأول إلى أبي عنان في غرض التهنئة بالانتصار على الأمير أبي ثابت الزياني بتلمسان[4]، ومن أجل مصلحة بني الأحمر فقد رأينا أنه السلاطين الزيانيين كانوا يساعدون بني الأحمر عند حصول هجمات النصارى، هل كان هناك علاقات سيئة مع الزيانيين في تلك الفترة ، وعليه فان المصلحة الشخصية أولى من أجل كسب ود الطرف المريني باعتباره الأقوى في الجانب العسكري، وقد جاء في الرسالة:"...وأننا أخذنا عن السرور بتمام نعمة الله عليكم، واستقرار فذلكة سعدكم بما يوجبه الود الصميم، وهو قريبنا الكذا أبو فلان، والقينا إليكم في هذا الغرض ما يلقيه ويقصه عليكم، وانتم تتفضلون بقبوله ما يلقيه والإصغاء

[1] المصدر نفسه، ص 112.

[2] المصدر نفسه،ص120

[3] المصدر نفسه، ص 119.

ابن الخطيب ،ريحانة الكتاب، مج1، ص225.[4]

لما يؤديه..."[1]، وعليه كان السلاطين يرسلون السفير وهو الذي يقوم بإيصالها للسلطان، لأن الرسالة لا تذكر كل الغرض الذي يريده منه لذلك يكلف السفير بإبلاغ شفهيا رسالة السلطان الذي هو لسان حال السلطان، وكذلك لخطورة المهمة خوفا من وقوع الرسالة في أيدي الخصوم.

-سفارة عام 754هـ/1353م.

في الرسالة التي أرسلها أبو الحجاج إلى البلاط المريني تبين أن السلطان المريني أرسل سفيره الشيخ أبا العباس بن الخطيب، الذي بلغ السلطان أبا الحجاج رسالة شفهية، وأرسل من بعده سفارة أخرى عين عليها أبا عبد الله بن فاروق، ولهذا استغل أبو الحجاج وفوده إليه ليحمله رسالة يبلغ فيها أبا عنان بوصول رسوله إلى غرناطة، وما كان من أمر المعاهدة التي عقدها مع ملك قشتالة[2]، ومما جاء في الرسالة:"...وتلاحق بنا أيام مقامه لدينا رسولكم القائد الأجل أبو عبد الله بن فاروق، أعزه الله، وأوصل إلينا كتابكم متضمنا مما سناه الله لكم من مساعدة الأيام ولهذا فنحن لا نعلم سبب سفارته، وفي المقابل أرسل السلطان أبي الحجاج رسالة يبلغ فيها أبي عنان بوصول رسوله إلى كان عند وصول السفير إلى إحدى الدولتين يرسل إلى الآخر يخبره بوصوله وهذا ليؤكد قدومه وبأنه أبلغه غرضه منه، بعدها أرسل السلطان أبو الحجاج رسالتين إلى أبي عنان بشأن معاهدة 1348 المبرمة بين غرناطة وقشتالة، والثانية حول فتح حصن قنيط على يدي السلطان أبي الحجاج يوسف الأول[3].

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أنه النصر الذي يحققه سلاطين بني الأحمر هو أيضا نصر للمرينين لذلك حرصوا على تبادل التهاني والهدايا عند كل نصر يحققه طرف ويخبره بكل تفاصيل باعتباره أصبح الجناح الحامي والعسكري الذي يستعين به عند كل صراع أو مواجهة عسكرية، لذلك حتمت المصلحة الخاصة بني الأحمر الاستعانة بهم وكان للموقع الجغرافي القريب عاملا كبيرا في

[1] ابن الخطيب ،ريحانة الكتاب، مج1، ص229

المصدر نفسه، ص 489.[2]

[3] ابن الخطيب ،ريحانة الكتاب، مج1، ص 493

التقارب بين الدولتين خاصة في مجال إرسال السفارات التي كانت تفد للبلاط المريني لطلب النجدة، حيث تفد في السنة الواحد أكثر من ثلاث سفارات هذا إذا ما قراناها مع أكثر من الدولتين الزيانية والحفصية، وهكذا شكلت السفارات جسر التواصل الذي تمكن من خلاله تأخير سقوط الأندلس، وقد لاحظنا اعتمادهم على شخصيات وعلماء معروفة تكرر اسمهم في كل مرة .

-سفارة عام 754هـ/1353م.

على إثر الانتصار الذي حققه السلطان المريني أبو عنان على الأمير أبي ثابت أرسل إليه السلطان يوسف الأول إليه سفارة تهنئة[1]، إذ جاء في الرسالة التي أرسلها إليه قائلا:"...وأننا أخذنا من السرور بتمام نعمة الله عليكم، واستقرار فذلكة الفتح لديكم، بأقصى ما يأخذه الولي الحميم، ولهجنا من اتصال سعدكم بما سناه الصنع الكريم، ووجهنا من ينوب عنا في هنائكم به بما يوجبه الود الصميم، وهو قريبنا الكذا أبو فلان، وألقينا إليه في هذا الغرض ما يلقيه، و ينصه عليكم وأنتم تتفضلون بقبول ما يلقيه، والإصغاء لما يؤديه ..."[2] وفي هذه الرسالة أيضا لا تذكر من السفير الذي ترأس السفارة ماعدا أنه يذكر أحد أقارب السلطان أبي يوسف .

- سفارة عام 754هـ/1353م.

كانت عادة تبادل التهاني والأخبار بين الدولتين هي المميزة لعلاقاتهما وكانوا لا يفوتون الفرصة إلا ويرسلون سفارة أو رسائل تهنئة، مثلما الحال في سنة 754هـ/ 1353م، أرسل السلطان أبو الحجاج يوسف الأول، سفارة تهنئة[3] إلى السلطان أبي عنان المريني بمناسبة استيلائه على مدينة بجاية[4]، وتكشف الرسالة التي أرسلها السلطان أبي الحجاج أنه سمع خبر نصره من طرف رسوله الذي كان

[1] ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق ، ص 78

[2] المصدر نفسه، ص82.

[3] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص87.

[4] ثار بعض الشيوخ ببجاية على السلطان أبي عنان المريني لذلك عمل على محاربتهم، وعلى إثر انتصاره ودخوله مدينة بجاية أرسل يوسف الأول أبو الحجاج سفارة ينهئه على ذلك. ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص87.

عند السلطان المريني فعندما وصل إليه أخبره إذ جاء في الرسالة:"... فلما ورد رسولنا من بابكم وقد عني بكشف المشكل، وتقييد المهمل، وعرفنا بالفتح الذي تشمخ به الأنوف، وتبسم لمسرته السيوف، وترتاح لعزه الجياد الجراح الجرد، ويتأود لذكره الرماح الملد. فتح بجاية- حرسها الله-..."[1]، وعلى إثر ذلك أرسل الرسالة مع سفيرا للتهنئة إذ قال فيها:"...وبادرنا بتوجيه من يؤدي عنا حق الهنا بهذه الآلاء، ويسلك في توفية ما عندنا من السرور بها على سبيل السواء، فاخترنا لذلك فلانا، وصل الله سلامته، ويمّن ظعنه وإقامته، وحملناه من تقرير ما لدينا— من الود الذي صدق إنتاجه، وقطع المعاند احتجاجه، وراق على أعطاف الخلوص ديباجه — ما نرجو أن يقوم بما أمكن من حقه، ويسلك في تبليغه لأحب طرقه، وفضلكم كفيل بالإصغاء لما يلقيه، والقبول على ما يؤديه..."[2].

-سفارة عام 754هـ/ 1353م .

بعث السلطان أبو عنان المريني إلى السلطان يوسف أبي الحجاج بهدية تشتمل على خيل وعدة من مهندات ومهاميز[3] صحبة سفارة خاصة في هذا الشأن، وقد رد السلطان أبو الحجاج على هذه الهدية برسالة يشكره فيها على هديته ولا نعرف سنة هذه السفارة وأرجحها أحد الباحثين بأنها كانت في أواخر عهد أبي الحجاج[4]، وجاء في الرسالة ما يلي:"...وحضر لدينا رسولكم فلان، فألقى من القول الذي صدقه الفعل، واللفظ الذي شرحه المجد والفضل، ما أوثق أسباب الآمال ووصلها وحصلها..."[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص90.
[2] المصدر نفسه، ص92.
[3] ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق ، ص150.
[4] المصدر نفسه، ص149.
[5] المصدر نفسه، ص 151.

- سفارة عام 755هـ/ 1354.

بعد وفاة السلطان أبي الحجاج يوسف الأول أراد ولده السلطان محمد الخامس الغني بالله[1]، أن تستمر العلاقات الودية بين فاس وغرناطة، كما كانت على عهد أبيه، ولهذا أرسل وزيره في سفارة ترأسها لسان الدين بن الخطيب وكان في الوفد المرافق له القاضي أبو القاسم الشريف محملا رسالة بشأن مقتل والده أبي الحجاج، وكذلك مبدي رغبته في أن تستمر العلاقات الودية مثلما كانت في عهد والده من قبل وطالبا أيضا النصرة على النصارى[2].

- سفارة عام757هـ/1356م.

تولى هذه السفارة الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري، الذي أرسله السلطان أبو عنان للذهاب في سفارة لمقابلة السلطان الغني بالله بن الأحمر، فامتنع في بادئ الأمر، وأخيرا وافق على القيام بتلك المهمة[3].

وبعد أن أدى المقري غرض السفارة التي لم تشر الوثائق والمصادر إلى موضوعها، يرى محقق كتاب القواعد "أن السفارة تتعلق بشأن التعاون الحربي بين أبي عنان المريني والسلطان الغني بالله؛ نظرا لاشتداد هجمات النصارى القَشْتاليّين على بني الأحمر في تلك الفترة، وحاجتهم إلى مساعدة المرينيين"[4]، وبعد انتهاء المقري من مهمة السفارة لدى ابن الأحمر، وفي أثناء رجوعه إلى المغرب،

---

[1] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص 494.

[2] المصدر نفسه، ص498.

[3] أبو عبد الله محمد بن محمد أحمد المقري، القواعد، تحقيق ودراسة حمد بن عبد الله بن حميد، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة،د-ت، ج1،ص69./محمد بن الهادي أبو الأجفان، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، 1988، ص82-83./ فافة بكوش، أبو عبد الله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان الجزائر، 011-2012، ص103.

[4] أحمد بن عبد الله ، القواعد، المصدر السابق، ص69.

وبالتحديد حينما وصل إلى مالقة بدا له البقاء في الأندلس، والعدول عن العودة إلى المغرب، والتفرغ للعبادة ونشر العلم[1].

فلما بلغ ذلك السلطان أبو عنان استشاط غيضاً وظن سوءًا، واتهم الغني بالله محمد بأنه هو الذي أنكر عليه العودة إلى فاس[2] "فبعث إليه يتهدده ويتوعده وأرسل إليه يستقدمه منه ولأنه تلاحقت رسائله في طلب عودته، قام ابن الأحمر بتكليف كاتبه لسان الدين بن الخطيب بأن يخط رسالة لأبي عنان يستشفع فيه لأبي عبد الله المقري، وأرسل معها العالمين أبا القاسم الشريف السبتي والفقيه أبو البركات محمد الحاج البلفيقي ، فوفدا بالمقري إلى المغرب شفيعين"[3]، ومما جاء في الرسالة :"...وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله، وأن يكون الانتقال عن رضا منه صفة حاله، وأن يقتضي له ثمرة المقصد، ويبلغ طيه الإسعاف في الطريق إن قصد؛ إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله...وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغياب..."[4]، هذا وقد وردت رسالة أخرى حول نفس غرض الشفاعة جاءت في كناسة الدكان[5].

وما يفهم من سبب مكوث المقري بالأندلس بعد انتهاء مهمته أنه لم يكن مرتاحاً للسلطان أبي عنان وكان يفضل الاستقلال عنه، وتوسط وشفاعة علماء غرناطة له من الدلالة ما يبرز مكانة ومنزلة العالم أبي عبد الله المقري[6].

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة مج2، ص 196./أحمد بن عبد الله بن حميد، القواعد، المصدر السابق، ص70./ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص83./ فافة بكوش، المرجع السابق، ص105.

[2] أحمد بن عبد الله ، القواعد، المصدر السابق، ص70.

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج2، ص 197./أحمد بن عبد الله بن حميد، القواعد، ص 71 .

[4] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص155-157.

[5] المصدر نفسه، ص159-160.

[6] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ-13م إلى القرن 10هـ-16م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2009-2010، ص 260-261.

-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين المرينية وبني الأحمر.

كانت للسفارات المتبادلة بين المرينيين وبني الأحمر، تمثل في "حقيقة الأمر صلة تأثير وتأثر قوية متبادلة في مجال العلاقات الثقافية والحياة الفكرية في كل من الأندلس والمغرب الأقصى، فهؤلاء السفراء كان معظمهم أدباء وعلماء، وكان وجودهم في البلاط المريني ولو لوقت معين فرصة كبيرة للاحتكاك الثقافي بين العدوتين"[1]، وقد سبق أن ذكرنا أبا عبد الله المقري، بعد فراغه من السفارة التي كلف بها، آثر أن يقطع صلته بالسلطان، فاتجه إلى مالقة ليقيم بها مختليا عن كل ما يشغله عن العبادة[2]، "وفي تلك الأثناء كانت المملكة الغرناطية تشهد نشاطا علميا متميزا، حيث احتك بالجو الثقافي الذي تحتضنه مؤسستان علميتان وهما الجامع الأعظم والمدرسة النصرية التي تعد من مفاخر السلطان أبي الحجاج يوسف الأول"[3]، إذ أنشاها في منتصف القرن الثامن على يد حاجبه أبي النعيم رضوان وأوقف عليها أموالا، يصفها ابن الخطيب قائلا:"... نسيجة وحدها وصدراً وظرفاً وفخامة"[4].

كما أقام مجالس علمية تم التداول فيها الكثير من العلوم الشرعية حضرها الكثير من الطلبة إذ يقول تلميذه الشاطبي:" سمعت الشيخ القاضي الشهير أبا عبد الله المقري-رحمه الله- يوما يقول وقد استقبل القبلة قائما في المسجد الجامع بغرناطة عام سبعة وخمسين وسبعمائة..."[5].

هذا وإن الأمير النصري محمد بن يوسف بن الأحمر قد أكرم المقري وأجرى عليه راتبا من ديوان الأعشار الشرعية، وأمر بالعناية بأحواله والإعانة على فراغه، لما بدا له من الإخلاص، وتبلج صبح الزهادة والانقطاع إلى الله[6].

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 236.
[2] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 83.
[3] المرجع نفسه، ص 48.
[4] ابن الخطيب، الإحاطة، مج1 ، ص 509.
[5] الشاطبي، الإفادات والإنشادات، المصدر السابق، ص111.
[6] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 84.

وكذلك ابن الخطيب عندما جاء سفيرا عن سلطان غرناطة الغني بالله بن الأحمر إلى السلطان المريني أبي عنان المريني، "تبادل الرسائل النثرية والقصائد الشعرية مع زملائه وأصدقائه من الأدباء والشعراء المرينيين، ومن ذلك ما دار بينه وبين الخطيب أبي عبد الله محمد بن مرزوق الذي بعث إلى ابن الخطيب رسالة من الشعر والنثر"[1].

والتقى ابن الخطيب مع ابن خلدون أيضا، فمن خلال العلاقة التي قامت بينهما تبادل الطرفان طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع ما أنتجته القرائح من نماذج النثر والترسل في هذا العصر[2].

لاشك أن العلماء عندما يكلفون بالسفارة ينتهزون الفرصة لحضور مجالس العلم ويتبادلون المعارف والعلوم، من هؤلاء أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي، الذي كان عالما في الوثائق والأحكام، وأخذ عن جماعة من العلماء في عصره[3].وكذلك الشيخ المقّري محمد الباهلي البجائي[4].

وهكذا كان كبار الكتاب الأندلسيين عندما كانوا يغدون لزيارة الدولة المرينية، يعقدون صلات ثقافية مع علماء المغرب وأدبائه، وينقلون منهم إلى الأندلس ما أطلع عليه المرينيون من علوم العرب المختلفة لتأصيلها في بلاد الأندلس[5].

أما من الناحية الاقتصادية، فقد شجعت السفارات في تمتين العملية التجارية بين الدولتين، حيث كانت سبتة ميناء للاتصال ببلاد الأندلس فكانت الدولة المرينية هي حلقة الوصل بين الأندلس والسودان الغربي[6]، "خاصة خلال فترة السلطان أبي الحسن المريني وأبي عنان ونجاح أبي الحسن

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 236.

[2] المرجع نفسه، ص 236

[3] إيمان عبد الرحمن العثمان، "الفشتاليون في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث، المجلد السابع، العراق، 2003، ص15./ ابن الأحمر أبو الوليد، روضة النسرين، المصدر السابق، ص152.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص499.

[5] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق، ص237.

[6] محمد الهادي محمد القرطوطي، الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 254.

بالتعاون من بني الأحمر في تحرير جبل طارق سنة 734هـ/1335م، من القشتاليين وإجبارهم عن التخلي على الإتاوة التي فرضوها على الدولة النصرية"[1]، ويرى أحد الباحثين أن العلاقات الاقتصادية لم تزدهر كما كانت في العهد المرابطي والموحدي، ومرد ذلك خروج أجزاء كبيرة من الأندلس عن طاعة المسلمين[2].

رابعا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة بني الأحمر.

الملاحظ من خلال بحثنا أنه إذا ما قارنا عدد الرسائل والسفارات التي استقبلها البلاط الحفصي وكذلك الزياني فهي أقل بكثير مما استقبله البلاط المريني، ونظرا لقلة المصادر التي لم تقع بين أيدينا حاولنا جمع المعلومات حسب ما توفر لدينا.

- سفارة عام 635هـ/1234م.

لم تقم الدولة الحفصية علاقات مع بني الأحمر فحسب، "بل أيضا مع الإمارات الإسلامية في الأندلس كابن مردنيش ، فلما هاجم النصارى بلنسية وحاصروها، بعث سفارة ترأسها القاضي أبو عبد الله بن الأبّار القضاعي"[3] مبايعا ومستنجدا[4]، فأنشد للأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص قصيدته السينية المشهورة وهي قصيدة طويلة تتكون من ستة وستين بيتا ومنها:

[1] المرجع نفسه ، ص 295.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235.

[3] أبو عبد الله بن الأبّار القضاعي: من مشيخة أهل الأندلس، وكان علاّمة الحديث، وبليغا في الترسل والشعر، كتب عن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ببلنسية، ثم عن ابنه أبي زيد، ثم كتب عن ابن مردنيش، وعقب سقوط بلنسية في يد النصارى سنة 636هـ/1235م، رحل ابن الأبار إلى تونس وأقام في بجاية إلى أن استدعاه أبو زكريا الحفصي، وولاه خطة الكتابة ولكنه لم يستمر فيها طويلا أرجع بعض المؤرخين بسبب غروره ومع كثرة الوشايات التي سعى بها منافسه ، الغساني، وكان سبب قتله أنه جرى بمجلس المستنصر الحفصي حديثا عن مولد الواثق ابن المستنصر، فأراد ابن الأبار إحضار بطاقة يسجل فيها ساعة مولده حتى يعرف طالعه فلما اخبر المستنصر بما كان من أمر ابن الأبار غضب منه، فأمر بسجنه وتفتيش داره فوجد في كتبه عدة أبيات في هجاء المستنصر، فلما قرأها أمر بقتله وإحراق كتبه.ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص418-419./ الزركشي، المصدر السابق، ص 25-27./ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 53./جميلة مبطي المسعودي، العلاقات المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621/ 893هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص 219-221.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 418./ الزركشي، المصدر السابق، ص 27./ المقري، نفح الطيب، ج6، ص215.

أَدرَك بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أندلسا — إنْ السَّبِيلُ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا

وَهَبَّ لَهَا مِنْ عَزِيز النَّصْرِ مَا اُلْتُمِسَتْ — فَلَمْ يَزُلْ مِنكَ عَزَّ النَّصْرُ مُلْتَمَسًا

وَحَاشِ مِمَّا تُعَانِيَهُ حُشَاشَتُهَا — فَطَالَمَا ذَاقَتْ الْبَلْوَى صَبَاحَ مَسَّا

يا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أهْلُهَا جَزَرَا — لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جِدُّهَا تَعِسَا

فِي كُلِّ شَارِقَةِ إِلْمَام بائقــة — يُعَوّدَ مَأْتَمُهَا عِنْدَ الْعِدَى عُرُسا

وَكُلُّ غَارِبَةِ إِجْحَافِ نَائِبَــةِ — تَثَنِّي الْأَمَانِ حِذاراً وَالسُّرُورَ أُسَى

تُقَاسِمُ الرُّومُ لَا نَالَتْ مُقاسِمُهُمْ — إلا عَقَائِلِهَا الْمَحْـجُوبَةِ الأنسا

وَفِي بَلَنْسِيَةٍ مِنهَا وَقُرْطُبَةٍ — مَا يَنْسُفَ النَّفْسُ أَوْ مَا يَنْزُفُ النَّفَسا[1]

كان لهذه القصيدة أثر كبير على السلطان الحفصي، الذي سارع" بإعانتهم وشحن الأساطيل بالمدد إليهم من المال والأقوات"[2].

كما أرسل ابن مردنيش رسالة إلى والي بجاية الأمير أبي يحي بن أبي زكريا الحفصي يعلمه فيها بسفارة الشيخ أبي عبد الله بن الرئيس أبي الحرث الذي كان يحمل بيعة أهل مرسية وشرق الأندلس[3].

وعندما انفصل الأمير الحفصي عن أخيه محمد المستنصر سنة 651هـ/1350م، عمل هذا الأخير إلى "إرسال الهدايا الضخمة لابن الأحمر ليمسك عنه أخاه"[1]، ولا شك أن هذه الهدايا رافقتها سفارة تحمل هذه الهدايا.

[1]ابن الأبّار القضاعي، ديوان ابن الأبار، ص 395./ المقري، نفح الطيب، ج6، ص215./ينظر: حميد طريفة، ابن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، رسالة ماجستير غير منشورة في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، 2009-2010، ص137-138.

[2]المقري، نفح الطيب، ج6، ص219.

[3]أبو مطرف ابن عميرة المخزومي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية- بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي عميرة ابن المطرف-، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص 34.

سفارة عام 770هـ/1368م.

وفي إطار العلاقات الودية التي جمعت أبو إسحاق المستنصر الحفصي مع السلطان ابن الأحمر، حيث أرسل هذا الأخير سفارة كلف بها الفقيه أبا الحسن البنا، محملة بهدايا متمثلة في الرقيق والخيل، ورسالة يبرز له فيها عن عميق المودة بينهما[2] .

ولا شك بأن العلاقات السياسية الودية بين الدولتين الحفصية وبني الأحمر استمرت مع باقي السلاطين الحفصيين فيما بعد، والملاحظ أن الحفصيين وجهت جل علاقاتها مع الجمهوريات الايطالية التي أخذت الحيز الأكبر وهذا ما أبرزناه في الفصل الرابع.

1-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين الحفصية وبني الأحمر.

استقر في تونس الكثير من العلماء من أهل الأندلس جراء سقوط مدنهم في يد النصارى تباعا[3]، مما عجل بمغادرة عدد من العلماء "وقد تولوا مناصب مرموقة في الدولة الحفصية، مثل العالم أبي المطوف أحمد بن عبد الله المخزومي[4]، و أبي الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور[5]، أما في الطب ابن اندارس محمد أصيل مرسية ونزيل بجاية واسمه يوسف وهو الطبيب الخاص للمستنصر[6].

ومن الناحية الاقتصادية كان لوفرة المنتجات الزراعية والصناعية وتنوعها بالخصوص ببجاية، نظرا لموقعها الجغرافي الذي ساعدها على الارتباط بالأندلس ارتباطا وثيقا، له الأثر الكبير في تنشيط

ابن الشماع، المصدر السابق، ص 64.[1]

ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص 179-180.[2]

عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص56.[3]

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص214

[5] جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص230

[6]المرجع نفسه، ص230./روبار برنشفيك،، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988ج2، ص393.

التبادل التجاري بين الدولتين[1] حيث تعاملت بجاية مع عدة مدن من الأندلس، كالمرية التي بلغت بها الحركة التجارية ذروتها رغم النشاط الصليبي ضد المسلمين، لما كانت تحتويه هذه الحاضرة من مصنعات مختلفة مصنوعة من النحاس والحديد، والطرز على الحري[2]، وعلى العموم كانت بجاية وتونس مقصدا للتجار من الأندلس سواء من دولة بني الأحمر أو باقي مدن الأندلس.

[1] محمد شريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادي في بجاية من عصر الموحدين، إلى الاحتلال الاسباني (10-6هـ/ 12-16م)،رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص250-253.
[2] المرجع نفسه، ص251.

2-جدول يبين السفراء الذين ترددوا على بلاط سلاطين المغرب الإسلامي وبني الأحمر.

السفير	المرسل	المرسل إليه	التاريخ	المهمة
أبو عبد الله بن الأبّار القضاعي	زيان بن مردينيش	السلطان الحفصي أبو زكريا	635هـ/ 1234م	سفارة من أجل الاستنجاد لنصرتهم.
// // //	محمد بن يوسف بن الأحمر	يعقوب بن عبد الحق المريني	670هـ/ 1269م	- الاستنجاد بالمرينيين .
// // //	محمد الفقيه	أبو يعقوب بن عبد الحق المريني	674هـ /1275م	طلب العبور لمساعدة بني الأحمر ضد النصارى.
مروان التجاني	أبو عبد الله الفقيه	السلطان يغمراسن	676هـ/ 1278م	-أرسل يغمراسن في البداية سفارة محملة بهدايا تمثلت في تحف ونفائس، من بينها ثلاثون من عتاق الخيل
// // //	أبو سعيد عثمان بن يغمراسن	أبو عبد الله الفقيه	684هـ/ 1285م	سفارة محملة بالمؤن للأندلس.
-أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن الأحمر - أبو السلطان عزيز الداني	محمد الفقيه	أبو يعقوب يوسف الناصر	691هـ /1291م	-طلب الاعتذار وعقد صلح.

محمد الفقيه	محمد الفقيه	أبو يعقوب يوسف	692هـ /1292م	-تقديم هدايا للسلطان المريني.
-أبا سلطان عزيز الداني -عبد الله محمد بن الحكيم اللخمي	أبو عبد الله محمد الثالث	أبو يعقوب يوسف	701هـ /1301م	-تجديد عهود الصلح.
// // //	أبو عبد الله محمد الثالث	أبو سعيد عثمان بن يعقوب	710هـ/ 1310م	-طلب الإمداد بالجنود.
أبو بكر بن عياش	السلطان يوسف الاول	السلطان أبو زكريا الحفصي	741هـ/ 1340م	-من أجل مبايعة السلطان الحفصي، وعادت هذه السفارة إلى الأندلس محملة بالأموال والنفقات الجهادية
السفير أبا العباس الحصار	السلطان يوسف الأول	أبو الحسن المريني	745هـ/ 1344م	إخبار السلطان المريني عن معاهدة الجزيرة الخضراء.
الشيخ القائد أبو مهدي بن الزرقا	السلطان يوسف الأول	أبو الحسن المريني	عام748هـ/ 1347م	إرسال رسالة شفوية مع السفير، ولا نعلم الغرض منها
// // //	أبو الحسن المريني	السلطان يوسف الأول	748هـ/ 1347م	-إعلامه بأن الفونسو الحادي العاشر قد حاصر جبل طارق

// // //	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	750هـ/ 1349م	-طلب النجدة لمساعدته
الشيخ أبو محمد ابن أحبانا	السلطان أبي عنان	السلطان يوسف الأول	750هـ/ 1349	طلب المساعدة لمواجهة الثورة الداخلية لأهالي تونس
القائد أبو عبد الله بن أبي الفتح	أبو الحسن المريني	السلطان يوسف الأول	751هـ/ 1350م	يخبره عن رضاه للعلاقات الجيدة التي تجمع الطرفين
// // //	السلطان يوسف الأول	أبي الحسن المريني	751هـ/ 1350م	رسالة تهنئة بنجاة السلطان المريني. في سنة واحدة يستقبل كلا البلاطان أكثر من سفارة استنتاج
- أبو بكر بن موسى - الفقيه أبي العباس الحصار. -القائد أبي إسحاق بن الحاج	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي الحسن	1351هـ/ 1350م	-حول الأوضاع في بيت القشتالي، بعد وفاة الفونسو الحادي عشر.
-القائد أبا الحسن عياد	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي الحسن	751هـ/ 1350	يخبر فيها السلطان أبي الحسن بنجاة جبل طارق من غزو النصارى الأسبان.
-الشيخ أبي زكريا	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	752هـ/ 1351	احتوت الرسالة على تزكية والي مربلة، أثنى عليه بسيرته الحميدة.

// // //	السلطان أبي عنان	السلطان يوسف الأول	752هـ/ 1351م	سفارة محملة بالهدايا، ومعها مجموعة من الأساطيل من أجل مساعدة السلطان يوسف الأول ضد النصارى.
// // //	يوسف الأول	السلطان أبي عنان	752هـ/ 1351م	أرسل بمجموعة من الهدايا تشتمل على عتاق ومهندات مهاميز، تعبيرا عن شكره لدعم المرينيين له.
أحد الخدام يدعى "غالب"	يوسف الأول	السلطان أبي عنان	752هـ/ 1351م	بمناسبة فتح تلمسان وتعرب عن دعمهم و عن رغبتهم أن تستمر العلاقات الودية التي تجمع الدولتين، وقد كان السفير محملا بهدية
// // //	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	752هـ/ 1351م.	التهنئة بمناسبة دخوله افريقية.
// // //	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	753هـ/ 1352	الاعتذار على فرار أخ السلطان أبي عنان.
// // //	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	754هـ/ 1353م	التهنئة بمناسبة استيلائه على مدينة بجاية.
الشيخ أبو العباس بن	السلطان أبي	السلطان يوسف	754هـ/	بلغ السلطان أبي الحجاج

الخطيب	عنان	الأول	1353م.	رسالة شفهية، وأرسل من بعده سفارة أخرى عين عليها أبو عبد الله بن فاروق.
// // //	السلطان يوسف الأول	السلطان أبي عنان	754هـ/ 1353	التهنئة بالانتصار على الأمير أبي ثابت الزياني بتلمسان.
الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري	السلطان أبي عنان	السلطان الغني بالله بن الأحمر	757هـ/ 1356م	السفارة تتعلق بشأن التعاون الحربي بين أبي عنان المريني والسلطان الغني بالله؛ نظرا لاشتداد هجمات النصارى القَشْتاليَّين
الكاتب إبراهيم بن الحاج	أبو عبد الله الغني بالله	أبي حمو موسى الثاني	763هـ/ 1361م	سفارة يطلب فيها المساعدة لمحاربة النصارى، والمؤن.
// // //	أبو عبد الله محمد الغني بالله	أبي حمو موسى الثاني	774هـ/ 1372م	سفارة تهنئة محملة بالهدايا

نلاحظ من خلال الجدول أن عدد السفارات التي جمعت الدولة المرينية مع بني الأحمر كانت أكثر مع الدولتين الزيانية والحفصية، وهذا راجع لعدة عوامل سبق أن أشرنا إليها منها الامتداد

الجغرافي للأندلس ما جعل سهولة الاتصال بينهما ، ولم تنقطع السفارات بينهما على مر السنين حيث كانت تستقبل في سنة واحد أكثر من ثلاث سفارات خاصة في فترة كل من السلطانيين أبي الحسن وابنه أبي عنان التي عرفت نشاطا كبيرا في تبادل السفارات، كما يلاحظ أن جل السفارات تقريبا هي قادمة من بني الأحمر من أجل طلب الدعم والمدد والإعانة، وكما لا تكشف الرسائل التي وجهت لسلاطين المغرب الإسلامي أسماء السفراء ولا الهدف من السفارة، هذا للسرية التامة التي كانت تتطلبها .

وفي ختام هذا الفصل نلاحظ أن السفارات المتبادلة بين سلاطين المغرب الإسلامي و بني الأحمر كانت في أغلبها من أجل طلب المساعدة المادية والعسكرية لصد الهجمات النصرانية، لذلك كانت في كل مرة تبعث بسفرائها لطلب النجدة، وبالمقابل ساهم السلاطين في تقديم المساعدة ولم يبخل عليهم بالإعانة، وعدد الرسائل التي وجهت إلى بلاد المغرب الإسلامي لخير دليل على ذلك.

الفصل الثالث: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والمماليك.

1-أصل المماليك.

أولا: السفارات بين الدولة المرينية والمماليك.

-طبيعة العلاقات المرينيةالمملوكية.

ثانيا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة المماليك.

-العلاقات الحفصية المملوكية.

ثالثا: السفارات بين الدولة الزيانية ودولة المماليك.

-طبيعة العلاقات الزيانية المملوكية.

رابعا: أثر السفارات على العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والمماليك.

خامسا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والسودان الغربي.

1-طبيعة العلاقات المرينية مع السودان الغربي.

2-أثر السفارات بين الدولتين على الحياة الثقافية.

3-السفارات الحفصية مع بلاد السودان.

4-السفارات الزيانية مع بلاد السودان

كثيرا ما كانت مهمة سفارات سلاطين المغرب الإسلامي الموجهة إلى مماليك مصر لأجل حمل الهدايا إليهم والرسائل، في شأن هدايا البقاع المقدسة و للتوصية بالحجاج[1]، "لذلك حرصوا أن يتكون ركب الحج يتكون من شيخ الركب والسفير الذي يختاره السلطان ومن قاض وقائد، وتذهب معه حامية بقصد حراسته، ويرافقه جماعة من العلماء والأمراء"[2].

-أصل المماليك.

المماليك[3] سلالات مختلفة من الأجناس يعود أصلهم إلى آسيا الوسطى وأهمهم الترك[4]، وكانوا يجلبون من بلاد ما وراء النهر -يقصد به نهر جيحون- الذي يضم أفغانستان و تركستان[5]، " بعد سقوط هذه المناطق السابقة الذكر على يد التتار كثر السبي، فنشطت تجارة جلب الرقيق، وأقبل أبناء الملوك من الأيوبيين على اقتناء أعداد كثيرة لإنشاء الجيوش الكافية لحروبهم الداخلية ولاسيما الصالح أيوب بن السلطان الكامل الذي جعلهم من بطانته وسماهم البحرية"[6]، حيث بنى لهم قلعة الروضة، وأسكنهم بها[7]. والتي تعرف أيضا بالطباق، وهي عبارة عن مدرسة عسكرية

[1] محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، المرجع السابق، ص171..

[2] محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، المغرب، 1953، ص 12.

[3] المماليك: جمع مملوك وتعني في اللغة العبد، أما المعنى الاصطلاحي فقد اقتصر في معظم البلاد الإسلامية على الرقيق البيض تمييزا لهم عن نظرائهم من الزنوج والذين لازمتهم لفظة العبيد، وتعود فترة استخدام الرقيق البيض في العالم الإسلامي منذ القرن الأول للهجرة، في الفتوحات الإسلامية لبلاد ما وراء النهر.صفوان طه حسن، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الفكر، الأردن، ط1، 2010، ص 138.

[4] الترك: من بني كومر بن يافث وقيل من بني طيراش بن يافث، ومن كومر الترك وهم في الأصل عشروم قبيلة وكل قبيلة منها بطون لا يحصون وهي بجنك وقفجاق، وأغز، ويماك وبشغرت، ويسمل وقاي، وييافو، وططر، وقرقز.القلقشندي أبو العباس، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1980، ص 25-26/البدر العيني، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، هانس أرنست، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، 1962، ص4./ القزويني زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د-ت، ص880-588.

[5] التركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، تمتد من الصين إلى بحر قزوين وأكثرهم من أهل الخيام، وقومها عراض الوجوه فطس الأنوف عبل السواعد ضيقو الأخلاق ، والغالب عليهم الظلم والقهر وأكل الحيوانات. القزويني، المصدر السابق، ص 415-416.

[6] العريني السيد الباز، المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د-ت، ص55.

[7] الصلابي، المرجع السابق، ص 26 /ينظر: سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1997، ص27.

يتعلمون فيها الخط والقرآن، ويدربون على فنون الحرب والفروسية كركوب الخيل، والقتال بالسيف والرمح[1].

أولا: السفارات بين الدولة المرينية والمماليك[2].

-طبيعة العلاقات المرينية المملوكية.

حظيت الدولة المرينية بمكانة خاصة في نفوس سلاطين مصر والشام، يرجع لسببين، أنها كانت قد أخذت على عاتقها مهمة الجهاد في الأندلس، وثانيا يتعلق بقوة الدولة المرينية وهيبتها على صعيد المغرب الإسلامي[3] ، "وأرجع أحد الباحثين أن الهدف من هذه السفارات بسبب المشاكل التي التي تثيرها القرصنة في البحر المتوسط، ومن جهة أخرى الاعتداءات التي أخذت تلحق الديار المصرية والشامية من طرف التتار، وكان من نتائج هذه الوساطات اتفاقية السلام بين مصر وقشتالة عام 692هـ/1292م وتلتها بعدها عدة معاهدات سلم مع الفرنج والمماليك"[4].

- سفارة عام 703هـ/1303م.

توطدت العلاقات على عهد يوسف بن يعقوب والناصر بن قلاوون، " التي انحصرت العلاقات في توفير المستلزمات والرعاية للحجاج المغاربة، يضاف إلى ذلك العمل الذي قام به السلطان يوسف المريني مع الناصر بن قلاوون والمتمثل بانتساخ المصحف الشريف"[5]، الذي عين لإيصاله سفارة

[1] العريني السيد الباز، المرجع السابق، ص84-100.

[2] تعتبر دولة المماليك في الواقع استمرار لدولة الأيوبيين، لأن سلاطينها كانوا مماليك للأيوبيين، ومن كبرائهم عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني وفارس الدين أقطاي الجمدار وركن الدين بيبرس البندقداري.ينظر: 1277م.هانس أرنست، الروض الزاهر، المصدر السابق، ص 22-24./ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ج3، ص497./عبد الجواد خيري، موسوعة الظاهر بيبرس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996، ص289./ البدرالعيني، عقد الجمان، ج1، المصدر السابق، ص 288. . البدر العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، 2010، ج1، ص86-87.

[3] الشاهري مزاحم علاوي، الحضارة الإسلامية في المغرب –العصر المريني–، مركز الكتاب الأكاديمي، المغرب، د–ت، ص80-81.

[4] الحاج عيفة، علاقات المغرب الإسلامي بمصر خلال القرن الثامن الهجري(14م)، رسالة ماجستير غير منشورة، بوزريعة، جامعة الجزائر،2001-2002، ص137.

[5] الشاهري ، المرجع السابق، ص82.

ترأسها القاضي محمد بن زغبوش، وأبو عبد الله القصار[1]، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري[2]،" وتوجهت هذه السفارة مع ركب الحج، وقد أولى السلطان المريني يوسف أبو يعقوب أهمية كبيرة لهذا الركب، فبعث معهم فرقة عسكرية لحمايتها تناهز 500 من رجال زناتة"[3]، وبعث معهم أموالا كثيرة لتوزيعها على سكان الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة"[4].

كما أرسل السلطان المريني ضمن السفارة بهدية خص بها السلطان الناصر تتمثل في "أربعمائة جواد من عتاق الخيل بجهازها، وغير ذلك من النفائس والذخائر"[5]، وبعث معهم المصحف الشريف وأوقفه على الحرم المكي، إذ وصفه ابن مرزوق عندما رآه في الحرم المكي قائلا :" وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط ابن حسن، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا، وقد قرأت فيه أعواما"[6].

أعطت هذه السفارة سمعة طيبة للمرينيين في المشرق، وبينت دورهم السياسي، وكانت من أثار هذه السفارة قيام أشراف مكة بإرسال البيعة للسلطان يوسف بن يعقوب[7].

-سفارة عام 704هـ/1304م.

لم تعرف بالضبط الغاية من هذه السفارة، ويبدو أنها تدخل ضمن سفارات المودة بين يوسف بن يعقوب و الملك الناصر، ومن أجل تمتين الروابط بين الدولتين، أوفد سفارة عين عليها أيدغدي

[1] المنوني، ورقات، لمرجع السابق، ص172

[2] أبو عبد الله البقوري: وهو من بلدة تدعى بقورة بالأندلس، أخذ العلم عن القاضي أبي عبد الله محمد الأندلسي، ووضع كتابا سماه" إكمال الإكمال" للقاضي عياض، وله كلام على كتاب شهاب الدين القرافي في الأصول، توفي عام 707هـ بمراكش .ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص316.

[3] المنوني،ورقات، المرجع السابق، ص172.

[4] المرجع نفسه، ص172.

[5] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 387.

[6] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص476

[7] الشاهري، المرجع السابق، ص83.

الشهرزوري علاء الدين و أبو الحسن التنسي[1].

وتمثلت الهدية في مصحف مكللا بالجوهر والياقوت أهداه للكعبة، وهدية أخرى للسلطان الناصر تتمثل في "أربعمائة جواد من عتاق الخيل بجهازها، وغير ذلك من النفائس والذخائر"[2]، وأصناف من الأواني المغربية، والذهب والفضة[3].

وتوجهت هذه السفارة في ركب عظيم، عين السلطان المريني عليها أبو زيد الغفائري ليكون دليلا لهم، وانطلقت السفارة من مقر الملك بالمنصورة في شهر ربيع الأول سنة 704هـ/1304م[4].

وقد أكرم الملك الناصر السفير عند وصوله، وأنزله بالميدان، كما قابل ركب الحجاج بأبلغ وجوه التكرمة وبعث معهم أميرا لمرافقتهم حتى ينهون مناسك الحج[5].

وقد تم استقبالهم من طرف الملك الناصر بحفاوة، إذ جاء عن ابن الوردي قائلا:" ...ثم دخلت سنة أربعة وسبعمائة فيها وصل من المغرب كبير صحبتهم رسول أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب، إلى مصر بهدية عظيمة: خيال وبغال نحو خمسمائة، بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري"[6].

-سفارة عام705هـ-706هـ/1305-1306م.

عند عودة الركب الحج المغربي عام 705هـ/1305م بعث السلطان المملوكي الناصر للسلطان أبي يعقوب المريني بهدية في سفارة "عين لحملها كبار الدولة التي تمثلت في كل من: علاء الدين أيدغدي التليلي الشمسي، والأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي، ومعهما أيدغدي الشهرزوري

[1] المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص174.
[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 287.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 712.
[4] المنوني،ورقات، المرجع السابق، ص175
[5] المرجع نفسه، ص175.
[6] ابن الوردي، تتمة البشر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط1، د-ت، ج2، ص 253.

سفير المغرب، ومجموعة من الأمراء المماليك"[1]، إذ أورد العيني عن السفارة قائلا:"...وفي 705هـ عاد علاء الدين أيدغدي الشهرزوري رسول المريني إلى الحجاز، وجهز إلى بلاد المغرب، وجهز صحبته الأمير علاء الدين أيدغدي التليلي، وعلاء الدين أيدغدي الخوارزمي، وصحبتهم ما يليق من الهدايا النفيسة والتحف الثمينة، وسير صحبتهم خمسة عشر تتريا من المأخوذين في وقعة مرج الصفر وخمسة مماليك أتراك وغير ذلك"[2].

وفي تلك الأثناء قتل السلطان أبو يعقوب يوسف المريني في السابع من ذي القعدة 706هـ/ 1307م، والسفارة المملوكية بالمغرب، فانتقل الأمر إلى حفيده أبي ثابت عامر بن أبي عامر(706-708هـ/1306-1308م) الذي قام بمتابعة الوفد المملوكي وإكرامه وجهزهم للمسير بهدية أخرى إلى الملك الناصر وتتمثل في الخيل والبغال والإبل، و أوفد ركبا عظيما من الحجاج المغاربة[3].

لكن في طريق عودتهم لقيت هذه السفارة اعتراض "قطاع الطرق من أعراب منطقة المدية وسلبوا ونهبوا ما معها، ويذكر أن ذلك وقع بعدما انتشر خبر وفاة السلطان أبي يعقوب يوسف[4]، وقد كان هذا الحادث سببا في توتر العلاقات وفتورها بين المرينين والمماليك، حيث بعث على إثرها بسفارة إلى بني زيان يؤنبهم فيها وزيادة في إيذائه"[5].

- سفارة عام 736هـ/ 1336م.

لم تذكر المصادر أية إشارات وجود سفارات سياسية بين الدولتين منذ وفاة السلطان يوسف بن يعقوب حتى مجيء السلطان أبي الحسن المريني، التي تعتبر فترة حكمه العصر الذهبي للعلاقات بين

[1] المنوني ورقات، المرجع السابق ص 176.

[2] العيني، المصدر السابق، ج4، ص379.

[3] يذكر الزركشي أنه في عام 708هـ/ 1308م وصلت هدية الملك الناصر مع تاجر اسمه أبي القاسم القنبي متمثلة في حيوان الزرافة . الزركشي، المصدر السابق، ص 57./ المنوني، المرجع السابق، ص 176.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 709./ المنوني ، ورقات، المرجع السابق، ص 177.

[5] الشاهري، المرجع السابق، ص81.

المغرب والشرق[1]، "وتمثلت هذه العلاقات في المكاتبات والمراسلات التي لم تنقطع بين أبي الحسن المريني ومعاصره المملوكي محمد قلاوون ثم ابنيه الملك الصالح أبو الفداء إسماعيل ثم الناصر حسن، كما كانت تتمثل في الهدايا المتبادلة بين الطرفين"[2].

وكانت أولى السفارات بينهما هي سفارة عثمان بن جرار ومحمد بن مرزوق التلمساني والفقيه عبد الرحمن بن عباد المراكشي، التي اتجهت بعد أداء فريضة الحج والعودة من الحجاز إلى مصر فاستقبلهم الناصر بن قلاوون واستأذنوه في وصول والدة السلطان أبي الحسن، وقد وافق الناصر على ذلك وأكد القيام بالواجب[3].

ولهذا توجهت هذه السفارة عام 736هـ/1335م ضمن "ركب مغربي كان بصحبة والدة السلطان أبي الحسن الحرة الحاجة "العنبر"، وكان القائم بهذه السفارة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الجراح، وقد حملت الأميرة معها رسالة، وكانت الغاية منها مخاطبة الملك الناصر فيما عزمت عليه من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إعلامه بما كان من تحركاته على تلمسان وتونس وجهاده بالأندلس"[4].

أورد التنسي أن الموت أدرك والدة أبي الحسن قبل رحيل السفارة وتولى ابن جرار إيصال الرسالة عنها[5]، التي جاء فيها :" فإنا نحيط علم الإخاء ما كان من عزم المولاة الوالدة قدس الله روحها، ونور ونور ضريحها، على أداء فريضة الحج الواجبة، وتوفية مناسكه اللازبة فاعترض الحمام، دون ذلك المرام وعاق القدر، عن ذلك بلوغ الوطر، فطوي كتابها وعُجّل إلى مقر الرحمة بفضل الله ما بها، وعلى الله

[1] المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص177./ الشاهري، المرجع السابق، ص83.
[2] عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008 ، ص121.
[3] التنسي، المسند، ص 241./ الشاهري، المرجع السابق، ص83-84.
[4] نبيلة عبد الشكور، المرأة وإسهاماتها، المرجع السابق، ص133.
[5] التسي، المسند، المصدر السابق، ص241.

أجرها، وعنده يحسب ذُخرها"[1]. يظهر لنا من خلال هذه السفارة دور المرأة الدبلوماسي البارز في نقل الرسائل، وقد رأينا سابقا أم يغمراسن كانت سفيرة لابنها عند السلطان الحفصي.

- سفارة عام 738هـ/ 1337م.

بعد فتح مدينة تلمسان بعث السلطان أبو الحسن المريني بسفارة عام 737هـ/1337م إلى مصر عين عليها سفيره "فارس بن ميمون بن وردار، وكانت مهمته تنحصر في أهداف رئيسية في مقدمتها تعريف الناصر بن قلاوون بضم تلمسان عاصمة الزيانيين، وتسهيل مهمة الحجاج المغاربة ورفع العوائق عن طريقهم"[2]. و" إخباره باسترجاع جبل الفتح(طارق) من يد القشتاليين بعد احتلال دام ما يقرب من ربع قرن، وما ترتب عن هذا من قبولهم عدم مطالبة سلطان غرناطة بالإتاوة التي كانت تدفع لهم منذ تأسيس الإمارة في القرن السابق[3].

وفي نص الرسالة التي أوردها أبو العباس القلقشندي شرح فيها أبي الحسن المريني للناصر الملوكي كيفية اقتحام مدينة تلمسان إذ جاء فيها :"... ولما فرغنا من تلك الشواغل ، وأرغنا من الخائن التلمساني ترك ما هو فيه من إثارة الفتن ... نهضنا نحو أرضه، لنجزيه بقرضه، بجيوش يضيق عنها فسيح كل مدى...وجعلنا نقذفهم من حجارة المجانيق،...ومن كيزان النفط الموقدة ...ومن السهام العقارة...حتى غدت جدرانهم مهدومة، وجسومهم مكلومة، وثغور شرفتاهم في أفواه أبراجهم مهتومة، وظلت الفعلة تشيد إزاء أبراجهم أبراجا، وتمهد منها لتسوير أسوارهم أدراجا ،...وهدمت أبراجهم الشواهق، وردمت حفائرهم والخنادق"[4].

[1] القلقشندي، ج8، ص99.

[2] الشاهري، المرجع السابق، ص84.

[3] أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط –الغرب الإسلامي والشرق الإسلامي، دار الرباط، المغرب، ط1، ج2، 2011، ص21-22.

[4] القلقشندي، ج8، ص94.

بعد وصول هذه الرسالة بعث الملك الناصر بسفارة إلى أبي الحسن يعزيه فيها في والدته التي وفاها الأجل قبل أن يحل رحيل السفارة، ويضيف ذكر انتصار الجيش المملوكي على ملك الأرمن من فتح خمسة عشر حصنا، فاضطر هؤلاء إلى قبول الهدنة مع السلطان المملوكي[1].

وفي عودة ركب الحج كلف الملك الناصر الشيخين أبي عبد الله محمد بن صالح، والحاج محمد بن أبي لحان أثناء رجوعهما برسالة إلى أبي الحسن[2]، "وقد مثلت هذه الرسائل المتبادلة صدى للدور السياسي والعسكري الذي تقوم به الدولتان، وسبيلا للتعرف على أحوال المسلمين في المشرق والمغرب"[3]، إلى جانب ذلك توضح لنا جليا الدور البارز الذي قم به العلماء في السفارة، وأيضا تكليفهم ترأس ركب الحج والاهتمام به، من يوم سفرهم إلى غاية عودتهم من مناسك الحج.

- سفارة عام 738هـ/1338م.

في عام 738هـ/1338م قادت الأميرة مريم حظية والد أبي الحسن المريني[4] ركب الحجاج المغاربة إلى المشرق بصحبة عدد من نساء البلاط وأحظيائه، واشتهر هذا الركب بالربعة الشريفة[5] التي بعثها أبو الحسن المريني للمسجد النبوي[6].

وسار الركب برسم الحج، وبعث معهم السلطان أبو الحسن برسالة "تتضمن التأكيد على العلاقات الطيبة التي تجمع الدولتين، كما جاءت في الرسالة توصية بالحجيج المغاربة خاصة الأميرة مريم، واصطحب الركب معه نسخة من المصحف الشريف بخط يد أبي الحسن المريني ليكون وقفا

[1] أحمد عزاوي، ج2، ص34.
[2] المنوني، المرجع السابق، ص182.
[3] الشاهري، المرجع السابق، ص 85.
[4] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص445./ نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص135.
[5] الربعة الشريفة: وهي مصحف من مكتوب في ثلاثين جزء ا من الورق، وكل جزء يحويه جلد ناعم الملمس، مخيط بخيط دقيق من الذهب والفضة كتبها بخط يده سلطان المغرب أبو الحسن المريني في سنة 745هـ/1344م، ولها صندوق بديع الصنع مزين بالنقوش الفضية و مختلف الألوان . ينظر: المنوني، المرجع السابق، ص211.
[6] المنوني، المرجع السابق، ص 182./ نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص135.

خالصا منه على المسجد النبوي الشريف، بالإضافة إلى هدية عظيمة كانت حديث المجالس في المغرب والمشرق، كان مقدارها 100.000 دينار مصري حملتها البغال والجمال"[1].

- سفارة عام 745هـ/1345م.

بعد استتباب الحكم لابن الملك الناصر أبي الفداء إسماعيل الملقب بالملك الصالح سنة 743هـ/1343م[2]، وعودة الأمن إلى طرق الحجاج، على إثر ذلك انطلق الركب عام 745هـ/1345م مع سفارة في مقدمتها الأميرة المرينية الحرة مريم أخت السلطان أبي الحسن[3]، "صحبة الكاتب أبو المجد ابن أبي عبد الله مدين، وكانت الغاية أيضا من هذه السفارة هي تعزية الملك المملوكي في والده الناصر محمد، وتهنئته بتوليه الملك على الديار المصرية والشام والحجاز، والرغبة في مساعدة السفير المغربي على تفقد أحوال المصحفين اللذين أوقافهما ملك المغرب غلى الحرمين الشريفين، مع التوصية بركب الحجيج المغاربة، كما يخبره ما حدث للمرينيين في موقعة طريف، وضياع الجزيرة الخضراء"[4]، و حسبما أورد المقريزي فإن الحرة مريم حملت جاء فيها :"...وفي منتصف شعبان من سنة 745هـ قدمت الحرة أخت صاحب المغرب، وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام.."[5].

- سفارة عام 749هـ/1349م.

كانت هذه آخر سفارة توجهت إلى المماليك على عهد أبي الحسن المريني في سنة 749هـ/1348م، مهمتها القبض على الوزير ابن تافراجين الفار منه إلى الإسكندرية بعد خروجه

---

[1] نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص153.

[2] الملك عماد الدين أبو الفداء، هو أبو الفداء هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ويطلق عليه ملك أو صاحب حماة في سوريا، استطاع أنْ يعيد المملكة الأيوبية إلى حماة، كانت له اليد الطولى في مدّ عمرها فيها إلى سنة 742هـ، أي إلى بعد نحو قرنٍ من الزمان من انقراضها في مصر، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص425-426./ الشاهري، المرجع السابق، ص88.

[3] الشاهري، المرجع السابق، ص88.

[4]. المقري، نفح الطيب، ج6، ص162./ أحمد عزاوي، ص 55./ الشاهري، المرجع نفسه، ص 88/ التازي، رحلة الرحلات، المرجع السابق، ص 125.

[5] المقريزي، السلوك، ج4، ص418.

عليه، فاستقبلها الناصر حسن بن محمد قلاوون، إلا أنه لم يستجب لطلبه لأن ابن تافراجين كان قد أجاره بعض الأمراء المماليك وانصرف لأداء فريضة الحج [1].

- سفارة عام 756هـ/1355م

بعد وفاة السلطان أبي الحسن المريني سنة 749هـ/1348م، تولى الحكم من بعده ابنه أبو عنان فارس، هذا الأخير الذي بعث بسفارة إلى حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة 756هـ/1355م[2]، وقد وكلت هذه السفارة رسالة السلطان المريني إلى الفقيه الكاتب أبي القاسم الغساني البرجي الغرناطي[3]، وكان الغرض من هذه السفارة هو إيصال ثلاثة مصاحف بخط السلطان أبي الحسن المريني إلى المسجد الحرام ومسجد المدينة المنورة والمسجد الأقصى، أجل جعلها وقفا[4]، وقد وقف المقري على هذا المصحف عندما ذهب للحج[5].

كما استعمل ابن خلدون في السفارة من طرف الملك المملوكي الظاهر برقوق إلى تيمورنك، "لأن دولة الجراكسة كانت تتعرض إلى هجمات التتر بقيادة تيمورلنك، الذي اتخذ من سمرقند قاعدة لتوسعاته، فاستولى على بلاد ما وراء النهر وخراسان وتبريز سنة 788هـ/1386م، ثم توجه إلى العراق عام 795هـ/1393م، وعلى إثر ذلك اجتمع ابن خلدون مع الفقهاء في المدرسة العادلية بدمشق واتفقوا على طلب الأمان من تيمورلنك، وهكذا وجد ابن خلدون أمام تيمورلنك الذي استقبله في خيمته بعدما سأل عنه، وكان المترجم بينهما الفقيه عبد الجبار بن النعمان الحنفي

---

[1] الزركشي، تاريخ الدولتين، ص84-85./ المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص 217/ الشاهري، المرجع السابق، ص 89.

[2] المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص218-219.

[3] أبو القاسم محمد البرجي الغرناطي: محمد بن يحي بن محمد بن يحي بن علي بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني البرجي الغرناطي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة، كان حسن الخط والكتابة، عين للكتابة عند السلطان أبي فارس واستعمله أيضا للسفارة. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص293.

[4] عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 134

[5] المقري، ج6، ص168.

الخوارزمي(ت808-1406م) ، ودار بينهما حديث طويل"[1]، وقد استطاع ابن خلدون أن يحصل على موافقة تيمورلنك في الإفراج عن أهل دمشق[2].

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن السفارات التي جمعت الدولتين المرينية والمملوكية كانت في أغلبها من أجل التوصية بركب الحج، كما عمل كل طرف بإخبار الطرف الآخر بكل التطورات السياسية، و عملت السفارات أيضا دورا بارزا في تقريب العلاقات وتجلى ذلك في التعاون المشترك ضد العدو الصليبي مثلما رأينا في حملة لويس التاسع.

ثانيا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة المماليك.

-العلاقات الحفصية المملوكية.

تعود العلاقات بين دولة الحفصيين والمماليك إلى أواخر عهد الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك البحرية، حيث تذكر المصادر أن علاقة مودة وصداقة جمعت السلطان أبا زكريا الحفصي والملك الصالح أيوب، وتجلت مظاهر هذه العلاقات في تبادل المعلومات حول التحركات الصليبية[3] .

-سفارة عام657هـ/1259م.

قام شريف مكة المكرمة سنة 657هـ/1259م، بإرسال سفارة تتضمن رسالة نص البيعة للسلطان الحفصي، وكانت الرسالة من إنشاء أبي محمد عبد الحق ابن سبعين المرسي[4]، عين سفيرا لتوصيلها أبي محمد بن برطلة الاشبيلي[5]، وفي هذا الصدد يقول ابن قنفذ:"...وكان هذا من أكبر آمال المستنصر وأحبها إليها..."[6]، وهنأه بعض الشعراء بقولهم:

[1] المصدر نفسه، ص 330-733/عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 134

[2] المرجع نفسه، ص 135

[3] عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص63.

[4] المطوي، المرجع السابق، ص 190.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص37

[6] ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص125.

أَهْنَأُ أَمير الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَةٍ وَافَتْكَ بِالْإقْبَالِ وَالْإِسْعَادِ

فَلِقَدْ حَبَاكَ بِمُلْكِهِ رُبَّ الْوَرَى فَأَتَى يَبْشَرُ بِافْتِتَاحِ بِلَاد

وَإِذاَ أَتَتْكَ أَمْ الْقُرَى مُنْقَادَةُ فَمِنْ الْمَبَرَّةِ طَاعَة الْأَوْلَادِ [1].

وهذه البيعة المكية زادت من مكانة الدولة الحفصية، غير أن هذا الأمر لم يستمر بسب ضعف الدولة وانقسامها بعد وفاة المستنصر في عام 675ه[2].

-سفارة عام 648-649ه/1250-1251م.

رغم مشكلة الخلافة التي قطعت العلاقات بين الدولة الحفصية والمماليك، إلا أن هذا لم يمنع السلطان الحفصي أن يطلب المساعدة من الظاهر بيبرس، الذي أرسل إليه سفارة عاجلة إلى المستنصر بالله برئاسة الأمير بدر الدين جمان يخبره بأن الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع ستتوجه إلى تونس وليس إلى مصر[3]، وكان رد الملك الظاهر بيبرس بإرسال النجدات إلى الحفصيين، وأمر عرب برقة بالمسير إلى تونس وأن يحفروا الآبار على طول الطريق المؤدية إليها حتى تستفيد منها الجيوش المقاتلة ومن أراد التطوع لقتال الصليبيين بتونس[4].

- سفارة عام792ه/1390.

أرسل السلطان أبو العباس أحمد الثاني، بسفارة إلى السلطان الظاهر برقوق، يهنئه فيها بمناسبة عودته للحكم بعد أن تم خلعه عام 791ه/1389م، وعين على وفد السفارة وزيره محمد بن أبي هلال مصحوبا بهدية فاخرة امتازت بكثرة ما فيها من الخيول، عنوانا للمحبة والصداقة التي بينهم[5]، يبدو من خلال الرسالة أن السلطان الظاهر برقوق أرسل سفارة قبل أن يصل الوفد الحفصي، يخبره

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص37

[2] أحمد عزاوي، ج2، ص88.

[3] مصطفى حسن محمد الكناني، حملة لويس، المرجع السابق، ص 220.

[4] ابن خلدون، العبر ج6، ص523./عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص71.

[5] المطوي، المرجع السابق، ص543.

عن الأوضاع السياسية في المنطقة، إذا جاء فيها:"...وفي أثناء شروعنا في ذلك، وسلوكنا من أيمن المسالك، وصل إلينا كتابكم الكريم...ولما استقرأنا فحواه، وخطابه الكريم ونجواه، تشوقكم لإخبار جهادنا، وسروركم بما يسنيه الله من ذلك ببلادنا، رأينا أن نتحف أسماعكم منه بما قرت به أعين الإسلام، وأثلج صدور الليالي والأيام"[1]، كان رد السلطان برقوق على هذه السفارة بأن أرسل إلى أبي العباس الحفصي، شاكرا له على التهنئة وعلى الهدية[2].

إن إرسال السفارات والتهاني أثناء تحقيق الانتصارات أهم ما ميز العلاقات الحفصية مع دولة المماليك ، وهو ما تبينه الرسائل التي تبادلها التي عبرت عن الرغبة في استمرار المودة ولم يغفل أي طرف في إخبار الطرف الأخبار بكل المستجدات وإعلامه بها.ولقد رأينا فيما سبق كيف اتحد الظاهر بيبرس وقدم المساعدة رغم مشكلة مسألة الخلافة بين الطرفين حيث آثر مساعدته عن المصالح الخاصة، على رغم عدوة العلاقات إلى التوتر ما إن يبتعد الخطر.

نلاحظ من خلال ما سبق أن كل موكب حج متجه إلى الحجاز إلا ويرافقه سفارة يعين عليها كبار الدولة ومحملة بالهدايا للسلطان المملوكي، وهي تدل على مدى ما أولاه السلاطين المغاربة من اهتمام لمواكب الحج من أجل وصولها في أمان وخوفا من الأخطار التي قد تلحقهم.

ثالثا: السفارات بين الدولة الزيانية ودولة المماليك.

-طبيعة العلاقات الزيانية المملوكية.

تنوعت العلاقات بين الزيانيين ومصر في العصر المملوكي ، "والذي ظهر أشده بعد انتصارات مصر على المغول، والتتار، والصليبيين؛ فقد كانت رابطة الإسلام والتبادل الثقافي ؛ ثم رابطة الحج باعتبار مصر مجاز الحجاج إلى الديار الحجازية، وقد اعتنى السلاطين الزيانيين بركن الحج ، وبذلوا في

---

[1] القلقشندي، ج8، ص84.

[2] أحمد عزاوي، ج2، ص 108.

سبيل إنجاحه ما يستطيعون من المال لتمهيد الطرق وكذلك بالمراسلات مع سلاطين المماليك"[1] ، وما يميز الدولة الزيانية عن غيرها من الدولتين الحفصية والمرينية أن المصادر "لا تشير إلى المراسلات والسفارات التي جمعت الدولتين، التي تأخرت إلى غاية حكم أبي حمو موسى الأول، وأرجع ذلك أحد الباحثين إلى عدة أسباب، مردها إلى مبايعة يغمراسن بن زيان للحفصيين واعترافهم بخلافتهم وتوصية بنيه بذلك، مما جعل المماليك ينظرون إليه نظرة عداء، وهي تظهر جليا موقف بني عبد الواد من الخلافة الحفصية وأنها الأحق بتمثيل المسلمين"[2].

-سفارة عام 678هـ/1280م.

سجلت لنا المصادر سفارة واحدة في القرن السابع بين المشرق وتلمسان، "وهي عن السلطان عثمان بن يغمراسن إلى السلطان الحفصي أبي إسحاق المجاهد يرغب في الاعتناء بأمه المرافقة لركب الحج ، وهي مؤرخة بشهر ذي القعدة سنة 678هـ"[3]، وعليه فمن الأرجح أن الوفد المرافق لركب الحج يكون حمل معها رسالة أخرى إلى السلطان المملوكي إلى جانب هدية وهي عادة تميز بها سلاطين المغرب بأن يكلفوا رئيس الوفد بحمل رسالة توصية إلى السلطان المملوكي من أجل الاعتناء بالركب.

-سفارة عام 707هـ/1307م.

بعد نهاية الحصار المريني لتلمسان وتجدد الدولة الزيانية على يد أبي حمو موسى الأول، توترت العلاقات بينه وبين الدولة المملوكية، بسبب تعرض سفارة مملوكية عائدة من المغرب الأقصى لعدوان بعض قطاع طرق أعراب زغبة بنواحي المدية ونهبوهم رغم حماية بني عبد الواد لهم[4].

---

[1] هيام علي عيسى، الحج الى الحجاز في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2010، ص 96.

[2] عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص89.

[3] أحمد عزاوي، ج2، ص 113.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7،ص709./ أحمد عزاوي، ج2، ص113.

بسبب هذه الحادثة غضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون فبعث بسفارة إلى أبا حمو موسى الأول، وكان رد السلطان الزياني أن بعث برسالة من إنشاء القاضي محمد بن هدية جاء فيها:"...أما عتابك على شأن الرسل وما أصابهم في طريقهم، فقد حضروا عندي وأبنت لهم الاستعجال حذرا مما أصابهم، وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائب الأعراب، فكان جوابهم: إن جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف، مغتربين بشأنهم يحسبون أنّ أمره نافذ في أعراب قبائلنا، وأما الهدية فردت إليك فنحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت، وحسبنا به دهناً، وأما المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد والسلام"[1]. ويبدو أن التوتر بين الطرفين راجع إلى العلاقات الحسنة بين المرينيين والمماليك، في الوقت الذي كان الحصار على تلمسان مشتدا[2].

-سفارة عام 725هـ/1325م.

أرسل أبو تاشفين الأول الحكم سفارة إلى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عام 725هـ/1318م ، عين على وفدها أبي عبد الله بن مدورة يعبر فيها عن حسن نواياه [3]، وأيضا مما كلف به السفير هو مهمة إقناعه إرجاع العلاقات إلى سالف عهدها من مودة وهو ما يفهم من خلال الرسالة إذ أورد قائلا:"...والمحبة والإخاء، مما يعز عنه الكتاب، فالمقام الشريف يثق إلى قوله ويعامله بما يليق ببيته ودينه، وغرضنا أن تعرفوه بجميع ما يصلح لذلكم المقام الشريف ببلادنا، و يصلكم إن شاء الله في أقرب الأوقات، على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المنة العظمة، والمزية القصوى، والله تعالى يبقي ذلك المقام الشريف محروس المذاهب، مشكور المناقب، إن شاء الله تعالى"[4].

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص710.
[2] أحمد عزاوي، ج2، ص113.
[3] القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص85./عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص64
[4] المصدر نفسه، ص87.

توقفت العلاقات الزيانية المملوكية، فعلى الرغم من عودة الحكم لأبي حمو موسى الثاني بعد تجدد الدولة الزيانية على يده، إلا أن المصادر لا تذكر إن عادت العلاقات بينه وبين المماليك.

-سفارة عام 799هـ/1397م.

تذكر المصادر عن عودة العلاقات الودية بين الدولتين الزيانية والمملوكية، وكانت المبادرة هذه المرة من طرف السلطان المملوكي الظاهر برقوق، الذي بعث بسفارة سنة 799هـ/1397م لشراء الخيول من سلاطين المغرب الإسلامي، وحملها هدية مكونة من القماش والطيب، منها إلى السلطان الزياني أبي زيان محمد بن أبي حمو[1]، فرد هذا الأخير بتلبية طلبه فأرسل إليه ثلاثين من الجياد المسرجة والأقمشة، ومعها قصيدة من نظمه يمدح فيها الظاهر برقوق[2]، تتكون من اثنتي وستين بيتا ومما جاء فيها:

لِمَن الَّرَكَائِب سَيْرهن ذَميلُ ... والصَّبْرُ - إلاَّ بَعدَهن – جَميلُ
يَا أيُّهَا الحادي رُويدك إنَّهَا ... ظُعُنُ يَميلُ القَلْتتب حَيث تُميل
رِفقاً بِمَن حملَته فَوق ظُهورها ... فالحسنُ فَوْقَ ظُهُورها مَحمولُ
لله آيه أنجم: شَقَّافة ... تَنجاب عنها للظلام سدولُ
شُهُبُ بآفاق الصُدور طُلوعها ... ولها بأسْتارِ الجَدول أفول
في الهَوْدج المِزْرُور منها غادة ... تَزَعُ الدجى بجبينها فَيَحولُ[3]

رابعا: أثر السفارات على العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والمماليك.

كان للسفارات التي جمعت دول المغرب الإسلامي الثلاث بدولة المماليك، آثارا على مختلف النواحي التي تعدت الجانب السياسي لتمتد للجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، فمن الناحية

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص710./ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص64
[2] التنسي، المصدر السابق، ص 220-223.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص711

الثقافية مثّل ركب الحج أهم ركن للمغاربة وحرص سلاطين المغرب الإسلامي مع المماليك في سلامة وصول ركب الحج ، خاصة وأن الركب اقترن بالسفارة، وقد رأينا فيما سبق ذكره في هذا الفصل أن أغلب هذه السفارات "كانت من أجل الاهتمام بركب الحج للسير الحسن له، وفي المقابل لم يبخل السلاطين في الاهتمام باعتبارهم خدم الحرمين الشريفين والبقاع المقدسة الذين اعتبروا ركب الحج فرصة لا يمكن تفويتها لما له أثر على الاقتصاد وقد كان ركب الحج فرصة للسلاطين المغاربة والعلماء والحجاج و لإرسال معهم الأوقاف وتحبيسها في الحرمين الشريفين ومن أمثلة هذه الأحباس نذكر :تحبيس "أوقاف" السلطان أبي يعقوب يوسف المريني مصحفا على الحرم المكي سنة 703هـ/1303م تم حمله رفقة ركب الحج المغربي وكان حجمه كبيرا ومرصعا بالذهب والياقوت"[1]، وصفه ابن مرزوق قائلا:"وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط ابن حسن ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا، وقد قرأت فيه أعواما"[2].

كما كان لركب الحج المرافق للسفارة "سببا في ظهور نوع من الأدب المغربي أوجده حنين المغاربة المتزايد للبقاع المقدسة ، فقد ألفوا قصائد عديدة ورسائل كثيرة يبثون فيها الأشواق للحج، والى هذه الأشعار أنشأ المغاربة قصائد التهنئة بالحج والتنويه ببعض شخصيات السفير الذي يتولى ركب الحج"[3]، ومن بينها :

-رواق المغاربة بالجامع الأزهر الذي "حاز الزعامة الفكرية والثقافية لما يتوفر فيه من تنوع واتساع الحلقات، وتيسير لأسباب الدراسة، حفز طلبة العلم إلى زيارته، وكانت مهمته تنحصر فيما يحرر

[1]ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص479/المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص172-173

[2]ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق ص479

[3] المنوني، من حديث ركب الحج ، المرجع السابق، ص 42.

هناك حول الفقه المالكي"[1]، إضافة إلى الكثير من المساجد والمدارس، التي كانت مقصد طلبة العلم، وكان من أشهرها مسجد الطرطوشي[2].

كان هذا الترحيب الذي لقيه المغاربة بعد أن مهد لهم السلاطين وتوطدت العلاقات سببا في توافد طلبة العلم على مصر، وانتعاش الرحلة العلمية في ذلك العصر مابين المغرب الإسلامي والمشرق[3]، وانتقل إليهم أيضا علماء المشرق ليأخذوا عنهم، من أبرزهم: عيسى بن مسعود بن منصور شرف الدين الزواوي[4] عبد الله بن محمد المسيلي جمال الدين أبو محمد فقيه مالكي[5].

كما ارتبطت بلاد المغرب الإسلامي بروابط ومصالح اقتصادية مهمة، "فقد لقيت التجارة بين البلدين رعاية واضحة، خاصة وأن حركة التجارة في عصر الدولة القلاوونية انتعشت، وسعت لتوفير الراحة للتجار، إضافة إلى إنشائها الفنادق والخانات تسهيلا لهم"[6]، أما فيما يتعلق بطبيعة التبادل التجاري، فكانت التجارة مع مصر ودول المغرب الإسلامي مرتبطة بمواسم الحج[7]، ونتيجة لذلك تعددت النشاطات التي كان يمارسها المغاربة في مختلف المدن المصرية، وانتشارهم في أحيائها، منها:

---

[1]الشاهري، المرجع السابق، ص 91.

[2]مسجد الطرطوشي: ينسب إلى أحد علماء المسلمين الأعلام ينسب إلى طرطوشة من بلاد الأندلس نشأ بها وطلب العلم في البلاد الأندلسية، أخذ عن أبي الوليد الباجي وابن حزم. ورحل إلى الشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ولقي شيوخ العراق وأقام بالشام زمناً ودرس بها. توفي عام 520هـ/1126 وله مؤلفات أعظمها سراج الملوك والذي قدمه للسلطان الفاطمي المأمون البطائحي سنة 516هـ/1122 ، ولهذا تكريما بنى مسجدا عليه.ينظر: الذهبي شمس الدين، سير أعلام العلماء، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، ج19، 1996، ص490-481./ عبد الرحمن بلعرج، المرجع السابق، ص198.

[3] الشاهري، المرجع السابق، ص 90.

[4]تفقه ببجاية والإسكندرية، ثم درس بالأزهر الشريف وقد صنف شرحا لصحيح مسلم في اثني عشر مجلدا، كما ولي تدري الفقه المالكي بزاوية المالكية بالقاهرة، وانتهت إليه رياسة الفتوى في مذهب مالك إلى أن توفي بالقاهرة سنة 743هـ/1342م. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت1930،ج3، ص210.

[5]قال عنه ابن فرحون:" جمال الدين أبو محمد الإمام العلامة الأوحد البارع المتفنن صاحب المصنفات البديعة والعلوم الرفيعة كان حاله عجيباً ومنزعه غريباً وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح وانتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي. توفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة بالقاهرة" .ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د-ت، ج1، ص450 .

[6]الشاهري، المرجع السابق، ص92.

[7]المرجع نفسه، ص 93.

-حارة كتامة: كانت منازل كتامة بها عندما قدموا من المغرب مع جوهر الصقلي [1].

-حارة بني سوس: عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها[2].

من خلال ما سبق يتبين أن السفارات كان لها دورا بارزا في العلاقات التي ربطت بين دول المغرب الإسلامي، التي شملت جميع المجالات الاقتصادية والسياسية وخاصة الثقافية، التي كانت عاملا في تشجيع الرحلة إليها وطلب العلم مما أدى إلى بروز علماء أجلاء ساهموا في الحياة العلمية وأثروا الساحة العلمية، وتولوا مناصب عليا في الدولة بدعم من السلاطين أنفسهم، وكذلك شكل الحج نقطة التقاء وتلاقح وتبادل للعلوم وقد رأينا ما من سفارة توجه إلا ومع ركب الحج ويقودها كبير الشيوخ، وحمل معهم هؤلاء علمهم وكتبه، وبعضهم عند عودته يجلب المؤلفات واستغلها فرصة للتدريس.

[1]المقريزي أبو العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997،ج2، ص388..

[2]المصدر نفسه، ص400.

خامسا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والسودان الغربي.

كان العرب أول من أطلق كلمة"السودان" على الشعوب السوداء التي تسكن وراء الصحراء الكبرى، وأطلقوا على تلك البلاد اسم "بلاد السودان"[1]، وتميزا لهم أيضا عن سكان الصحراء المغاربة[2]، وتشمل بلاد السودان منطقة واسعة في غرب إفريقيا تنحصر بين الصحراء في الشمال، والغابات الاستوائية في الجنوب، وتمتد شرقا إلى بحيرة التشاد، وغربا الى المحيط[3].

وقد جمعت بلاد السودان الغربي مع دول المغرب الإسلامي علاقات متميزة، التي من أهمها: مملكة غانا[4]: مملكة مالي[5]: مملكة سنغاي[6].

[1]بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص206

[2]الملاح بشار أكرم، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5-9هـ/11-15م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص36.

[3]أحمد محمد إسماعيل الجمال، "تاريخ مدينة أودغست ودروها في حركة التجارة بين المغرب و أفريقيا جنوب الصحراء(السودان الغربي)"، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، القاهرة، العدد الثامن، 2008، ص11.

[4]وقد وصفها الكثير من الجغرافيين أمثال: ابن حوقل واليعقوبي والزهري، والبكري الذي قال عنها :" وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار واسم ملوكهم اليوم وهي سنة سنتين وأربع مابة تنكامنين...وغانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه ولها الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم حواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بها متصلة ومبانيهم بالحجارة...وملكهم يتحلى بحلى النساء في العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمايم القطن الرفيعة وهو يجلس للناس والمظالم في قبة ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهبة ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الجحف والسيوف المحلاة بالذهب وعن يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا رؤسهم على الذهب وعليهم الثياب الرفيعة "، أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج2، ص 871-872. /الزهري، المصدر السابق، ص125.

[5]يرجع الفضل في قيام دولة مالي إلى قبائل الماندنجو، وقد اشتهرت هذه الدولة أيضا ببلاد التكرورالتي كانت في الأصل إمارة بحماية ملوك غانا كسائر المقاطعات المجاورة لهذه الإمبراطورية، وكان أمراؤها رهائن في قصر أولئك الملوك حتى لا تسول لهم نفوسهم أن ينقضوا البيعة، ومن بعدهم دخلوا تحت حكم مملكة صوصو، الذي قاموا بقتل أحد عشر منهم، لكن أحد الأمراء "سوندياتا" أفلت منه لمقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002، مج3، ص496-497./ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص44. حسن الوزن، المصدر السابق، ص 164-165/ مجلة دعوة الحق، العدد52،د-ت، موقع http://www.habous.gov.ma تاريخ زيارة الموقع 2016/8/23.

[6]سنغاي: وهي قبيلة كانت تسكن النيجر حول الغابات الاستوائية أولاً ثم انتقلت إلى الشمال وأسست حوالي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي إقليم عرف أطوار القوة والضعف وتدهور قبل أن يتولاه الأساكي ليصبح دولة متكاملة وقوية تحت حكمهم. النطق الصحيح لسنغاي وهو بأن تنطق بسين مضمومة، بعدها حرف مركب من نون وغين مخففين مع إطباق مؤخرة اللسان، ميغا هارون المهدي، إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي، للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، د-ت، ص4مبخوت بودواية، المرجع السابق، ينظر: عبد الله عيسى، "أثر الإسلام على المجتمع

1- طبيعة العلاقات المرينية مع السودان الغربي[1].

ارتبط المغرب مع السودان بسبب المدن التجارية الواقعة في طرق التجارة وهو ما ساعد في زيادة التواصل بينهما[2]، حيث يجلب من المغرب الملح الذي يحتاج إليه بكثرة وكذا الحبوب والتمور والثياب والأواني، ويجلب من منطقة السودان خاصة العاج والعبيد[3]، "والطريف في الأمر أن هذه العلاقات التجارية تميزت بممارسة لون خاص من التجارة عرفت بالتجارة الصامتة، تتم دون التقاء التجار، حيث يضع المغاربة بضاعتهم من الملح وغيره وينزلون بعيدا عنها، وعندما يأتي التجار السودان يضعون ثمنها ذهبا ويعودون، يأتي المغاربة فإن رغب المغاربة ورضوا بالثمن أخذوا الذهب وتركوا بضاعتهم وإن لم يرضوا تركوا البضاعة واختفوا مرة أخرى وهكذا إلى أن يدفع لهم التجار السودان ثمنا مناسبا"[4].

- سفارة عام 724هـ/1323م.

" أرسل منسا موسى[5] وهو في طريقه لأداء فريضة الحج سنة 724هـ/1323م، رسالة إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب يخبره فيها بمرور قافلته من الطريق الذي تمر منه قوافل سلاطين المغرب والمحاذي لساحل البحر الأبيض المتوسط"[6].

الأفريقي خلال القرن 10هـ/16م مملكة سنغاي نموذجا"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون، 2015، ص281.

[1] "ينقسم السودان إلى ثلاث أقسام : السودان الشرقي: وهو يشمل مناطق النيل وروافده، جنوب بلاد النوبة وربما أطلق عليه فترة متأخر بلاد الزنج. السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد، السودان الغربي: ويشمل كل ماعدا ذلك غربا إلى المحيط الأطلسي مثل النيجر الأوسط وفولتا العليا وغمبيا وحوض السينيغال". بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص206.

[2] حمد محمد الجهيمي، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/19م، د-م، د-ت، ص 5-6.

[3] أحمد محمد إسماعيل، المرجع السابق، ص 11-12.

[4] القرقوطي، الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين، ص 290.

[5] منسا موسى: هو منسا بن ماري جاطة بن منسا مغا، يعرف صاحب هذه المملكة عند أهل مصر بملك التكرور، ويعتبر من أعظم ملوك السودان، اشتملت مملكته على أربعة عشر إقليما، دام حكمه خمسة وعشرون سنة، ينظر: المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج3، المرجع السابق، ص496-497.

[6] بشار أكرم جميل ، المرجع السابق، ص8.

- سفارة عام737هـ/1337م.

جاءت هذه السفارة بعد الانتصارات التي حققها السلطان أبو الحسن في المغرب الأوسط، عندما تمكن من إخضاع دولة بني زيان عام 737هـ/1337م، لذلك أوفد منسا موسى سنة 737هـ/1337م إلى بلاد المغرب سفارة لتقديم التهنئة[1] "وكانت هذه السفارة بهدف تهنئة السلطان المريني بالنصر الذي حققه على أبي تاشفين، لقد أراد السلطان موسى أن تكون سفارته معبرة وتوصل كل ما يريد قوله إلى السلطان أبي الحسن ، لذا انتدب رجلاً من أصل صنهاجي ليكون ترجماناً لها"[2] . فكان منسا موسى حريصاً على أن يظهر كل معاني حسن الجوار والاحترام للمرينيين، وإظهار البهجة بانتصارهم[3]. "كما أن تلك السفارة وذلك الاستقبال الذي حظيت به من قبل أبي الحسن أقنعت منسا موسى بأن السلطان المريني لم تكن لديه رغبة في ضم الأراضي المالية إلى أملاكه" [4] .

- سفارة عام 741هـ/1340م.

بعد وفاة منسا موسى عام 741هـ/1340م، الذي خلفه منسا مغا" أرسل السلطان أبو الحسن المريني بسفارة تعبيرا على رغبته لاستمرار العلاقات الودية بينهم، ويعبر عن تعازيه على وفاة أخيه منسا موسى"[5].

[1] الشاهري، المرجع السابق، ص 70.
[2] بشار أكرم جميل، المرجع السابق، ص6.
[3] المرجع نفسه، ص6
[4] المرجع نفسه، ص6
[5] أحمد الشكري ، المرجع السابق، ص274.

- سفارة عام 748هـ/1348م.

بعد استيلاء أبي الحسن على تلمسان ثم تونس عام 748هـ/1348م انتهز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة يهنئ السلطان أبي الحسن المريني بمناسبة فتحه الجديد[1]، " إلا أن تلك السفارة تعرضت للسلب والاعتداء فذهبت السفارة إلى تونس لملاقاة أبي الحسن دون هدايا برعاية أمير الذواودة (يعقوب بن علي) بعد أن دخلت مدينة بسكرة قبل وصولها إلى تونس. وكان من بين أفراد تلك السفارة الحاج موسى الونجراتي الذي لقيه الرحالة أبن بطوطة خلال وجوده في دولة مالي الإسلامية"[2] .

- سفارة عام 753هـ/1252م.

في عهد السلطان أبي عنان المريني "تكرست العلاقات المرينية مع مالي، برحلة ابن بطوطة إلى هذه الأخيرة، بقصد دراسة الطرق التجارية التي تربط البلدين، ومعرفة حجم تجارة الذهب المتبادلة بين السودان ومصر وتحويل مسارها نحو الدولة المرينية"[3]، وقد شكك أحد الباحثين في هذه السفارة واعتبرها سفارة تجسسية أدت إلى أجواء مشحونة بالتوتر بين مالي والمرينيين، وأساءت إلى علاقات البلدين[4]، وقد قدم لنا ابن بطوطة من خلال رحلته وصفا دقيقا لمجلس السلطان إذ قال: " يجلس بالمشور، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها...وعند جلوسه تضرب الطبول والأبواق ..."[5] .

---

[1] أحمد الشكري ، المرجع السابق، ص274./ السلاوي، الاستقصا، ج3، ص151-152.

[2] بشار أكرم جميل، المرجع السابق، ص12.

[3] معمر القرقوطي، الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 289.

[4] أحمد الشكري ، المرجع السابق، ص 277.

[5] ابن بطوطة، مج4، ص 261-262.

- سفارة عام 762هـ/1360م.

بعد وفاة منسا سليمان تولى الحكم في مملكة مالي منسا ماري جاطة الثاني (762-776هـ /1360-1374م)[1] والذي أرسل بسفارة محملة بالهدايا إلى السلطان، والتي وصف ابن خلدون الهدية في أنها تتمثل في :"...حيوان الزرافة الغريب الشكل، العظيم الهيكل، المختلف الشبه بالحيوانات"[2].

يتضح لنا من خلال السفارات التي تم إرسالها من طرف الملوك الماليين كانت بهدف كسب ود السلاطين المرينيين، وإظهار حسن الجوار واحترامهم لمصالح دولتهم وابتهاجهم بفتوحاتهم العسكري[3]، "ومن المفيد أن نذكر تطور التجارة آنذاك مع المدن المالية حيث عرف قسم من المدن المغربية ما اصطلح عليه بالوكالة التجارية التي أسسها وقتئذ المقري الجد والتي نظمت أعمال تجارة السودان، وكان مركزها تلمسان للوقوف على تنظيم التجارة المارة مابين سجلماسة –تغازي–ولاته– ولتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء، وكانت هذه الوكالة ينظمها خمسة أخوة يقيم اثنان في تلمسان، واثنان في ولاته والخامس في سجلماسة"[4] .

[1]ماري جاطة: هو ابن منسا مغا بن منسا موسى، حكم مالي لمدة أربع عشر عاما، ومعنى اسمه ماري جاطة، تعني الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطة الأسد، ينظر: المقريزي، درر العقود الفريدة، مج3، المصدر السابق، ص497-498. / القلقشندي، ج5، ص292.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص411.

[3]الشاهري، المرجع السابق، ص 72.

[4]المرجع نفسه، ص 78

2- أثر السفارات بين الدولتين على الحياة الثقافية.

من بين النتائج الإيجابية للسفارات أن تمكن منسا موسى بفضل جهوده توطيد العلاقات الثقافية بين الجانبين، الذي كان موصوفا بالتدين وتقوى الله، وشجع شعبه على طلب العلم، وإبداء الاحترام لعلماء الدين وطلبة العلم [1]، "لذلك أرسل موسى البعثات من بلاده إلى مدينة فاس على نفقة الدولة ، وكان من يحصل على علومه في المغرب يعود إلى بلاده ليعمل في وظائف متقدمة كالقاضي والإمام أو المعلم في مدارس المدن السودانية"[2]، إضافة أنه لا يخالجنا شك في أن نوع التكوين العلمي الذي كانت فاس المرينية تضمنه لطلابها، من أهم الحوافز التي دفعت السودانيون إلى الرحيل إليها. فقد كان الفقه المالكي بكل فروعه يحظى بالأسبقية على باقي المواد الدراسية[3]، الذي لقي انتشارا واسعا وخير دليل على العناية به شراء عدد كبير من الكتب المالكية من طرف منسا موسى خلال رحلته للحج[4] وقد أشتهر من بين أولئك الطلبة عبد الرحمن التميمي [5]، "ولما كانت للرحلة العلمية مساهمة فعالة أضحت مالي مركز استقطاب العلماء، وفي زيارة ابن بطوطة لاحظ وجود وجد الكثير من الأحياء منها حيا خاصا للعلماء، وكان كبيرا فقهاء مالي هما محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين النقويش المغربي"[6]، ولم تكن تلك الأحياء في أقاليم السودان التي كانت تسمى أحياء "البيضان" مقصورة على الجماعات الوافدة من المغرب الأقصى فحسب، بل كانت تشمل المهاجرين القادمين من تونس وتلمسان[7].

---

[1] محمد سعود جبران، أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ص 158.

[2] بشار أكرم جميل، المرجع السابق، ص9.

[3] عبد العزيز العلوي،مجلة دعوة الحق، المرجع السابق.

[4] المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000، ص 143.

[5] السعدي، تاريخ السودان، المرجع السابق، ص51.

[6] الشاهري، المرجع السابق، ص 78.

[7] محمد سعود جبران، المرجع السابق، ص 173.

ومن مظاهر الحضارة التي تطور بها السودان، فن العمارة الذي نما وتطور وازدهر بدخول المغاربة والمهاجرين الأندلسيين، وأقدم مثال لهذا الفن عندما استعان السلطان منسا موسى بخبرة العالم أبي إسحاق الساحلي، الذي استخدم الطوب المحروق والأصباغ في تشييد قصره وقسم من المساجد[1].

3- السفارات الحفصية مع بلاد السودان.

ارتبطت علاقات ودية بين الحفصيين مع دولة الكانم[2]، من أجل المحافظة على المكاسب التجارية، واتخذت اتجاهها موقف الحياد في أثناء حروبهم الداخلية[3]، "ومن المحتمل أن الدولتين دخلتا في حلف؛ لأن ملك دونمه دبلامي أخمدت الثورة التي قام بها أحد أبناء قراقوش على السلطان المستنصر الحفصي عندما قام الملك الكانمي بقتل الثائر ومن معه عندما التجأ إلى فزان"[4].

ومن مظاهر توطد العلاقات بين الدولتين إرسال دونمه دبلامي بسفارة إلى السلطان المستنتصر الحفصي في عام 655هـ/1257م تحمل هدية تتمثل في حيوان الزرافة إذ يقول ابن خلدون:" وفي سنة خمس وخمسين وستمائة وصلت هدية ملك كانم من ملوك السودان وهو صاحب برنو موطنه قبلة طرابلس، وكان فيها الزرافة وهو الحيوان الغريب الخلق المنافر الحلي والشيات، فكان لها بتونس مشهد عظيم برز إليها الجفلي من أهل البلد حتى غص بها الفضاء وطال إعجابهم بهذا الحيوان وتباين نعوته"[5]، تبين هذه السفارة قوة العلاقات بين الدولتين، ومن جهة أخرى ارتبطت "حركة التجارة بين بين طرابلس الغرب مع بلاد الكانم التي كانت مستمرة بوصول التجار إلى فزان ومنها إلى كانم،

---

[1] السعدي، المرجع السابق، ص8/ محمد سعود جبران المرجع السابق، ص 178.

[2] تنسب دولة الكانم إلى شعب الزغاوة يقول عنهم اليعقوبي"وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو الغرب فإنهم قطعوا البلد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم: الزغاوة، وهم النازلون بالموضع الذي يقال له كانم". ومدينة جيمي تعتبر قاعدة دولة الكانم، وعرفت أيضا ببلاد البرنو بداية من نهاية القرن الرابع عشر هجري .عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2010، ص238. المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة ، المصدر السابق، ص27.

[3] قاد دونمى دبلامي وهو أهم شخصية في تاريخ الكانم، بقيادة حملة عسكرية إلى الجنوب، وغزا القبائل الوثنية، ك- ماد هو بانيكار: الوثنية والإسلام ،تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2، 1998م، ص182.

[4] عبد الله جبوده مريم محمد، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، 2008 ، ص113

[5] ابن خلدون، العبر، ج6، ص417/ ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص120./ ابن الشماع، المصدر السابق، ص 66.

حاملين معهم الهدايا للسلطان والذي كان يسمح لهم بحرية الإقامة والتنقل إلى بلادها، وبعد أن يعطوه الهدايا كان أهل كانم يستقبلون التجار بالحفاوة والترحاب، ويقيمون لهم الفنادق"[1]، وكذلك ركب الحج خللا مروهم عليهم، ولاشك بأنه كان لهؤلاء التجار والحجاج دور كبير في نشر الإسلام وعقائده في المنطقة.

ولما كان من الطبيعي تأثير البيئة الجغرافية في طبيعة السلع المتبادلة بين المغرب ودولة الكانم[2]، إلى جانب الملح والخيول التي وغيرها من الأسلحة[3] وفي المقابل عرفت تجارة العبيد والذهب رواجا كبيرا بين الدولتين مثلما كان التجار مع جارتها المرينية[4]، واستمرت هذه العلاقات الجيدة طيلة حكم الحفصيين[5] .

ومن نتائج هذه السفارات نشر الإسلام في المنطقة "كما برز تأثر حكام الكانم بجيرانهم الحفصيين في الشمال فقد اتخذ الماي دونمه بن دابال لقب أمير المؤمنين ومنذ ذلك التاريخ أصبح الحكام من بعده يتسمون بهذا اللقب، ومعروف أن هذا اللقب لا يتسمى به إلا الخلفاء ولذا فقد ادعى حكام كانم الخلافة وجعلوا من أنفسهم امتداداً للخلافة الأموية"[6].

---

[1]عبد الله جبوده ، التجارة في بلاد المرجع السابق، ص114.

[2]الرباصي مفتاح يونس، "ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى"، مجلة الساتل، ليبيا، د-ت، ص97.

[3]من أبرز المدن التيالتي اشتهرت كمحطات للقوافل التجارية غدامس و وغات وزويلة مرزق وبلما . ينظر: الرباصي مفتاح يونس، المرجع السابق، ص 94-95. الحسن الوزان، ج2، ص146./القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، المصدر السابق، ص 57.

[4] الرباصي مفتاح يونس، المرجع السابق، ص 98-99.

[5]العبيدي عبد العزيز،" انتشار الإسلام في إقليم الكانم"، مجلة دراسات افريقية، د-ت، ص43.

[6] المرجع نفسه، ص48.

4- السفارات الزيانية مع بلاد السودان.

يرجع ارتباط المغرب الأوسط بالسودان منذ قيام الدولة الرستمية بتيهرت خاصة في حكم ثالث الأئمة الرستميين أفلح بن عبد الوهاب(ت240هـ)، وقد قامت تيهرت التي بدور الوسيط لتجارة المشرق والمغرب التي ساعدها على ذلك ارتباط تيهرت بمختلف مدن المغرب الإسلامي[1] إذ جاء عن ابن الصغير أن أفلح بن عبد الوهاب أرسل ابن عرفة في سفارة إلى ملك السودان[2] ، "وهي تدل العلاقات المتينة التي جمعت البلدين، وفي عهد الفترة لقد ارتبط سلاطين بني زيان ارتبطوا أيضا بعلاقات ودية مع سلاطين كانم وبرنو وسنغاي ومالي، وتبادلوا معهم الهدايا والرسائل وكانت العلاقات متصلة عبر الطرق الصحراوية"[3]، فقد راسلوا ملوك مالي، كما ارتبط هلال القطلاني، حاجب أبي تاشفين الأول، بالصداقة مع منسا موسى سلطاني مالي عندما التقى به في موسم الحج[4].

الحج[4].

توطدت العلاقات أكثر بين الدولتين نتيجة "ما اصطلح عليه بالوكالة التجارية التي أسسها وقتئذ المقري الجد والتي نظمت أعمال تجارة السودان، وكان مركزها تلمسان للوقوف على تنظيم التجارة المارة مابين سجلماسة –تغازي-ولاته- ولتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء، وكانت هذه الوكالة ينظمها خمسة أخوة يقيم اثنان في تلمسان، واثنان في ولاته والخامس في سجلماسة"[5] .

إلى جانب أسرة المقري، اشتهرت عائلات تلمسانية أخرى بالتجارة مع بلاد السودان، مثل عائلة العقباني وعائلة المرازقة، التي كانت لها علاقات طيبة مع سلاطين الدولة الزيانية وسلاطين المماليك

---

[1] خالد بلعربي، "تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، غرداية، 2011، ص37.

[2] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق بحاز إبراهيم ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص64.

[3] كانت الطرق التجارية مختلفة متعدد منها أشهرها من تلمسان إلى سجلماسة وكذلك من تلمسان غرداية وتوات وينتهي إلى تومبكتو ؤعلى غرار جيرانها كانت هي الأخرى تقوم بجلب مختلف السلع من ذهب ومعدن النحاس وريش النعام .مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 310-311./ ينظر: عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9و10هـ/15-16م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص93-94.

[4] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 321-322.

[5] الشاهري، المرجع السابق، ص 78.

السودانية الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم[1]، إذ أورد ابن بطوطة في رحلته لتلمسانيين منهم الحاج زيان الذي رافقه و التقائه ببعض التجار التلمسانيين منهم الشيخ الرحال عقبة، و الشيخ اللبان التلمساني محمد بن الفقيه، وكان هذا الأخير أحد المقربين إلى مجلس السلطان منسا موسى[2] .

لعبت القوى السياسية في بلاد المغرب الإسلامي دورا لا يستهان به في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية للتجار العرب المسلمين مع بلاد السودان الغربي[3].

وتعبر الطرق التجارية أهم وسيلة لهذا الاتصال التي كانت وسيلة الاتصال الاقتصادي والثقافي في آن واحد[4].

نستنتج من خلال ما سبق أن للسفارات دور كبير في استحكام الصلات والعلاقات الدبلوماسية، والتي كانت لها آثار إيجابية على دول المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي، وبفضله استطاع سلاطين المغرب الإسلامي من توفير الأمن للقوافل التجارية في السير الحسن لها، مما نشط الجانب الاقتصادي الذي أدى إلى تنوع السلع والمبادلات التجارية، ومن جهة أخرى استفاد الطرف السوداني الذي انعكست أثارها عليه خاصة في الجانب الحضاري والثقافي.

وفي ختام هذا الفصل يتضح أن ارتباط المغرب الاسلامي بالمشرق الاسلامي، أبرز ماميزه هو ركب الحج من أجل القيام بالشعائر الدينية، الذي كان فرصة لتبادل رسائل المودة لتأكيد الصلات السياسية التي تربط الطرفين.

---

[1] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص322.

[2] ابن بطوطة، ج4، ص243-254.

[3] خالد بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 37.

[4] المرجع نفسه، ص39.

الفصل الرابع: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني.

أولا: طبيعة العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني.

ثانيا: العلاقات بين الموحدين والعالم النصراني.

ثالثا: السفارات بين الحفصيين والجمهوريات الايطالية.

رابعا: السفارات بين الحفصيين والممالك النصرانية.

- جدول يبين أسماء السفراء الذين توافدوا على الحفصيين والنصارى.

خامسا: ملاحظات واستنتاجات حول المعاهدات.

1- الضرائب.

2- ضمان الحماية والرعاية للتجار وسلعهم.

3- الفنادق.

4- التفويض

سادسا: السفارات بين المرينيين والممالك النصرانية.

1-السفارات بين الدولة المرينية ومملكة أرغون.

2-السفارات بين الدولة المرينية وقشتالة.

3-السفارات بين الدولة المرينية وميورقة.

4-السفارات المرينية مع فرنسا.

سابعا: السفارات المرينية مع الجمهوريات الايطالية.

1-سفارة صقلية عام 759هـ/1358م.

2-جدول للسفراء الذين توافدوا بين الدولة المرينية والنصارى.

ثامنا:السفارات بين الدولة الزيانية والجمهوريات الايطالية.

تاسعا–السفارات الزيانية مع الممالك النصرانية.

1–السفارات مع مملكة أرغون.

2– السفارات مع قشتالة.

3– دور اليهود في السفارات بين دول المغرب الإسلامي والنصارى.

أولا: طبيعة العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني.

كان التبادل التجاري والبحث عن الأسواق لتصدير منتوجاتها بين الضفتين الشمالية والجنوبية أهم ما ميز النشاط الاقتصادي بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني خلال العصر الوسيط، وبهدف تنظيمها عملوا على عقد مختلف المعاهدات التجارية بهدف تسهيل الحركة التجارية في الحوض الغربي للمتوسط .

وقد عرفت العلاقات السياسية بشكل عام[1]، انطلاقتها الفعلية منذ بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي[2]، " خاصة لما كان الجهاد البحري[3] والقرصنة لها دور خطير في توتر العلاقات السياسية بين هذه الأطراف، لذلك استعملت السفارات والبعثات الدبلوماسية بينهما، لتهيئة جو ملائم لتعزيز العلاقات التي امتزجت فيها الدبلوماسية بالتجارة وبمشاكل القرصنة، ومن ثمة اقتضت المصلحة المتبادلة بين البلدين إلى تبادل السفارات "[4]، ومن جهة أخرى تحكمت مجموعة من العوامل في تلك العلاقات الدبلوماسية والتجارية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين منها:

---

[1] سبق التطرق للعلاقات الدبلوماسية بين الموحدين والنصارى في الفصل الأول.

[2] محمد لمرابي علوي : "الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الايطالية"، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- سلسلة الندوات رقم7، المحمدية، المغرب، د-ت، ص 209.

[3] الجهاد البحري: "إن الحديث عن الظروف التاريخية التي أفرزت ظاهرة القرصنة على امتداد سواحل المغرب الإسلامي كشكل من أشكال الدفاع الشعبي تارة، ومظهر من مظاهر الرفض للهيمنة، خاصة مع ظهور الكيانات السياسية الجديدة بعد سقوط الموحدين، تحولت الثغور الإسلامية في المغرب من الهجوم إلى الدفاع، وبالمثل برز في هذا الإطار قراصنة النصارى، واعتبرت الكتابات التاريخية الإسلامية إزاء الحرب البحرية ضد السواحل النصرانية ب"الجهاد"، من اجل الذود عن راية الإسلام ومصالح الأمة من جهة ، ورغبة في الإضرار بالعدو وتحقيق الغنيمة على حسابه، في المقابل نجد أن مصطلح الجهاد عرفت تفاوتا في معناها، فاكتسب مصطلح قرصنة(course) لدى إسداله على الجهاد البحري صفة الحرب القانونية، مرادفا للصوصية غير المشروعة لدى النصارى، وينعت أحيانا بلص البحر(Pirate) لتهديده لطرق المواصلات البحرية، بغية الاستحواذ على متاع السفن، وهذا التعريف ينطبق على المسلمين والنصارى، وعرفت بجاية نشاط كبير في عملية القرصنة والتي لأجلها توافدت عليها البعثات لعقد المعاهدات وإفتداء الأسرى.ينظر: إبراهيم سعيود ، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة –القرصنة الايطالية نموذجا-"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد11، 2011، ص147-148./ حسن أميلي ، مسألة الجهاد البحري بين القرصنة ولصوصية البحر، البحر في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص111-112./ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي –دراسة اقتصادية واجتماعية-، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص284-285.

[4] عمر بن قايد، علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا واسبانيا)، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2010-2011، ص67.

1- القرب الجغرافي: إن أهم ما يميز المغرب الإسلامي موقعها الاستراتيجي الهام، الذي احتوى على شريط ساحلي كبير "القريب للضفة الجنوبية للبحر المتوسط خاصة إفريقية، التي كان له دور بارز في ارتباطها بعلاقات تجارية بينها وبين الدول النصرانية[1]، فضلا عن الصلة الوظيفية بين التجارة الصحراوية والتجارة البحرية التي تعتبر من أهم السمات التي لازمت العصر الوسيط، ذلك أن كلا منهما مرتبط بالآخر يؤثر ويتأثر به سلبا أو إيجابا، وهذا ما جعل المغرب الإسلامي يعد وسيطا بينه وبين العالم الخارجي ويصبح قبلة للتجار النصارى"[2]، ولهذا رنا التجار بأبصارهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، وبادروا إلى عقد معاهدات سلمية وتجارية مع سلاطينه[3]، وهو ما جعلها تتمتع بالكثير من الحرية والاستقلالية الذي منحها فرصة الاحتكاك بموانئ المغرب الإسلامي[4]، وإقامة علاقات تجارية تمثلت في جلب السلع من البلاد الإسلامية وتسويقها في مناطق الوسط والشمال الأوروبي ومن ثم تصدير المنتجات الأوربية إلى البلاد الإسلامية والتي يأتي في مقدمتها العبيد والسلاح[5].

2- ظروف سياسية: كانت الدولة الموحدية قوة سياسية واقتصادية في الحوض الغربي المتوسط، خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، حيث تمكنت من بسط نفوذها على جميع بلاد المغرب الإسلامي والعدوة الأندلسية إلا أنه تغيرت موازين القوى خاصة"بعدما تعرض الموحدين لهزيمة

---

[1] القادري بوتشيش، "الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين"، مجلة الاجتهاد، العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995، ص80.

[2] عبد العزيز العلوي: "علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني"، أعمال ندوة التجارة وعلاقاتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص 261-262.

[3] القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص80.

[4] إن وجود البحرية في المغرب الإسلامي وسيطرتها على غرب البحر المتوسط، يرجع للفترة الموحدية الذي تميز بالتفوق الذي لم يأتي من فراغ بل له أسسه وعوامله، حيث كان للموحدين السبق في إنشاء دور صناعية وبناء موانئ جديدة وتجديد المراسي القديمة، وتذكر المصادر أن عبد المؤمن بن علي طلب من دور الصناعة أن يصنعوا عددا كبيرا من المراكب والسفن، وقد احتوى المغرب الأقصى وحده على ستة وعشرون مرسى، اشتهرت أرغون بموانئها التي يتم فيها التبادل التجاري وهي: مرسى لقنت و بلنسية ومرسى برشلونة ، أما قشتالة فعرفت بمرسى قرطاجنة واشبيلية أما جنوة مرسى جنوة والبندقية فيسنسا وبيزة. .ينظر: حجاج الطويل محمد ، البحرية المغربية في عهد الدولة الموحدية (جذور النشأة وأسباب الضعف)، البحر في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص65-66./ زنبير محمد، بعض موانئ التجارة المغربية في العصر الوسيط، أعمال ندوة التجارة وعلاقاتها، المرجع السابق، ص 238-239./ أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د-ت، ص 399-400.

[5] بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015، ص169-170.

العقاب سنة 609هـ/1212م، مما أدى إلى تدهور هيبة دولتهم وتمزقها لتحل محلها كيانات سياسية جديدة في شمال إفريقيا والأندلس، هذا الوضع الجديد في بلاد المغرب والأندلس كان يشوبه عدم الاستقرار الداخلي، وكان لذلك أثره السلبي على النشاط الاقتصادي وعلى الحركة التجارية الداخلية، الأمر الذي دفع بهذه الكيانات السياسية الجديدة إلى الاعتماد على التجارة البحرية ، وهو ما مكن بعض القوى النصرانية من الحصول على امتيازات وتسهيلات في مراسي بلاد المغرب"[1].

كما كان للأوضاع الداخلية المضطربة التي عرفها بلاد المغرب الإسلامي، أحد أهم الأسباب التي جعلت " الفقهاء يسمحون للحجاج بركوب السفن الأجنبية للذهاب إلى المشرق إلا دليل على السفر في البحر في مراكب النصارى ويكرونها للمسلمين من افريقية إلى الإسكندرية ذلك"[2]،كما استعمال سكان المغرب الإسلامي في تنقلاتهم نحو المشرق السفن النصرانية إذ أورد الونشريسي: "جرت العادة عندنا السفر في البحر في مراكب النصارى ويكرونها للمسلمين من إفريقية إلى الإسكندرية"[3].

3- أسباب إقتصادية: في الوقت الذي استطاعت الدولة الموحدية أن تفرض نفسها تجاريا في منطقة الحوض الغربي المتوسط، يلاحظ أنه في نفس الفترة بدأت تعرف الدول النصرانية" نهضة اقتصادية كبيرة وانبعاثا في الحياة الثقافية، وذلك بانحسار الإقطاع فيها وتحرر اليد العاملة لصالح الإرهاصات البرجوازية، بما تعكسه من وحدة وقوة على الصعيد السياسي، هذه الأخيرة أخذت تتطلع نحو النفوذ والسلطان، فانتعشت لذلك الحياة الاقتصادية، وأصبحت التجارة تشكل حجر الزاوية في هذه

---

[1] محمد عمراني زريفي، أهم المسالك البحرية على عهد بني مرين، موقع أنفاس نت .www.anfasse.org

[2] المرجع نفسه

[3] أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،1981، ج1، ص436./ينظر: محمد عمراني زريفي ، المرجع السابق.www.anfasse.org

النهضة، حيث غذت أساطيل الجمهوريات الايطالية منها تجوب البحر المتوسط طولا وعرضا، وأفضى ذلك إلى تكوين فائض وجب البحث عن تسويقه"[1].

ثانيا: العلاقات بين الموحدين والعالم النصراني.

تخبرنا المصادر التاريخية والرسائل الدبلوماسية أن جمهورية جنوة[2] عرفت سياستها الخارجية مع دول المغرب الإسلامي منذ "منتصف القرن الثاني عشر تحولا جذريا، لاقتناعها بضرورة العدول عن تفضيل العمل العسكري في تعاملهم مع سلاطين المغرب الإسلامي في الحوض الغربي، وشرعوا منذ ذلك الحين يجنحون إلى الخيار الدبلوماسي وتشجيع فرص التواصل الودي، وفتح مجال التفاوض للحصول على المكاسب والامتيازات"[3]، حيث أرسلت بأول بسفارة إلى السلطان عبد المؤمن بن علي عام 562هـ/1161م ، ويورد ماس لاتري (Mas latrie)أنه تم "عقد معاهدة سلم وصلح بين الموحدين وجمهورية جنوة، وتضمنت أيضا ضرورة حماية التجار الجنويين، مع تحديد قيمة الضرائب التي تأخذها من طرف التجار "[4] .

وقد تزامن هذا النشاط الاقتصادي في مجال المبادلات التجارية الذي بدأت تعرفه خاصة "المراكز البحرية للجمهوريات الايطالية وباقي مدن المماليك النصرانية ك برشلونة(Barcellone) ومرسيليا(Marseille)، التي أصبحت تضاعف اهتمامها بالبحر المتوسط، ليصبح مصدر قوتها

[1] القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 80./ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى-النظم والحضارة-، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959، ج2، ص93-94.

[2] جنوة: تقع بشمال غرب إيطاليا، وتطل على الخليج المسمى باسمها قال عنها الإدريسي: "مدينة جنوة: قديمة، أَزلية البناء، حسنة الجهات والأفناء، بنيانها شاهق السُّمو، وهي وافرة الثمر، كثيرة المزارع والقرى والعمارات، وهي على قرب نهر صغير، وأهلها تجار مياسير، يسافرون برًا وبحرًا، ويقتحمون سهلًا ووعرًا، ولهم أسطول مخيف، ولهم معرفة بالحيل الحربية، والآلات السلطانية، ولهم بين الروم عِزَّة أنفس".الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 749-750.

[3] باقة رشيد ، نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر(من السادس إلى التاسع الهجري)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-، الجزائر، 2006-2007، ص 223.

[4] Mas latrie, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Âge.paris ,1866.p47.

وازدهارها الاقتصاديين على مستوى أشمل، فعلى سبيل المثال عرفت مدينة مرسيليا منذ القرن الثاني عشر الميلادي ازدهارا متميزا بفضل التجارة الدولية"[1]، ومن جهة أخرى كانت صناعة السفن مع توفر المواد الأولية أحد العوامل " التي أعطت لصناعتها زخما كبيرا أما برشلونة[2] فقد أصبحت محطة تجارية تجمع بلاد الغرب النصراني ودار الإسلام بمختلف مكوناتها وبالخصوص بلاد الغرب الإسلامي، زيادة على ذلك أصبحت موضع جذب للطرق التجارية النصرانية المارة بجبال البرانس الشرقية، هذه العوامل جعلت من برشلونة ورشة ذات علاقة مباشرة بالتجارة البحرية"[3].

مجمل القول حول العلاقات الدبلوماسية بين العالم النصراني، وبلدان المغرب الإسلامي ارتبطت بالجانب الاقتصادي واستمرت حتى بعد سقوط الموحدين، وذلك ما أشار إليه أحد الباحثين بأن "القضايا السياسية التي أثارتها الأمور التجارية كانت ذات الصلة بالقرصنة ، وكذا المعاهدات التجارية التي احتوت الكثير من البنود السياسية لضبط العلاقات في إطار السلم أو التحالف وفقا لمصالح الدول وموازين القوى"[4].

---

[1] محمد لمرالي علوي، المرجع السابق، ص 211.

[2] برشلونة: وصفها الحميري قائلا: برشلونة على البحر ومرساها تَرْش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة، ولها ربض وعليها سور منيع ...وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل ".الحميري، المصدر السابق، ص42-43.

[3] محمد لمرالي علوي، المرجع السابق، ص211.

[4] إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة(ق7-10هـ/13-16م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013-2014، ص253.

ثالثا: السفارات بين الحفصيين والجمهوريات الايطالية.

مع تغير موازين القوى في الحوض الغربي المتوسط بداية من القرن السابع الهجري الثالث عشر هجري "أدركت الجهوريات الايطالية والمماليك النصرانية في ظل الظروف التي صاحبت انهيار الدولة الموحدية، أن حماية مصالحها التجارية وتوفير الأمن لتجارتها وأنشطتهم في بقية مدن المغرب الإسلامي، يتطلب منها سياسة المحاباة والتقارب مع حكام الدولة الحفصية، لما صارت تتوفر عليه من إمكانات اقتصادية ونفوذ سياسي، ولتكسب ودها بادرت الجمهوريات الايطالية بإيفاد عدة بعثت دبلوماسية لتذليل العقبات بينها وبين الحفصيين"[1].

ولما كانت تونس هي أهم مركز لتجارة البيزيين[2] في شمال إفريقيا، فقد أرسل قنصل بيزة[3] "كومزي دسكونت" في عام 607هـ/ 1210م "إلى السلطان الحفصي أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، سفيرا يحمل رسالة يبين فيها رغبة جمهورية بيزة مواصلة العلاقات مثلما كانت في عهد الموحدين[4]، وقد رد عليه السلطان الحفصي بالموافقة وأرسل رسالة إليهم يشرح موقفه حملها له سفير بيزة المدعى"جراردو"، الذي ورد في رسالة جاء فيها:"...فعهدكم عند الموحدين مشكور، واستظهاركم بالوفاء مذكور؛ وبحسب ذلكم جرى العمل مع كل من يصل من جهتكم، أو ينتسب إلى حوزتكم في

[1] رشيد باقة ، المرجع السابق، ص 244.

[2] كانت السفن المحملة بالتوابل والحرير تنطلق من الشام إلى قبرص ثم إلى الإسكندرية قبل أن تحط بإفريقية، ومن تونس تقوم سفن بلاد المغرب والغرب المسيحي بتجارة المساجلة حيث كانت تحط بعدد من المدن الساحلية قبل أن تصل إلى سبتة وهناك طريق آخر كانت السفن تطرقه، فكانت تنطلق من جنوة نحو تونس ثم تعرج في اتجاه الغرب عبر الساحل لتمر بكل من بونة عنابة (وبجاية والجزائر ووهران وحنين قبل أن تولي وجهتها شمالا نحو ألمرية محمد عمراني زريفي، المرجع السابق./ ينظر: باشا نجاة ، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976، ص72-73.

[3] بيزة: تعرف بيزة في المصادر العربية "ببيشة،" وتقع بيزة في إقليم توسكانا(التسقان) وهي في شمال غرب ايطاليا بالقرب من جنوة وصفها الإدريسي قائلا: مدينة بيشة: من قواعد بلاد الروم، مَشهورة الذِّكْر، كبيرة القُطْر، عامرة الأسواق والديار، بعيدة الأَفناء والأقطار، كثيرة البساتين والجنات، مُتَّصِلة الزراعات، أمورها شامخة، وأخبارها هائلة، ومَعاقلها شاهقة، وأَرْضُها خَصيبة، ومياهها مَغدودقة، وآثارها عجيبة، ولأهلها مراكب، وخَيْل، واستعداد لركوب البحر، وقَصْد البلاد، وهي على نهر يأتي إليها من جبل بناحية أنكبردة، وهو نهر كبير، عليه الأَرْحاء و البساتين.الإدريسي، المصدر السابق، مج2، ص750.

[4] عبد الله جبوده ، التجارة في بلاد إفريقية، المرجع السابق، ص 133.

رعي مطالبة، وتسهيل مآربه، وحمله على الحفظ، والحماية على الوجه الأحرى به اعلموا أن ذلك من جميل الغرض فيكم وحميد النظر لكل من يصل إلى نواحيكم، إن شاء الله"[1].

وتمكنت البندقية[2] بعدها على توطيد السلم والصلح مع الحفصيين فعقدت معاهدة عام 629هـ/1231م [3].

وبفضل ما كان يقدمه أبو زكريا تمكنت الممالك النصرانية من امتلاك العديد من المؤسسات التجارية الدائمة في إفريقية، يرعاها القناصلة ليس فقط لحماية مصالحهم ولكن أيضا لإدارة مختلف شؤونهم [4].

-سفارة عام 635هـ/ 1237م

إذا كان الطرف الحفصي التزم ببنود معاهدته مع جنوة، فإننا نجد هذه الأخيرة بعد سنة تقوم بتكثيف هجماتها ضد البنادقة وبيزة، فتعددت المعارك بينهما في البر والبحر على امتداد ساحل افريقية، وكانت الحصيلة كساد وتوقف التجارة، مما كبد الحفصيين خسائر فادحة، اضطروا إزاءها إلى إرسال سفارتين الأولى عام 1237م والثانية في عام 1339م، لمطالبة الجنويين بدفع التعويضات

[1] أحمد عزاوي ، رسائل موحدية، ج1، ص256.

[2] البندقية: تقع البندقية التي تعرف بفينسيا، في شمال شرق إيطاليا، تتكون من عدة جزر متقاربة، وصفها ابن الوردي قائلا: أرض البنادقة: "وهي إقليم عظيم، ومدينتهم العُظمى تسمى بندقية، وهي على خليج يخرج من بحر الروم، ويمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال، وهي قريبة من جنوة، بينها وبين جنوة في البر ثمانية أيام، وأما في البحر فبينهما أمدًا بعيدًا، أكثر من شهرين، والبُنْدُقِيَّة مقر خليفتهم واسمه البابا – كذا قال – وهي شمال الأندلس – كذا وصفها – ومدنهم كلها على جانبي الخليج البندقي، وهي مدن، وقرى عامرة، ورساتيق".ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008، ص176.

[3] Mas latrie, les reltions , Ibid, p 83.

[4] عبد الله جبوده مريم محمد، المرجع السابق، ص 134

اللازمة للحفصيين حيث أرسل السلطان الحفصي سفيرا إلى جنوة عام 637هـ/1237م[1] ، وقد أقيمت في تونس أول قنصلية للنصارى من طرف البندقية عام 629هـ/1231م[2].

-سفارة عام 648هـ/1251م.

بعد وفاة السلطان أبي زكريا سنة 647هـ/1249م خلفه ابنه أبو عبد الله المستنصر، فبادرت الجمهوريات الايطالية الثلاث بإرسال سفرائها إلى مدينة تونس لتغيير معاهداتها وعقد معاهدات أخرى مع السلطان الجديد[3].

ومن جهة أخرى فإذا كانت البندقية وبيزة وجنوة "حسنت علاقاتها مع المستنصر فإننا نجدها على العكس من ذلك مع صقلية التي توترت العلاقات بينهما، بسبب الضريبة التي كان مقررا على حكام تونس أن يدفعوها سنويا لحكام صقلية، التي فرضت منذ عهد حكم روجار الثاني، ويبدو أن حكام إفريقية توقفوا عن دفع هذه الضريبة لفترة بسبب الحروب التي كانت بين البيت الأنجوي الفرنسي والعرش الأرغوني، هذه الأسباب كانت وراء دفع قراصنة الصقلية وتشجيعهم بالمضي في أعمالهم العدوانية ضد مصالح الدولة الحفصية"[4].

-سفارة 662هـ/1264م.

أرسلت جنوة سفيرها إلى تونس، يدعى "بارنت فسكنتي"، وقد أبرم مع أبي الحسن في 14شوال662هـ/1264م معاهدة تعتبر نفس معاهدة عام 1234/632م، مع تخفيض مدتها

[1] مصطفى الكناني ، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، المرجع السابق، ص 90.

[2] جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991، 328.

[3] عبد الله جبودة مريم، المرجع السابق، ص135.

[4] روبار برنشفيك، ج1، ص154./ رشيد باقة ، المرجع السابق، ص184.

الزمنية من ثلاثين سنة إلى عشرين سنة[1]، نلاحظ حرص النصارى على عقد معاهدات طويلة الأمد حفاظا على مصالحهم التجارية.

-سفارة عام669هـ/ 1271م.

والسفارة الثانية تولاها السفير أوبيزون أدالار"Opizon Adalard" عام 671هـ/ 1272م من أجل عقد معاهدة تجارية، وقد نصت المعاهدة على " أن تكون المعاهدة سارية المفعول لمدة عشر سنوات ، وعلى إعفاء البضائع الجنوية أيضا وعلى غيرهم من النصارى"[2]، "وقد تعرضت المعاهدة الأخيرة، بعد بضعة أشهر إلى اختبار عسير، ذلك أن ملك صقلية الذي أشهر الحرب ضد جنوة، قد طالب السلطان الحفصي في مارس 672هـ/1273م، بطردهم من بلاده وفقا لإحكام المعاهدة المبرمة أثناء الحملة الصليبية، وفي السنة الموالية من شهر ماي طلب إليه تقديم التسهيلات اللازمة لقرصان قادم من مرسيليا للهجوم على جنوة، لكن لا شيء يدل على أن السلطان قد امتثل لتلك المطالب، إذ أن البند المشار إليه من المعاهدة يهم الرجال المسلحين لا التجار المسالمين"[3].

أما جمهورية بيزة فلا توجد لها سفارة ترجع إلى هذه الفترة التي أعقبت انتهاء الحملة الصليبية، ولكن من الواضح أنها استأنفت نشاطها التجاري مع افريقية والدليل على ذلك أن أهالي بيزة الذين غادروا بجاية خوفا من غضب السكان قد رجعوا إليها في سنة 669هـ/1271م[4].

---

[1] روبار برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص 83

[2] Mas latrie, les reltions, Ibid, p140.

[3] روبار برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص97.

[4] المرجع نفسه، ص96.

-سفارة عام713هـ/1313م.

تحتل البندقية المرتبة الثالثة بعد جنوة وبيزة في العلاقات مع الحفصيين، وتعود بداية العلاقات إلى الفترة الموحدية عندما أرسل الدوق زياني " Ziani Sebastiano " الذي عقد معاهدة سلم وتجارة تمتد من عام 1172الى 1178م[1].

ومن أجل تسهيل الحركة التجارية في الحوض الغربي للمتوسط "فقد حددت الرحلات التجارية بين البندقية وبلاد المغرب الإسلامي وفق نظام دقيق للأماكن التي تنطلق منها حسب القوانين البحرية للبندقية التي سنتها في ماي 1225م، إذ حددت المراكز التجارية المتعامل معها في تونس وبجاية وسبتة، حيث الانطلاقة من ميناء البندقية في 29جوان، ومن الموانئ الموجودة مابين البندقية و"برندزي" مع منتصف جويلية، ومن هذا الأخير أو أي ميناء آخر بعد الفاتح أوت، وبذلك يسهل على السفن أن تتجمع في ميناء محدد، كما تتفادى الخسارة الناتجة عن تأخر وصول إحداها إلى البندقية"[2].

وبعد ذلك بأربع سنوات أرسلت البندقية سفيرها "ميكاليتو ميكالي "، الذي عقد معاهدة تجارية مع السلطان الحفصي عام 717هـ/1317م لمدة خمسة عشر عاما [3].

-سفارة عام723هـ/ 1323م.

انقسمت فترة حكم أبي يحي أبي بكر الحفصي التي دامت ثماني وعشرين سنة إلى فترتين تمتد الأولى من1318/718 م إلى أواخر سنة 733هـ/1332م، التي عرفت الكثير من والأخطار الخارجية، والثورات الداخلية فقد ظهر المطالبون بالحكم، وقد نجح بعضهم أحيانا في الاستيلاء على تونس مدة من الزمن مثلما فعل أبو زكريا اللحياني ومن بعده ابنه أبو ضربة[4]، هذه الظروف أثرت

---

[1] بغداد غربي، المرجع السابق، ص193

[2] المرجع نفسه، ص 193.

[3] Mas latrie, les reltions , Ibid, p172-173.

[4] روبار برنشفيك، ج1، ص175.

على العلاقات التجارية مع بلاد النصارى، فمن سنة718هـ/ 1318م إلى سنة733هـ/1332م لم تظهر في مجال العلاقات الدبلوماسية مع إفريقية سوى ثلاث دول نصرانية: البندقية وميورقة وأرغون، أول سفارة ذكرتها المصادر هي لسفير البندقية "ميشلي" عام 723هـ/1323م، كان الدافع لهذه السفارة للتعبير عن استيائهم لما تعرض له بعض رعاياه وقنصله[1].

-سفارة عام793هـ/1391م.

الملاحظ على فترة حكم أبي العباس للدولة الحفصية، أنه أراد أن يعطي للعلاقات مع الدول النصرانية دفعا سياسيا جديدا، إلا أن هذا الدافع كان مرفوقا بازدياد النشاط البحري المتمثل على الخصوص في عمليات القرصنة[2]، أما بالنسبة إلى أرغون، فيبدو أن الأمور قد تعكرت في وقت مبكر، إذ يلاحظ أن أبا العباس قد رفض الرضوخ، مثل البعض من أسلافه المتمثلة في دفع الضريبة[3]، "حاولت بيزة هي الأخرى الحصول على ود تونس، فأوفد حاكمها "جاك دابيانو" في عام795هـ/1393م، سفيره "نيكولا لانفرادوشي" الذي كلف بتبرير موقف بلاده لدى الأمير الدولة الحفصية، وإعلامه بأن المشاركين في الحملة البحرية سنة 791هـ/1388م، هم من القراصنة ولا دخل للدولة لهم"[4].

3-السفارات بين الحفصيين والممالك النصرانية.

كانت بعض الدول النصرانية تحاول التحرر من توجيهات الكنيسة والاهتمام بمصالحها التجارية في تعاملها مع العالم الإسلامي، كما هو حال أرغون[5] والجمهوريات الايطالية بينما ظلت دول أخرى

---

[1] المرجع نفسه، ص183.

[2] روبار برنشفيك، ج1، ص 277

[3] المرجع نفسه، ص227.

[4] المرجع نفسه، ص235.

[5] مع مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أضحت مملكة أراغون قوة بحرية في حوض المتوسط، وخلق ذلك التفوق خطوطا جديدة بين موانئ برشلونة وبلاد المغرب والأندلس. عمراني زريفي محمد ، المرجع السابق. /أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص102

تحت تأثير التوجيه الكنسي كقشتالة وفرنسا. التي كانت متزعمة الحملة الصليبية الفاشلة للويس التاسع على تونس في أواخر سنة667هـ/1268م بحجة اقتضاء ديون لبعض تجارها من بعض الرعايا الحفصيين[1]، "فكانت الحملة استجابة لتحريض الكنيسة و للتجار الفرنسيين ومنهم بعض رجال الدولة"[2].

وصلت أخبار الحملة التي يعدها لويس التاسع نحو إفريقية من طرف السلطان المملوكي، لهذا بادر السلطان الحفصي المستنصر للجوء إلى الدبلوماسية، حيث أرسل سفارة مرفوقة بهدايا، وقد تصادف وصول السفير الحفصي مع سفير الظاهر بيبرس الذي وفد لنفس الغرض ليطلب منه العدول عن قرار الحملة، وقد لجأت السفارة إلى أسلوب المفاوضة والاسترضاء[3]، إلا أن لويس التاسع لم يستجب لذلك إذ قال ابن الشماع عن هذه السفارة: " المهادنة، فامتنع عن ذلك، وأغلظ للرسول، وعرفه أنه متوجه إليه"[4]، ومع هذا الرد الذي يدل على رفض الصلح مع السلطان الحفصي زاد لويس التاسع في تماديه إذ أنه "لم يكتف برفض طلب المسالمة، بل أجاب السفراء بغليظ القول والتصميم على الحرب، وإنما آذى الرسل في مشاعرهم الدينية وأهان سلطانهم بتعبيره عن أمنيته في تنصيرهم، فقد انتهز مناسبة احتفال أقيم يوم 9أكتوبر سنة 1269م، أثناء وجود السفارة الحفصية في بلاطه بتعميد أحد كبار اليهود الذي تنصر على يده، وأثناء الحفل توجه إلى هؤلاء السفراء بقوله بأنه

[1] يرجع سبب توجه الحملة الصليبية الثامنة بسبب إدعاء تجار فرنسا لأموال اقرضوها إلى التاجر التونسي اللياني أحد موظفي السلطان المستنصر، وقد قتل التاجر التونسي، مما جعل التجار الفرنسيين يطالبون بديون لهم عليه، ولما رأى عدم تنفيذ طلبهم، توجهوا للويس التاسع يشتكون له جراء ما حدث لهم، وعلى إثر ذلك أرسل السلطان المستنصر بسفارة للتفاوض حول الموضوع مرفوقا بهدية مقدرة بثمانون ألفا من الذهب إلا أن محاولة الحفصيين باءت بالفشل. أحمد عزاوي ، المرجع السابق، ج1، ص102./ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص102 /سامية عامر، الصليبيون في شمال أفريقيا، حملة لويس التاسع على تونس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2002، ص 118-120. / ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية، المصدر السابق، ص 70-71.

[2] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص102 .

[3] حسين ممدوح ، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، دار عمار للنشر، الأردن، ط1، 1998، ص 257.

[4] ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية، المصدر السابق، ص 66/ ابن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص 136.

يتمنى تنصير سلطانهم على يده وتعميده مثل ذلك اليهودي"[1]، أيقن المستنصر حينما عاد سفراؤه بفشل مسعاه السلمي، مما جعله يستعد للتصدي للغزو[2].

وقد تضافرت مجموعة من العوامل تمكن من خلالها المستنصر من هزيمة[3] جيش لويس التاسع، ومع وفاة هذا الأخير في تلك الأثناء وصل آخوه شارل من صقلية إلى قرطاجنة الذي حاول مواصلة الحرب، لكنه تيقن بأن الظروف غير مواتية لنجاحهم، خاصة مع نفاذ المؤونة وتفشي الوباء، لذلك بادر بطلب الصلح، ويبدو بأن مسألة قبول السلم اتسمت في البداية بالرفض من قبل الجانبين، ففي الجانب الإسلامي وجد المستنصر معارضة من كبار رجالهن والمرابطين والفقهاء الذين تمسكنوا بضرورة جهاد النصارى[4]، وما يذكر في موضوع معارضة العلماء "أن الفقيه أبا العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي، سئل عن رأيه في الصلح من الوجهة الشرعية، لكن أبا العباس تملص من الإجابة الصريحة وكان ذلك في ديوان السلطان، فقال للسائل: لا علم لي بالحال، وتوالت عليه الأسئلة الملحة من رجال البلاط لقول رأيه، مما يدل على وجود معارضة قوية يراد استعمال جوابه في إسكاتها، وظل الإلحاح عليه وهو متمسك برأيه حتى فض المجلس المستنصر"[5] .

أما في الجانب الصليبي فكان على رأس المعارضة الملك الجديد فيليب الجسور "Philippe le Hardi"، الذي كان يفضل المشي قدما في تنفيذ مشروع أبيه ومواصلة القتال[6]، وتذكر المصادر أن

[1]حسين ممدوح، المرجع السابق، ص 259.

[2]المرجع نفسه، ص260.

[3]استعمل المستنصر في حربه لأول مرة في حربه المدافع التي استعملها المسلمون لأول مرة، كما تفشى الوباء في صفوف الجيش النصراني أدت إلى موت الكثير بما فيهم الملك لويس التاسع ممدوح حسين، ص305./ابن الشماع، المصدر السابق، ص67.

[4]ممدوح حسين، المرجع السابق، ص320.

[5]أبو العباس القيسي: من كبار الفقهاء في بجاية، درس الكثير من الطلبة، كان من ضمن الشهود على الصلح بين المستنصر والفرنسيين، ممدوح حسين، المرجع السابق، ص320./ الغبريني، المصدر السابق، ص47-48.

[6]حسين ممدوح، المرجع السابق، ص320.

الصليبين أول من أرسلوا سفارة للتفاوض، وقد رد عليهم بأن أوفد إليهم المستنصر سفارة[1] ترأسها أبو زيان محمد بن عبد القوي[2] في أوائل ربيع الأول 669هـ/1270م، وتمثل الجانب المفاوض في ملك فرنسا فيليب الثالث[3]، و ملك صقلية شارل دانجو[4] وملك نبارا تيبيلط[5]، "وقد تم التفاوض على معاهدة نصت على الشروط التالية:

- تأمين التجار.
- السماح للنصارى ببناء كنائسهم وممارسة شعائرهم.
- دفع تعويضات حربية للمحاصرين، إضافة إلى مبلغ سنوي مخصص لملك صقلية.
- مدة اتفاق الصلح خمس عشرة سنة"[6].

[1] كان الوفد يتكون من أبي زيان بن عبد القوي وعبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بني آبي الدنيا الصدفي، وعلي بن التميمي بن إبراهيم بن عمر، وأبي القاسم بن أبي بكر التجيبي، كما كانوا الشهود على عقد المعاهدة عند إبرامها.ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص465 /ابن فرحون، ج1، ص313./ ممدوح حسين، المرجع السابق، ص349.

[2] أبو زيان محمد بن عبد القوي: أمير بني توجين، جاء لنصرة الحفصيين أثناء الحصار، وتعتبرتعتبر إمارة بني توجين التي قامت بالونشريس من بين أهم الإمارات التي قامت في المغرب الأوسط، كانت مواطنهم الأولى جنوب الونشريس وأرض السرسو وفي ظل دولة بني عبد المؤمن، امتدت مواطنهم شرقا إلى السيك والبطحاء غربا، وجبال ونشريس شمالا إلى مصاب وإقليم الزاب الغربي جنوبا. وظلت مواطن مغراوة وتوجين منطقة صراع تداولت عليها القوتان الحفصية والزيايينية، إلى أن تمكنت هاتان القبيلتنا من اقتطاع الملك ومقارعة الملوك والسلاطين وبسطوا النفوذ وأسسوا كل من إمارة مغرواة على يد بني منديل بالشلف وإمارة بني توجين بالونشريس وقد مكنها موقعها الجغرافي أن تؤدي دورا سياسيا بارزا في المنطقة، حيث تمكنت من ربط علاقات بالدول القائمة آنذاك على غرار الدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، والدولة الحفصية بتونس، إذ لم تكن بمنأى عن التطورات التي كانت تجري على مسرح الأحداث . بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (8-7هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010 ، ص 97./ ابن خلدون، العبر، ج7، ص206-205.

[3] فيليب الثالث: لقب بالجسور ابن ملك فرنسا لويس التاسع الذي مات أثناء حصار تونس قبيل عقد الصلح فخلفه ابنه فيليب. أحمد عزاوي ، ج1، المرجع السابق، ص 103.

[4] شارل دانجو: هو عم الملك فيليب الثالث، تولى حكم صقلية عام667هـ/ 1266م، ينظر: روبار برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص86-114.

[5] تيبليط: ملك نبارا وصهر ملك فرنسا لويس التاسع.روبار برنشفيك، ج1، ص87.

[6] أحمد عزاوي ، ج1، المرجع السابق، ص 102-103-104./ ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المصدر السابق، ص 158-159.

سفارة عام677هـ/ 1278م.

في عهد السلطان الحفصي أبي زكريا عرفت علاقاته مع معظم دول الحوض الغربي للمتوسط بالهدوء والاستقرار، وتواصل نشاط الحركة التجارية بين جنوة وتونس وبجاية ، ففي شهر أفريل677هـ/ 1278م، تم استقبال سفارات الملك شارل دانجو "Charles d'Anjou" [1].

-سفارة عام683هـ/ 1284

في عهد السلطان أبي حفص، أوفد إليه شارل الأعرج أمير سالارن وممثل أبيه شارل الأول في المملكة، سفيرين من جنوة وهما: "ميسو جيبو" و"جاك أمبرياكو"، كان الهدف من هذه السفارة لأجل مواصلة العلاقات الودية التي كانت قائمة سابقا بين والديهما، من ناحية أخرى كلف السفيرين بأن يطلبا من السلطان الحفصي دينا ويقرضهم مبلغ من المال[2].

- سفارة عام704هـ/1304م.

بعد أن تولى خايمي الثاني[3] الحكم في صقلية وطد علاقاته مع السلطان الحفصي أبي عصيدة، حيث وجه إليه في 8جوان 1299م رسالة يوصيه فيها بالراهب الذي سيزور تونس[4] ، تبين هذه الرسالة وغيرها من المعاهدات التي أبرمت مدى تسامح السلاطين الحفصيين في أعطاء الحرية للنصارى في بناء الكنائس وحماية الرهبان وبناء المقابر.

إن ما ذكره روبار برنشفيك عن كثرة السفراء الذين ترددوا على البلاط الحفصيين أغلبهم من أجل الحصول على تعويض عن السفن التجارية التي تتعرض للقرصنة، الذي صور لنا بأن الضحية هو الجانب النصراني في حين أنه تغافل عن ذكر سفراء الجانب الحفصي وحتى المصادر الأخرى لا تشير

---

[1] روبار برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص 107.

[2] روبار برنشفيك، ج1، ص124.

[3] خايمي الثاني: ملك أرغون من عام 690-727هـ/1291-1327م، ابن بيدرو الثالث ابن خايمي الأول كانت تحت حكمه بلنسية ومرسية وبرشلونة. أحمد عزاوي، ج1، المرجع السابق، ص 108.

[4] روبار برنشفيك،ج1، ص150.

إلى ذلك ، وقد "عقد الحفصيون في عهد الأمير أبي عصيدة اتفاقية مع السفير "ريموند دوفيلونا"، المرسل من طرف خايمي الثاني، وتم إبرام معاهدة نصت على السلم والتجارة بينهما لمدة عشر سنوات، وتوفير الأمن لتجار لكلا البلدين، وحول أمور تنظم التجارة، مع تعيين قنصل أو اثنين يمثل أرغون من أجل النظر في شؤون التجار الأرغونيين والقطلانيين"[1].

وحتى يستمر السلم بين أرغون وتونس، حاولت تجديد الصلح بين البلدين، إذ أرسل خايمي الثاني، سفيره "برنارد سربان"، من أجل التفاوض مع السلطان الحفصي أبي عصيدة، وردا على هذا الطلب أرسل مع السفير الأرغوني رسالة مؤرخة في 3ربيع الأول 708هـ/1308م، يبين رغبته في مواصلة العلاقات الطيبة بينهما وتجديدها لمدة عشرة أعوام[2].

وبعد سنة عقد معاهدة بينهما بعث السلطان الحفصي برسالة إلى خايمي الثاني في 709هـ/ 20جويلية 1309، جاء فيها رغبته في التحالف بين الطرفين، كما تأسف له لعدم تمكنه من دفع المساعدات المالية التي طلبها أرجون في المقابل[3].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن العلاقات السياسية والتجارية التي جمعت الدول النصرانية والجمهوريات الايطالية مع الحفصيين لم تكن مستقرة، وهذا راجع بسبب الظروف الداخلية للدولة الحفصية وسياسة كل سلطان هذا من جهة، ومن جهة أخرى حسب ما تقتضيه المصالح المشتركة.

[1] أحمد عزاوي، ج1، المرجع السابق، ص 108-109-110.

[2] أحمد عزاوي، ج1، المرجع السابق، ص113-114.

[3] المرجع نفسه، ص153.

-جدول يبين أسماء السفراء الذين توافدوا على الحفصيين والنصارى.

السفير	المرسل	المرسل إليه	التاريخ	المهمة
كونزي دسكونت conzi discont	قنصلية بيزة	أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص	607هـ/ 1209م	التفاوض من أجل عودة العلاقات بين الدولتين، وعقد معاهدة صلح
سفير مجهول	جمهورية بيزة	أبو زكريا الحفصي	632هـ/1234م	التوقيع على معاهدة سلم وتجارة لمدة 30 سنة
سفير مجهول	أبو زكريا الحفصي	جمهورية بيزة	634هـ/1236م	توقيع معاهدة
فيبالد vibald	فريديريك ملك صقلية	أبو زكريا الحفصي	629هـ/1231م	عقد معاهدة تجارية تجمع البلدين لمدة عشر سنوات
هانري أيات دي تراباتي hanri ayat di trapati	فريديريك الثاني صقلية	أبو زكريا الحفصي	638هـ/1240م	طلب تجديد العلاقات
بارنت فسكتي barent fiscati	جمهورية بيزة	السلطان المستنصر	642هـ/1243م	عقد معاهدة تجارية
غليوم تشيبو ghilyoum tchibou	جمهورية جنوة	السلطان المستنصر	649هـ/1251م	عقد معاهدة تجارة وسلم
فيليب جيوباني philip djyou lbati	البندقية	السلطان المستنصر	649هـ/1251م	عقد معاهدة تجارة وسلم

أوبيزون أدالار obizon adralrd	جمهورية بيزة	السلطان المستنصر	649هـ/1251م	عقد معاهدة تجارية لمدة أربع سنوات
جون دان دو jean doldo	البندقية	السلطان المستنصر	670هـ/1271	عقد معاهدة تجارية
ميسو جيبو و جاك أمبرياكو misou djibou et djac ambiyakou	شارل الأعرج أمير سالارن	أبو حفص عمر	683هـ/1284م	طلب قرض مالي
لوشيتو بينيولي lochito binguoli	جمهورية جنوة	أبو حفص عمر	686هـ/1287م	التفاوض من أجل عقد معاهدة
برنارد دي بلقيس bernard di belkis	الفونسو ملك أراغون	أبو حفص عمر	689هـ/1290م	طلب عقد معاهدة ومبلغ مالي
مارين دي مولينو Marin di moulino	بيدرو غرانيغو ملك البندقية	أبو حفص عمر	692هـ/1290م	المطالبة بتعويضات مالية لما تعرضت له من قرصنة
ريمون دوفيلوفا rimoun dovilova	خايمي II	أبو عصيدة	701هـ/1301م	عقد معاهدة صلح
مارين فيلانوفا Rimoun filanouva	خايمي II	أبو عصيدة	704هـ/1304م	المطالبة بتعويض السفن وطلب عقد الصلح
غرسيا بيراس دي مورا	خايمي II	أبو عصيدة	708هـ/1308م	عقد معاهدة صلح لمدة

ghiras pires di moura				خمس سنوات
أليمان سيفيري aliman sifiri	فريديريك	أبو عصيدة	708هـ/1308م	المطالبة بدفع الأتاوي وعقد الصلح
الطبيب ابن عيشون	ابن اللحياني	خايمي II	711هـ/1311م	مفاوضات من أجل عقد صلح
قريقوار سالومب grigoir salombe	ملك ميورقة سانشو	أبو زكريا يحي اللحياني	712هـ/1312م	عقد معاهدة تجارية وسلمية لمدة 12 سنة
جان فيجيولي و ريني دالياتيو Jenan fagioli et Rainier del Beango	جمهورية بيزة	أبو زكريا ابن اللحياني	713هـ/1313م	عقد معاهدة سلم وتجارة لمدة عشرسنوات
غليوم أولمار ghilyoum olmar	خايمي II	ابن اللحياني	714هـ/1314م	عقد صلح لمدة عشر سنوات
ميخايلي mekhayli	البندقية	أبو ضربة	717هـ/ 1317م	تجديد معاهدة لمدة خمسة عشر سنوات
برنارد بلنكاس bernard bilnacas	ملك ميورقة سانشو	أبو بكر الحفصي	720هـ/1320م	طلب مساعدات وعقد تحالف
- أبو مروان عبد الملك	أبو زكريا	ملك	723هـ/1323م	مفاوضات من أجل عقد

- زيد بن محمد الأنصاري		أرغون		صلح
-رينيه بروكلين Rainier Procellini	جمهورية بيزة	أبو إسحاق	754هـ/1353م	معاهدة تجارة وسلم لمدة عشر سنوات
برنار كبريرا	بيدرو الرابع ملك أراغون	أبو إسحاق	754هـ/1353	المطالبة بتسديد ديون
- بيدرو الفارس pidro cavalier - فرانسوا ساكوستا -fransoi sacosta	بيرو الرابع ملك أرغون	أبو إسحاق	762هـ/1360م	مفاوضات من أجل عقد معاهدة
أبو زيان محمد بن عبد القوي	المستنصر	الملك شارل دانجو	669هـ/1270م	التفاوض من أجل الصلح
برنابي جيراردو bernabi djirardo	جمهورية البندقية	ابن تفراجين	757هـ/1356م	عقد معاهدة صلح
بطرس باري	جمهورية بيزة	أبو فارس عنان	760هـ/1358م	عقد معاهدة
فيليب داليتا philip Dalita	جمهورية بيزة جان أتيلو		767هـ/1366م	استفسار حول الأوضاع في البحر

فريديريك ليكافيلو fredirique le cavlier	جمهورية جنوة	أبو العباس الثاني	789هـ/1387م	عقد معاهدة تجارية
André del Campo	جمهورية بيزة	أبو فارس	800هـ/1397م	عقد معاهدة صلح وتجارة

نلاحظ من خلال الجدول، بأن كل دولة من دول المغرب الإسلامي تميزت بميلها لجهة من الممالك، فالدولة الحفصية أغلب علاقاتها كانت مع الجمهوريات الايطالية، بسبب ارتباط مصالحهما الاقتصادية المشتركة، أما الدولة المرينية فكان تبادلت سفاراتها مع الممالك النصرانية في الأندلس، بسبب حروب الاسترداد وطلب بني الأحمر مساعدتهم في كل مرة، في حين أن الدولة الزيانية كانت سفاراتها محدودة مع باقي الدول.

ثانيا: ملاحظات واستنتاجات حول المعاهدات.

أظهرت المعاهدات من خلال بنودها أنه استقبلت موانئ المغرب الإسلامي الكثير من " التجار الأجانب النصارى بصفة عامة والايطاليين منهم على وجه الخصوص، فكان من الضروري على سلاطين المغرب الإسلامي وجمهوريات المدن الايطالية بصفتهما أطرافا متعاقدة، تنظيم العلاقات التجارية لتحديد الحقوق والواجبات وحل النزاعات والمشاكل التي ترتب عن ممارسة التجارة البحرية"[1]، و التي احتوت على عناصر مشتركة في أغلب المعاهدات التي أبرمتها مع المماليك النصرانية والجمهوريات الايطالية ونخلص من خلالها إلى مجموعة من الملاحظات والتي تميزت بما يلي :

- " تحديد الجهات التابعة لهذا الطرف أو ذاك أحيانا للتدليل على شمولية الاتفاق لها، وقد يشار أيضا إلى شموليته لما يمكن أن يضم من الجهات لأحد الطرفين كما في حالة الحفصيين بتونس عندما كانوا يأملون في إعادة ضم إمارة بجاية.

[1] محمد المراني علوي ، المرجع السابق، ص 215.

- اتفاقيات ذات آماد طويلة أي عشر سنوات فما فوق.
- الاتفاق على تحريم القرصنة بين الطرفين المتعاقدين(بل تنص بعض الاتفاقيات الحفصية مع بيزة على التحالف ضد القراصنة وتسريح أسرى الجانبين).
- التنصيص على جعل مسؤولية الجنايات على مرتكبيها، فلا يعاقب غيرهم بجنايتهم"[1].
- "تحديد الضريبة بالعشر"المعتاد" على السلع التي يبيعها تجار بيزة في مراسي بلدان المغرب الإسلامي، ولا ضريبة عليهم فيما لم يبع من السلع.
- طلب ديوان في حالة حاجة أحد الطرفين"[2].

1-**الضرائب**:

من الموضوعات الأخرى التي اهتمت بها المعاهدات اهتماما كبيرا، موضوع الضرائب، التي كانت يدفعها التجار في بلاد المغرب الإسلامي ضريبة الوارد والصادر[3]، وكانت عملية استخلاص الأداءات على البضائع من وظيفة ديوان البحر الذي يأخذ بصفة عامة 10%من قيمتها وتسمى العشر[4].

2-حماية التجار:

[1] أحمد عزاوي ، ج1، المرجع السابق، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] سامي سلطان سعد، المرجع السابق، ص94.

[4] صالح بعيزيق ، المرجع السابق، ص219./ينظر: نجاة باشا، المرجع السابق، ص71-72.

مع التوافد الكبير للتجار على موانئ المغرب الإسلامي كان لزاما توفير بندا لسلامة التجار وسفنهم، وقد نص "هذا البند بأن يضمن حرية تنقل الأشخاص بأموالهم وتجارتهم ومتاعهم في جميع المجالات الجغرافية الخاضعة للسلطان المتعاقد معه. وهو ما يعرف في الاصطلاح الحديث بحرية تنقل رؤوس الأموال"[1].

3- توفير المؤسسات الفندقية[2]:

مثلما ضمت المعاهدات المبرمة بين السلاطين المغرب الإسلامي والنصارى شروط حماية التجار في الحوض الغربي المتوسط من القرصنة، نجدهم حرصوا أيضا على توفير بندا آخر في معاهداتهم الذي نص "على ضرورة توفر مؤسسات فندقية تتمكن من استيعاب التجار في المدن التي يمارسون بها تجارتهم طيلة إقامتهم ببلاد المغرب الإسلامي، والفنادق هي أبنية من عدة طوابق، خصصت طوابقها العليا للتجار، وضمت طوابقها الأرضية المخازن والحوانيت التي تفتح على أفنية واسعة تنساب تحت أشجارها المياه الجارية، ويحيط بالفندق سور خارجي له بوابات عليها بوابون يختارون عادة من أهالي البلاد المشهور لهم بالأمانة"[3].

تعددت وظائف الفندق، فقد كانت له وظيفة سياسية باعتباره مقر القنصل[4]، حيث ارتبط وجود القنصل الدائم بوجود الفندق، ولا يمكن أن يوجد فندق دون قنصل، لأنه هو المشرف عليه

[1] محمد المراني علوي، المرجع السابق، ص216.

[2] الفندق: تتشابه وظيفة الفندق مع الخان وتخطيطه، وهو اصطلاح شاع في المغرب الإسلامي على نزل اعد لإقامة الإنسان والحيوان، وقد كان يتكون من فناء أوسط تحيط به من الجهات الأربع، أبنية ذات طابقين، خصص الأرض لإيواء الدواب الناقلة للمسافرين وبضاعتهم، بينما خصص العلوي لإيواء المسافرين، واغلب هذه الفنادق كانت قريبة من بعضها البعض، وتحيط بالمدينة ذات الحركة التجارية والاقتصادية الكبيرة كما أنها تقع عند أبواب المدن.ينظر: عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزيانية-دراسة أثرية- مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص90-91.

[3] محمد المراني علوي، المرجع السابق، ص217./سامي سلطان سعد، المرجع السابق، ص90.

[4] القنصل: هو الممثل الرسمي لبلاده وابرز شخصيات التمثيل الأجنبي، قد يتولى السفارة إذا طلب منه ذلك. ينظر: الفصل الأول من البحث.

والمتصرف فيه، والمقصود بالإشراف التسيير الإداري وتنظيم حياة التجار داخله، خاصة عند وقوع نزاع آو خلاف بين التجار[1].

4- التفويض:

بعد الانتهاء من مراسيم استقبال السفير يتم السماح له الدخول للتفاوض مع السلطان حاملا " رسالة تفويض[2] كوثيقة رسمية للاعتراف به من قبل السلطة، وتوجد عدد من الرسائل التفويض التي تبين ذلك منها : رسالة بتاريخ766هـ/ 5جويلية 1364 من بيدرو الرابع إلى سلطان تونس وبجاية تفوض"رامون دي باديا "Ramon de Badia"[3].

ورسالة بتاريخ 781هـ/ بيرنقر دي موراي"Bernguer de Morey"، تفوض به السلطة للقيام بالسفارة في تونس[4].

عرفت الدولة الحفصية في عهد أبي زكريا ومن بعده المستنصر أوج عظمتها في عهدهما، مما جعل كثير من حكام الدول يبادرون بإقامة علاقات ودية معهما، فتبادلوا مع العديد منهم السفراء والهدايا، فاكتسبوا بذلك النفوذ حتى أن السفراء أرسلوا إليه من بلاد بعيدة مثل بلاد السودان سنة 655هـ/1257م، والنرويج من شمال أوروبا سنة 661هـ/1262م، وبذلك أصبحت تونس في عهدهم حاضرة المسلمين في الغرب الإسلامي[5].

ومجمل القول حول العلاقات الدبلوماسية بين العالم النصراني وبلدان المغرب الإسلامي كانت تهتم بالنشاط التجاري في منطقة الحوض لغربي المتوسط، لهذا حرصوا على حماية تجارتهم

---

[1] صالح بعيزيق ، المرجع السابق، ص237.

[2]لقد أثار موضوع التمثيل الدبلوماسي بين العالم النصراني والمسلمين، وعدم وجود مقابل له في أوروبا ، أسئلة الكثير من المؤرخين والتي يرجعونها لعدة أسباب منها:أن الشرع الإسلامي أولى عناية خاصة بالعلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم ، حيث يعتبرون أوطانهم "دار سلم وأمان" وما دونها دار حرب وكفر وبالتالي اعتبروا السفر إلى دار الحرب مكرروه ، حتى ولو من أجل التجارة . حفيظة خشون، المرجع السابق، ص88.

[3] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 244

[4] المرجع نفسه، ص 244-245.

[5]ممدوح حسين، المرجع السابق، ص277./ابن قنفذ، المصدر السابق، ص121.

بالمعاهدات التي تضمنت بنودا تحدد الإطار العام للعلاقات التي تربط الطرفين، ويلاحظ أن التمثيل نصراني كان كبير في الدولة الحفصية، وهو ما يفسر انصراف العلاقات في تلك الفترة عن الطرف الغرناطي، والملاحظ أن قشتالة كانت أقل الدول التي ربطت علاقاتها مع الدولة الحفصية، وعلى الأرجح هذا راجع بسبب حروب الاسترداد التي كانت في المنطقة.

ثالثا: السفارات بين المرينيين والممالك النصرانية.

في ظل التوتر الذي كانت تشهده منطقة الحوض الغربي المتوسط، خاصة مع الظروف الداخلية لكل" من أرغون والمرينيين التي كانت تفرض التعاهد والتحالف بينهما، ففي أواخر القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن، قامت عدة حروب بين القشتاليين وأرغون حول إقليم مرسية منذ سقوطه من يد المسلمين، فكانت أرغون بحاجة لدعم عسكري ضد قشتالة خصوصا و أن غرناطة كانت غالبا ما تتحالف مع قشتالة ضد المرينيين تخوفا من امتداد نفوذهم في الأندلس، أما المرينيين فكانوا أيضا في حاجة إلى دعم القشتاليين لتسهيل عملية إخضاع ما تبقى من مدن المغرب الأوسط التي تأخرت في الخضوع لهم منذ حصار تلمسان الطويل(709-698هـ/1298-1309م)"[1].

1-السفارات بين الدولة المرينية ومملكة أرغون.

-سفارة عام 674هـ/1274م.

في عام 673هـ/ 1274 عقدت معاهدة في برشلونة بين السلطان أبي يوسف يعقوب المريني وبين جاك الأول(خايمي) ملك أرغون وميورقة[2]، كما أبرم معه أيضا معاهدة تجارية تم بموجبها تصدير كميات من القمح إلى برشلونة[3] .

[1] أحمد عزاوي، ج1، ص 54.

[2] المرتزقة: استعمل المرينيين المرتزقة منذ تحركاتها الأولى في فترة كانت الدولة الموحدية ما تزال تعيش لحظات احتضارها، من أجل الظفر بالحكم، واللجوء إليهم لجمع الضرائب من القبائل وكان إخلاصهم للسلطة المرينية مأجور، كانت المرتزقة الأرغونية أكثر تنظيما، وكان يرأسها قائد أعلى، ويمثل "برناط سيكي" من أشهر الأرغونيين الذين شغلوا هذا المنصب ن طبع حضور المرتزقة النصارى بالدولة المرينية بالاستمرارية، بلغ عددهم على عهد أبي الحسن مابين ألفين وثلاثة آلاف جندي، ليرتفع عددهم أكثر على عهد أبي عنان بحكم المعاهدات التي عقدها مع النصارى.ينظر: مصطفى نشاط ، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، المرجع السابق، ص117-125-126.

[3] Dhina attallah ,Les Etats de L'Occident aux XII , XIV et XV siécles, instituions gouvernementales et administrative , Alger ,1984,p336.

- سفارة عام703هـ/1304م.

وفدت سفارة من طرف ملك أرغون إلى تلمسان أين كان السلطان المريني متواجدا هناك،" عين على رأسها غرسيس لشبين "Garsis Lesbin"، ويرجع سبب هذه السفارة من أجل عقد تحالف بين أرغون والدولة المرينية ضد حركة التوسع التي كانت تقوم بها مملكة قشتالة، وتم عقد المعاهدة بتاريخ 15شعبان 703هـ/24مارس1304م"[1]، وتبعا لهذه الاتفاقية فقد وطدت العلاقات بين الطرفين ليشمل العمل العسكري وهذا ما دفعها أن ترسل "في أوت من نفس السنة مجموعة من المرتزقة الأرغونيين إلى المغرب للعمل في جيش أبي يعقوب مقابل عشرة آلاف دينار ذهبي، و للإشارة ففي نفس السنة حاول ملك قشتالة فرناند الرابع IV عبثا أن يدخل في تحالف مع المرينيين ضد أراغون، مقابل تزويد المرينيين بمرتزقة قشتالية. إلا أن السلطان المريني رفض العرض نظرا للصورة السلبية التي كان قد أخذها عن القائد القشتالي قزمان Perez de Guzmzn"، ثم لأن القائد الأعلى للمرتزقة الأرغونية برناط سيكي "Bernat Segui"، الذي كان من المقربين إلى السلطان المريني نجح في إبطال مشروع التحالف المريني القشتالي، وفي تقريب أبي يعقوب أكثر إلى ملك أرغون. وقد أسفر هذا التقارب الأرغوني المريني الذي ساهم فيه برناط سيكي، على وصول ثلاثين فارسا أرغونيا يقودهم القائد كَيّيلم "Guillem" في عام 704هـ/1304م"[2] قد تلتها بعدها رسالتين بتاريخ 18ذي القعدة 703هـ/23يونيو1304م، من السلطان أبي يعقوب يوسف إلى جاك الثاني، وهي تكشف عن العلاقات غير الحسنة بين ملك أرغون وبين ملك قشتالة، واستعداد المرينيين لمساعدة أرغون، وفي المقابل يلتزم بتوفير الأمان للرعايا المرينيين [3].

[1] عبد الهادي التازي، ج7، ص123.

[2] مصطفى نشاط، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، المرجع السابق، ص121-122.

[3] عبد الهادي التازي، ج7، ص123.

2- السفارات بين الدولة المرينية وقشتالة.

كان نصيب العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين قليل جدا، وهذا راجع إلى حدة العلاقات العدائية وانعدام الثقة بينهما لتداخل المصالح، فكلاهما كان يؤمن بدوره الديني والسياسي اتجاه الأندلس، فالمرينيون اعتبروا أن الواجب الديني يحتم عليهم الوقوف إلى جانب ما تبقى من بلاد الأندلس، بينما يرى القشتاليون أيضا واجبهم المقدس يحتم عليهم استكمال حلقات حروب الاسترداد بافتكاك غرناطة أخر معاقل المسلمين في المنطقة[1].

- سفارة عام 658هـ/1260م.

تعرضت سلا في عام 658هـ/1260م لحملة قشتالية أدت إلى خسائر كبيرة، ويعزى سبب ذلك للحيلة التي قام بها القشتاليون الذين لجأوا للتمويه لينجحوا في غزوتهم، أين أرسلوا سفينة وراء سفينة أمام سواحل سلا متظاهرين أنهم جاءوا لعقد الصفقات التجارية، بينما كان معظم الأسطول القشتالي مرابطا على مقربة من سلا، ولذلك ظن أهل سلا أنهم تجار جاءوا كعادتهم للتجارة[2]، وقد أدى هذا الهجوم لمقتل الكثير من المسلمين وصف ابن عذاري الهجوم قائلا:"... ولما دخل النصارى إليها، واستولوا بالغدر عليها، قتلوا من وجدوا من الرجال، وأسروا النساء والأطفال، وحصروهم في الجامع الكبير مأسورين ...فكانوا يعبثون بالنساء والأبكار، ويقتلون الشيوخ والعجائز الكبار، وسفكوا الدماء وهتكوا الأستار... "[3].

---

[1] إدريس بن مصطفى ، العلاقات السياسية والاقتصادية، المرجع السابق، ص360-361.

[2] حمدي عبد المنعم، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، مطبعة الانتصار، مصر، د-ت، ص54/ ابن عذاري، قسم الموحدين، ص418./ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص301/ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص93-94./ عبد الله عنان ، القسم الثاني عصر الموحدين، المرجع السابق، ص548./ السلاوي، الاستقصا، ج3، ص21-22./ الناصري، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، ج2، تحقيق جعفر بن احمد الناصري، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006، ص8-9.

[3] ابن عذاري، قسم الموحدين، ص418-419.

أدت هذه الهزيمة إلى أسر ثلاثة آلاف من المسلمين وكان من ضمنهم القاضي ابن أبي عشرة، ولأجل افتدائهم أرسل السلطان أبو يوسف سفارة خاصة برئاسة أبي بكر بن يعلي إلى الملك الفونسو العاشر، وهذا أواسط ذي القعدة658هـ/1260م[1]، وقد نجح في مهمته وتمكن من افتداء الجزء الأكبر من الأسرى[2]، كما افتدى أهل مدينة شريش[3] ثلاثمائة وثمانين شخصا[4].

في عام676هـ/1277م دخل المرينيون مع بني الأحمر في تحالف من أجل استرجاع حصن بني بشير[5]، أين التقى الجيشان في موضع يقال له خمار الورد بناحية شذونة[6]، وقد تمكن الجيشان من الاستيلاء على حصن بني بشير، وكذلك حصن طركونة[7]" ومدينة جيان القشتالية، لذلك أرسل الفونسو العاشر سفارة صلح تتكون من القساوسة والرهبان للوساطة في الأمر، فاتجه الوفد إلى ابن الأحمر قائلين:"جئناك لنعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا حرب وأقسموا له بصلبانهم"[8]

- سفارة عام 681هـ/1282م.

استغل السلطان أبو يوسف يعقوب المريني كافة الظروف والعوامل لدى حركة الجهاد في الأندلس ضد الممالك النصرانية، ووظف الخلافات الداخلية القشتالية، وانطلاقا من ذلك وافق

---

[1] عبد الهادي التازي، ج7، ص56-57.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص422-423./حمدي عبد المنعم، مدينة سلا ، المرجع السابق، ص58/ محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص549.

[3] شريش: من أقاليم شذونة بالأندلس، وهي على مقربة من البحر، يكثر بها الكروم وأشجار الزيتون والتين.ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص340.

[4] حمدي عبد المنعم، مدينة سلا، المرجع السابق، ص58.

[5] حصن بني بشير: ورد اسمه عند الحميري بحصن بُببشتر حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، به الكثير من القرى، تحيط به المياه والأشجار، ينظر: الحميري، المرجع السابق، ص37.

[6] شذونة: وصفها الحميري قائلا بأنها:" بالأندلس، وهي كورة متصلة بكورة مورور، ...وكورة شذونة جليلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة، عذبة التربة. الحميري، المصدر السابق، ص100-101.

[7] طركونة: مدينة تقع على ساحل البحر، لها أحواز كثيرة وحصون منيعة تتصل بنواحي برشلونة، كان بها أرحاء تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها ينظر: ياقوت الحموي، ج1، ص121/ الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص392./ ينظر: عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين، ص176.الإدريسي، ج2، ص538./ مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013، ص172-173.

[8] أبي زرع، الأنيس المطرب، ص327-328.

السلطان يعقوب مناصرة ملك قشتالة الفونسو العاشر[1]، الذي استنجد بالسلطان المريني ضد ولده "دون سانشو"Don Sanche" ، وقد أورد الملزوزي هذه السفارة في أرجوزته جاء فيها:

مِنْ عِنْدَ ألفونسو لَهُ أَعتَابُ ...ثَمَّ أَتَّا مَنْصُورنَا كُتَّابٍ

أَنُضِرَ مَلِيكَا قُلَّبِهِ مَكْسُورِ ...يُقَوِّلُ فِيهَا أَيّهَا الْمَنْصُورَ

إِنْ النصارى نَقَّضُوا عُهُودِيٌّ ...مَعَ وَلِي عَهْدُي المودود[2].

وفي أثناء عودة السلطان المريني عندما وصل إلى شاطبة بعث برسالة إلى "فيليب لوهاردي" ملك فرنسا يقترح عليه عون الفونسو العاشر أو عقد حلف ثلاثي، ويبدو بأن الهدف من مساعدة الفونسو كان يطمح من خلالها إلى استغلال الخلاف بين الممالك النصرانية من أجل التخفيف على المسلمين في الأندلس الذين كانوا يتعرضون للضغط المستمر أو الهجمات[3]، "ورغم كل ما حدث بين المرينيين والقشتالين بعث السلطان أبو يعقوب يوسف المريني بسفارة عام 683هـ/1284م، لتقديم العزاء إلى ملك قشتالة الجديد صانشو الرابع ابن الفونسو العاشر، وهي بادرة تدل على يقظة السلطان المريني ومواكبته للأحداث"[4].

- سفارة عام 685هـ/1286م.

رغم ما أبداه السلطان المنصور أبو يعقوب يوسف المريني من رغبة في إقامة علاقات طيبة مع قشتالة، إلا أنه في نفس الوقت اغتنم الفرصة على إثر وفاة الفونصو، وواصل تحركاته العسكرية في الأندلس، حيث نزل بطريف في صفر سنة 684هـ/1285م، ومن ثم اتجه بجيشه نحو واد لكة[5]،

---

[1] عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين، ص 177.

[2] أبو فارس الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص 132-133.

[3] عبد الهادي التازي، ج7، ص 64

[4] المرجع نفسه، 65.

[5] واد لكة: وهي منطقة تقع في أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس، و فيها التقى طارق بن زياد مع لذريق وهزمه من طرف جيوش المسلمين عام 92هـ. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص193-194.

ومن هناك قام ببث السرايا، وفي العشرين من صفر نفس الشهر بمحاصرة شريش ودخولها وأفسد زروعها، ويلاحظ من خلال الوقائع العسكرية تركيز المرينيين على الجانب الاقتصادي كوسيلة للضغط على الطرف المعادي[1]، وابتداء من رمضان نفس السنة المذكورة، هاجم الأمير أبو زيان بن منديل منطقة الوادي الكبير وقرمونة، كما اتجه المرينييون لسياسة أخرى بضم اللاجئين المناهضين لحكم قشتالة، بمن فيهم الأمراء والقادة العسكريون وأغدق عليهم بالترحيب، وقد كان منهم الفونسو دوكزمان "Alfohoso fe de Cuzman " حاكم مدينة سان لوكار"Sanulucar" شمال قادس، الذي شبت بينه وبين البلاط القشتالي منازعات فقصد الدولة المرينية أين عينه السلطان أبو يوسف كقائد عسكري للجيش[2]، أرغمت هذه الأسباب دون سانشو على الالتجاء لطلب السلم، ولأجل ذلك بعث بسفارة تتكون من بطارقتكم وشمامستهم وأساقفتهم، أين استقبلهم السلطان أبو يوسف يعقوب وهو بالجزيرة الخضراء[3]، إلا أنه رفض طلب الهدنة في محاولة من الطرف المريني ابتزاز الوفد النصراني لتحقيق اكبر قدر من المكاسب[4]، "مما جعل ملك قشتالة يحاول مرة أخرى بسفارة يعرب له فيها بأنه عن استعداده لقبول سائر الشروط التي تفرض عليه، وتمخض اللقاء مع هذه السفارة عن الاتفاق بأن يلتزم الجانب النصراني بعدم الاعتداء على الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسلامية، وأن لا يتدخل في الشؤون الداخلية في كل من غرناطة وفاس، وأن يضمن حرية التجار المسلمين في البلاد الوقعة تحت السيطرة النصرانية وإعفائها من الضرائب والمكوس، وأن يعيد القشتاليون الكتب والمخطوطات التي كان النصارى قد غنموها من المسلمين في المعارك السابقة"[5].

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، ج7، ص273./ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص341./عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين، ص 178-179.

[2] عبد الهادي التازي، ج7، ص65.

[3] المرجع نفسه، ص65.

[4] عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين، ص 182

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 277./عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين، ص 182./ عبد الهادي التازي، ج7، ص65-66./ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 359.

وقد انقطع الجهاد المريني لفترة من الزمن إلى غاية قيام فرناندو الرابع سنة 709هـ/1309م بغزو جبل طارق للاستيلاء عليه، كما حاولوا السيطرة على الجزيرة الخضراء إلا أنهم فشلوا في اقتحامها، وانتهى ذلك بعقد صلح بين المرينيين وغرناطة من جهة وقشتالة وأرغون من جهة أخرى تبعه مجموعة من المراسلات المتبادلة حول أمور السلم بين البلدين[1].

- سفارة عام 734هـ/1334م.

بعد استيلاء المرينيين على جبل طارق عقدت معاهدة صلح بين فاس وقشتالة وغرناطة مدتها أربع سنوات، وقد فوض يوسف الأول للسلطان أبي الحسن أمر إبرام المعاهدة، وبعدها انضمت أرغون إلى هذه المعاهدة[2].

- سفارة عام 745هـ/1344م.

بعد معركة طريف التي هزم فيها المرينيون وبنو الأحمر، أصبح المرينيون وبنو الأحمر في موقف تفاوضي ضعيف، فحين حاول أبو الحسن وسلطان غرناطة الدخول في مفاوضات مع قشتالة رفضت هذه الأخيرة مقترحات المسلمين، ولم يعقد الصلح بين فاس وغرناطة وقشتالة وأرغون إلا بعد استيلاء قشتالة على الجزيرة الخضراء في سنة 745هـ/1344م، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات وتولى عقدها عن بني مرين السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة، الذي فوض قائده ابن كماشة بمقتضى وثيقة وجهها إلى هذا القائد[3]، "ساد السلم بعد هذه المعاهدة طول فترة حكم أبي الحسن المريني ، وتبودلت خلال هذه الفترة السفارات بين الطرفين، ومن بينها إرسال السلطان أبو الحسن بسفارة 748هـ/1347م يخبره بنصر فتح إفريقية، ويطلب منه أيضا إبرام اتفاقية صلح، وترأس وفد السفارة ابن مرزوق الجد، الذي تمكن من استنقاذ الأمير تاشفين المأسور منذ يوم طريف 741هـ/1340م،

[1] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص115-116/ الحريري، المرجع السابق، ص239-240.

[2] ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص162./ الحريري، المرجع السابق، ص239-240.

[3] الحريري، المرجع السابق، ص239-240.

لما استرجع السلطان أبو الحسن المريني افريقية سنة 748هـ/1347م، فقرر الملك القشتالي رد هذه السفارة بسفارة هامة إظهارا لحسن النية وإعرابا عن التهنئة"[1].

خلال عهد السلطان أبي عنان فارس لم تحدث أية حروب كالتي حدثت في عهد سابقيه، وتميزت علاقاتها مع الدول النصرانية بالود والصداقة، إذ وصف سبب ذلك النميري ذلك قائلا:" ناهجا طرق الفوز والرضوان، ولازال ملكه رفيعا عزيزا، وتشريفه لما ابتهم من الرتب تمييزا ... وسمي عهاد العهود"[2]، بالإضافة إلى ما عرفته الدولة من قوة على عهده ومن استقرار سياسي، جعل الدول النصرانية تسعى لعقد المعاهدات السلمية والتجارية معه معهم .

بعد مقتل السلطان أبو عنان فارس أخذت العلاقات المرينية النصرانية شكلا آخر "غلب عليها الهدوء أحيانا والتدخل النصراني في الشؤون المرينية الداخلية أحيانا أخرى، ومن ذلك قيام ملك قشتالة بيدرو الأول في عام 763هـ/1362م بمساعدة أبي زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن على تولي الحكم المريني، منذ أن كان لاجئا لدى البلاط القشتالي"[3].

- سفارة عام 748هـ/1347م.

لما استرجع السلطان أبو الحسن المريني إفريقية سنة 748هـ/1347م، بعث بسفارة إلى ملك قشتالة يخبره بهذا النصر، ويطلب منه أيضا إبرام اتفاقية صلح، وكانت السفارة برئاسة ابن مرزوق الجد، الذي تمكن من استنقاذ الأمير تاشفين المأسور يوم طريف (موقعة طريف)، فقرر الملك القشتالي رد هذه السفارة بسفارة هامة إظهارا لحسن النية وإعرابا عن التهنئة[4].

---

[1] سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص337.

[2] ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد بن شقرون، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013، ص 150.

[3] عامر أحمد عبد الله، المرجع نفسه، ص193-194 .

[4] سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص337.

- سفارة عام 759هـ/1357م.

جدد المرينيون مع ملك قشتالة بيدور الرابع معاهدة السلم التي تجمعهما، وذلك في سنة 759هـ/1357م، التي نصت المعاهدة على أن تمتد لمدة خمس سنوات، وكل خروج طرف عن بنود المعاهدة مدعاة إلى احتجاج الطرف المتضرر من نقض المعاهدة، ففي سنة 760هـ/1358م، احتج بيدرو الرابع لدى أبي عنان المريني لعدم وفاء محمد الخامس سلطان غرناطة بنصوص الاتفاقية المبرمة بينهم[1].

3-السفارات بين الدولة المرينية وميورقة.

أبرمت جزيرة ميورقة عدد من المعاهدات مع المرينيين، فقد سجلت عدد من السفارات بينهما، ففي عام 739هـ/1339 عقدت بتلمسان بين ملك ميورقة[2] ، كما بعث السلطان أبي عنان برسالة عام 759هـ/1358م، إلى نرطل نائب ملك أرغون على ميورقة، يبلغه فيها نرطل إطلاق أسرى إحدى السفن التي تحطمت على السواحل التي كانت تنقل القمح إلى بجاية، وأمر بإطلاق جميع سراح الأسرى النصارى والبضائع الذين كانوا على متنها[3].

4-السفارات المرينية مع فرنسا.

نظرا للبعد النسبي للأراضي الفرنسية (بلاد الغال)، إذا ما قرناها بقشتالة أو أرغون ، وتولي الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الأيبيرية مهمة مهاجمة أراضي الأندلس في إطار حروب الاسترداد، كما أن اهتمام فرنسا كان متجها شطر بلاد المشرق الإسلامي في إطار الحروب الصليبية وكذا شطر الدولة

[1] الحريري، المرجع السابق، ص239-240.

[2] Henri Bresc et Yûsuf Râgib Le sultan mérinide Abû l-Hassan ‘Alî et Jacques III de Majorque. Du traité de paix au pacte secret, Institut français d'archéologie orientale, Le Caire , 2011,p27.

[3] القرقوطي، معمر الهادي، المرجع السابق، ص299-300.

الحفصية ثم المغرب الأوسط في وقت متأخر لما كان لها ارتباط سياسي بصقلية التي كانت تحت تصرف مملكة أرغون[1].

رابعا: السفارات المرينية مع الجمهوريات الايطالية.

سعى المرينيون إلى توطيد علاقاتهم مع المدن الايطالية، وعلى رأسها مدينة جنوة فبالرغم من اهتمام الجنويين المتزايد بأسواق المشرق، إلا أنهم كانوا أكثر حرصا على توطيد أقدامهم بالمغرب الأقصى[2]، ففي عام 692هـ/1292م يذكر ابن أبي زرع بأنه:" قدمت سفارة على السلطان يوسف أبي يعقوب محملة بهدية جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للمتوكل العباسي"[3]، إن إرسال الجنويين لهذه الهدايا للسلطان كان نتيجة للاهتمام المتزايد بالذهب المجلوب عن طريق المغرب خاصة مع ضرب المدن الايطالية لنقدها وكانت جنوة أول من ضربت نقدا ذهبي سنة651هـ/1252م[4]، إذ اعتبرت المغرب سوقا لنقل سلعهم من كتان وقطن والأجواخ والأقمشة[5].

أما جمهورية البندقية فلم يكن لها حضور قوي بالدولة المرينية مثل جيرانها، لارتباط تجارها بعلاقات مع أطراف أخرى كإفريقية الحفصية والمغرب الأوسط[6]، و"الملاحظ على العلاقات التجارية للجمهوريات الايطالية أنها كانت موجهة آنذاك نحو مناطق وبصفة أكثر المشرق وهو ما جعل المغرب

[1] إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق، ص367-368.

[2] القرقوطي معمر الهادي، الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين، المرجع السابق، ص295.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص382.

[4] مصطفى نشاط ، ملاحظات حول المعاهدات، المرجع السابق، ج2، ص159.

[5] الأعرجي نضال، الدولة المرينية على عهد أبي يعقوب، المرجع السابق، ص 64/لورا باليتو، "جنوة وبلاد المغرب من 1222الى "1226، ترجمة مصطفى نشاط، مجلة أمل، العدد لخامس، السنة الثانية 1994 ، ص9.

[6] القرقوطي معمر الهادي، المرجع السابق ص296.

الأقصى أقل اهتماما، وبالتالي كان الهدف الاقتصادي وحده المحرك الرئيسي للتجار الايطاليين مما أدى إلى بروزهم في الشرق والغرب في العصور الوسطى"[1].

كان الطابع الغالب على المراسلات بين الموحدين والجمهوريات الإيطالية هو طابع السلم والتجارة، وكذلك بالنسبة للعلاقات المرينية والحفصية معهم، ورغم أن ما بأيدينا من مراسلات مرينية لا يوجد منها غير اتفاق أبي عنان مع بيزة إلا أن العلاقات على العموم كانت سلمية وتجارية[2]، " السفارة الوحيدة التي سجلت لدينا هي سفارة بيدرو دي باربا "Pietro Di Barba" الذي وصل سفيرا من قبل أشياخ الكمون يطلب فيها الصلح والمهادنة وعقد معاهدة تجمع البلدين، وقد رد عليه السلطان أبو عنان بأن قبل طلب الصلح واتفق على مجموعة من الشروط التي تم الاتفاق عليها مع السفير الايطالي لمدة عشر أعوام في عام 759هـ/1258م"[3]، وحمله رسالة تحتوي على الشروط التي تم إبرامها بينهما التي احتوت على أربعة عشر بندا، ومما جاء فيها:

- "متى وقع نزاع بين أحد الرعايا من قبل الدولتين، يعاقب الظالم ويبقى الصلح ثابتا لا يتغير.
- إذا أذنب تاجر من تجار بيزة واستوجب العقوبة، فيعاقب في نفسه ولا يعاقب في ماله.
- السماح لهم باتخاذ فندق خاص بالتجار للنزول فيه.
- يتولى القنصل البيزي، حل النزاع بين التجار البيزيين والنصارى"[4].

كما اشتملت المعاهدات بصفة عامة على تسهيل عملية رسو السفن، وامتيازات أخرى تخص الإقامة والضرائب وضمان سلامة ممتلكات البيزيين وامتيازات شجعت تواجدهم بالمغرب، فحسب دراسة لورا باليتوا "Laura Ballett " وجهت 4864 ليرة جنوية للتجارة مع سبتة، و93عقدا

---

[1] لورا باليتو، المرجع السابق،، ص13.
[2] أحمد عزاوي، ج1، ص 48.
[3] النميري، المصدر السابق، ص186-187/أحمد عزاوي، ج1، ص48-49.
[4] أحمد عزاوي، ج1، ص50-52.

جمعها مع سبتة[1].وهذا يدل على النشاط التجاري الذي جمعها مع الجمهوريات الايطالية وإذا ما قارنها مع الدولة الحفصية.فقد فاقت هذه الأخيرة كثرة النشاطات التجارية والسفارات كما بينا ذلك سابقا.

1-سفارة صقلية عام 759هـ/1358م.

كان وصول نفوذ أبي عنان إلى افريقية يفرض تجديد الاتفاقيات مع الايطاليين والأرغونيين، فكانت ضرورة العمل التجاري بين صقلية وإفريقية تفرض وجود مثل هذه الاتفاقيات، ولما كان حاكمها هو أخو زوجة الملك الأرغوني ومرتبطا به، فقد سعى هذا لإشراك ملك صقلية في المعاهدة السلمية التي تربط أبي عنان[2]، وهو ما نلاحظه في الرسالة المؤرخة في 4صفر 759هـ/1258م، الصادر عن أبي عنان التي كلف الشريف محمد بن حسين الحسيني[3] ، يحمل جوابا على طلب زوجة ملك أرغون "دونيا ليونور"Dona Léonor"، يخبرها بقبوله اقتراح الصلح مع أخيها ملك صقلية[4]. وبعد أن تولى الشريف محمد بن حسين الحسيني مهمة التفاوض، أرسل في نفس السياق رسالة إلى الملك الأرغوني يخبره بقبول أبي عنان لاقتراح الصلح واشتراك صقلية فيه[5].

---

[1] لورا باليتو، المرجع السابق، ص6-7.

[2] أحمد عزاوي، ج1، ص 69-70-71./النميري، المصدر السابق، ص188- 189

[3] الشريف محمد بن حسين الحسيني: هو أبو القاسم ابن قاضي الجماعة الشريف العالم أبي علي حسين بن يحي الحسيني. النميري، المصدرالسابق، ص188-189.

[4] أحمد عزاوي، ج1، ص 69-70-71./النميري، المصدر السابق، ص188- 189

[5] أحمد عزاوي، ج1، ص73-74./ النميري، المصدر السابق، ص189-190.

2- **جدول للسفراء الذين توافدوا بين الدولة المرينية والنصارى.**

السفير	المرسل	المرسل إليه	التاريخ	المهمة
-أبو بكر بن يعلي	أبو يوسف يعقوب	الفونسو العاشر	658هـ/1260م	-إفتداء الأسرى المسلمين.
-مجموعة القساوسة والرهبان	ألفونسو العاشر	أبو يوسف يعقوب	670هـ/1277م	- طلب التفاوض للصلح
-الرهبان والقساوسة	الفونسو العاشر	أبو يوسف يعقوب	676هـ/1277م	تفويض محمد الفقيه الغرناطي لعقد معاهدة الصلح
-مجموعة من الرهبان	دون صانشو	أبو يوسف يعقوب	685هـ/1286م	- طلب عقد معاهدة سلم وإمضاء الشروط.
// // //	أبو يعقوب يوسف	جاك الثاني	703هـ/1304م	إرسال رسالة للاستفسار عن موضوع سبتة، والمال المستحق منها
-غرسيس لشبين Garsis lesbin	ملك أراغون جاك الثاني	أبو يعقوب يوسف	703هـ/1304م	عقد معاهدة بين أراغون والدولة المرينية: -من أجل التحالف ضد قشتالة - إرسال ثلاثون فارسا من المرتزقة لمساعدة الجيش المريني.

-برنارت شيجي bernart Segui -ابن العباس ابن الكماد	أبو ثابت عامر	ملك أراغون وبلنسية	707هـ/1308م	- الرد على رسالة أراغون، بشأن سبتة والموافقة على طلبه.
-جاسبر فيكونت كاست	جاك الثاني	أبو الربيع سليمان	708هـ/1309م	-تبرير موقف أراغون بسبب عدم مساعدة المرينين - إبرام معاهدة بين الطرفين نصت على: -أن يتعاهد الملكان على يكونا صديقي الأصدقاء وعدوي الأعداء ضد سائر الملوك. -يتعهد الملك أبو الربيع سليمان الأول بدفع ألفي مثقال لكل مركب حربي بسائر معداته وذخائره لمدة أربعة أشهر. -يلتزم الملك أبو الربيع دفع مرتبات لألف فارس لمتابعة الحرب ريثما يحتل مدينة سبتة.

				-أن يتعهد بأنه لن يعقد معاهدة صلح مع مملكة غرناطة بدون موافقة ملك أرغون. -أن يساعد السلطان المريني ملك أرغون ضد مملكة غرناطة بالسفن والمال، عندما ينتهي من استرداد سبتة.
-رومان دوكيير	جاك الثاني	علي بن أبي سعيد	723هـ/1323م	- رسالة يطلب فيها الدعم من أجل السيطرة على سردينية، ورد عليه السلطان المريني برسالة يخبره استعداده لمساعدته على نحو ما جرت بذلك أسلافه.
-ألماريك دوناربون Almaric de Narboon	جاك الثاني ملك ميورقة	أبو الحسن المريني	739هـ/1339م	-عقد صلح لمدة عشر سنوات.
-ابن كماشة	بيدرو الرابع	أبو الحسن	746هـ/1345م	عقد صلح لمدة عشر سنوات.

-أرناود دو قادارش Arnard de cadiras	بيدرو الرابع	أبو الحسن	746هـ/1345م	لا تشير المصادر إلى أهدافها تدخل ضمن سفارات الود.
-ابن مرزوق الحفيد	-أبو الحسن المريني		748هـ/1347م	- طلب افتداء أبو تاشفين من الأسر.
-جيل ألبيرتي Gil Albirti	بيدرو الرابع	أبوعنان فارس عبد العزيز	750هـ/1349م	- طلب عقد معاهدة.
-منصور بن علي الياباني -إبراهيم بن محفوظ	أبوعنان فارس عبد العزيز	بيدرو الرابع	750هـ/1349م	- مفاوضات لعقد معاهدة سلم وتجارة.
-فرنسيس برتيل Francisco pertelle	بيدرو الرابع	أبوعنان فارس عبد العزيز	750هـ/1349م	-عقد معاهدة سلم وتجارة بين الدولتين.

-إبراهيم ابن المحفوظ	أبو عنان	بيدرو الرابع	752هـ/1351م	رسالة مرينية تبلغ ملك أرغون بسلامة التجار.
-عبد الرحمن بن العدوي -مسعود الترجمان	أبو عنان المريني	بيدرو الرابع	752هـ/1351م	- التعبير عن استياء السلطان المريني لما تعرضت له السفن للقرصنة، مع عقد معاهدة لمدة أربعة عشر شهرا.
-جليام مرنير	عبد الرحمن بن السلطان أبو الحسن	ملك أرغون	758هـ/1357م	- طلب تجديد العلاقات.
-الشريف محمد بن حسين الحسيني	أبو الحسن المريني	الملكة دونيا ليونور donia leonor	759هـ/1358م	- رسالة يرد فيها على موافقته لعقد الصلح.
-ماتيو ميرسي Matiou Mercer	ملك أرغون	أبو الحسن المريني	759هـ/1358م	- طلب التحالف ضد قشتالة

-أرنودو فراس Arnou de France -بيتران دوبينو B.de Pinos				
-بيدرو باربا Pietro Di Barba	أشيخ الكمون لبيزة	أبو عنان المريني	759هـ/1258م	عقد معاهدة صلح تتضمن أربعة عشر بندا.
-يعقوب الرقاني	أبو سالم إبراهيم	برنارد دوكابريرا Bernart de Cabrera	761هـ/1360م	- رسالة طلب الصلح وتجديد العلاقات.
-جيلبير روفير دو طوطوس - G.Rovin de Tortose	السلطان المريني	ملك أرغون	790هـ/1388م	-إرسال مجموعة من المرتزقة لمساعدة الجيش المريني.

يلاحظ من خلال الجدول ارتفاع عدد السفارات التي من خلالها تم عقد معاهدات بين المرينيين والنصارى، خاصة أن أغلبها كان مع مملكة أرغون، "ويعزى ذلك إلى أن مملكة أرغون أصبحت خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، أهم طرف متاجر مع الدولة

المرينية"[1]، ويرتبط ذلك بتراجع التجارة المارسيلية مع المرينيين بعد أن عرفت مستوى رفيعا في العهد الموحدي، بسبب سياسة ملكها شارل دانجوCharles d'Anjou"، الذي أعطى أهمية للأسطول العسكري على حساب الأسطول التجاري[2]، أما الجمهوريات الايطالية خاصة جنوة كانت علاقاتها والاستثمارات التجارية موجهة نحو صقلية والمشرق وكذلك الحفصيين[3]، "ومن ناحية أخرى ما تضمنته المعاهدات جاءت تقريبا جلها تخدم الطرف النصراني، التي حرصوا على ضمان للتجار حق الإقامة بفنادق خاصة بهم ببعض الموانئ وبمدينة فاس، وتوفير الحماية لهم، ومن جهة أخرى كان لهذه المعاهدات أثر إيجابي على السلاطين المرينيين الذين استفادوا من هؤلاء التجار باعتبارهم مصدرا ماديا مهما عن طريق الضرائب الجمركية التي كانت تفرضها عليهم"[4]، أما الجانب القشتالي فكان أقل بسبب الحروب المستمرة معهم، كما منح المرينيون التفويض في أكثر من معاهدة لبني الأحمر لتوليها بدلا عنهم، كم تبين المعاهدات اهتمام السلاطين على تحرير الأسرى.

خامسا:السفارات بين الدولة الزيانية والجمهوريات الايطالية.

إن الجانب السياسي للعلاقات بين الجمهوريات الايطالية والدولة الزيانية، يبدو نوعا ما غامضا لقلة المصادر التي تناولت هذا الجانب، فلا نجد رسائل كثيرة في "موضوع علاقات السلم والتجارة الصادرة عن سلاطين تلمسان، بحكم خضوعها في كثير من الأحيان لجيرانها، فهي في العصر الموحدي جزء من الدولة الموحدية، كذلك في العصر المريني خضعت مرات كثيرة للحكم المريني ومرات أخرى للحكم الحفصي. فلا نجد بين أيدينا غير مراسلات محدودة في موضوعي السلم والتجارة مع النصارى خلال العقد الثاني من القرن الثامن الهجري عندما كانت تلمسان في أوج قوتها، وخلال النصف الثاني من نفس القرن عندما كانت إفريقية منشغلة بمشاكلها الداخلية، وكان المغرب بعد

[1] مصطفى نشاط ، ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية، المرجع السابق، ج2، ص158.

[2] المرجع نفسه، ص159

[3] لورا باليتو، المرجع السابق، ص 13

[4] مصطفى نشاط،، المرجع السابق، ص163.

عصر أبي عنان دخل مرحلة من الضعف تقلصت فيها حالات الوصول المريني إلى تلمسان"[1]؛ ولهذا سنقوم بدارسة مظاهر العلاقات والمعاهدات المتعلقة بالجانب الاقتصادي باعتبار أن العلاقات الدبلوماسية كانت نتاجا للعلاقات التجارية.

فيما بين عام 532-533هـ/1137-1138م، أبرمت جنوة عدة معاهدات صلح وتجارة مع الموحدين، وضعت فيها أسس التبادل بينهما.وبذلك بدأت العلاقات تنتظم وتزدهر بين الطرفين، وقد سجل وجود الجنويين في ميناء وهران[2] مند عام 575هـ/1179م، وبقي هذا التبادل التجاري هاما، طيلة الثلث الأول من القرن الثالث عشر ميلادي، وكانت عائدات جنوة منه كبيرة[3].

وقد جمعت بين الطرفين معاهدات سلم، وهي المتعلقة بالحركة التجارية التي لم تنقطع رغم ظروف الحرب التي شهدتها دول الحوض الغربي للمتوسط، والملاحظ أنه عدد المعاهدات المبرمة بين الدولتين قليل مقارنة مع ما عقد مع المرينيين والحفصيين[4].

وفيما يخص نشاط الحركة التجارية بين بيزة وتلمسان، فقد أصبحت تستقبلهم في "ميناء وهران منذ سنة 686هـ/1186م[5]، ومن المعلومات التي تيسر جمعها في هذا الموضوع أن أحد أرباب المال و"يسمى قوالدو رينوكي " Gualdo Rinucch "، جمع ما يعرف بـGommenda، لشخص يدعى لورانزو بنداكي "Loreno Bendacchi"، قدرها 150دينارا ليشتري بها سلعا

---

[1] أحمد عزاوي ، ج1، ص 86.

[2] تردد التجار النصارى على عدد من الموانئ الدولة الزيانية، منها المرسى الكبير الذي لا يبعد عن وهران سوى بضعة أميال، كما كان ميناء مستغانم رغم صغر حجمه دور هام في استقبال المنتجات الأوربية.ينظر: الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 9./ طواهرة فؤاد، "المجتمع والاقتصاد خلال العصر الزياني(9-7/15-13م)"، مجلة دراسات تاريخية ،العدد السادس عشر، 2014، ص9./

- Daouadi Belkace, Les Relations Commerciales Entre Le Royaume Abdelwadid DE Tlemcen (1) ET Les Villes DU Sud DE L'europe Occidentale À Partir du Milliu du XIII e Siécle Jusqu'au Mollieu DU XV Université Jean Moulin-Lyon III / CNRS BIBLID ,16, 2009 , p117.

[3] إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق، ص 128.

[4] ولد خسال، المرجع السابق، ص425.

[5] لطيفة بشاري ، المرجع، السابق، ص 135.

من بلاد المغرب الإسلامي، وقد أبحر في إحدى سفن شركة جيوفاني ديلا نييلو" Gronani Dell Agnllo"، ونفس الشركة أرسلت سفينة إلى مدينة مستغانم الزيانية لتبيع بعض السلع، وتشتري الصوف سنة 762هـ/1360م، وقد تطورت هذه الشركة حتى أصبحت تمثل قوة تسير الشؤون السياسية في القومون عن طريق تولي بعض أفرادها السلطة، وقد شجع هؤلاء إبرام معاهدات تجارة وصلح مع دول المغرب الإسلامي، ومنها ولا شك الدولة الزيانية، لأن عدم العثور على معاهدات بين بيزة وتلمسان ليس دليلا على عدم وجودها، فربما ضاعت تلك المعاهدات، أو لم تكتشف بعد"[1]، إذ وصف الوزان هؤلاء التجار:" وفيها فنادق على النمط الإفريقي، منهما اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية"[2].

أما الطرف الأرغوني فقد اعتبر الدولة الزيانية منذ تأسيسها بداية من القرن السابع الهجري ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهم للقطلانيين لموقعها بين المغرب الأقصى وإفريقية، لأنها تمثل مركزا استراتجيا بين أوروبا وبلاد السودان، وأكثر عمقا في بلاد المغرب لوقوع تلمسان في الخط الصحراوي المار بسجلماسة ثم مالي والسودان، وهو ما ضاعف اهتمام النصارى بالمغرب الأوسط[3]، "واعتبرت وهران ميناء مهم لتصدير الحبوب الى الممالك النصرانية[4] "فكانت تجارة الذهب على وجه الخصوص ومقايضتها بمختلف السلع، هذا ما جعل الجانب الاقتصادي هو الإطار العام الذي نسجت حوله السياسة الأراغونية القطلانية أما اهتمامهم القديم كان مقتصرا على المغرب الأقصى وسواحله، لذلك كانوا يبعثون بالسفارات وقادة الجيش لابرام المعاهدات لتسهيل العملية التجارية"[5].

لطيفة بشاري ، المرجع، السابق، ص 135.[1]

حسن الوزان، ج2، المرجع السابق، ص 20.[2]

[3] عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن14م، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2011، ص9-20./

حسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص8.

[4]Dhina attallah ,ibid, p338 .

[5]عمر سعيدان، المرجع السابق، ص9-20./ حسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص8-9.

سادسا-السفارات الزيانية مع المماليك النصرانية.

1-السفارات مع مملكة أرغون.

استقبل كل من البلاط الزياني والنصراني خلال القرنين السابع والثامن عددا من السفارات المتبادلة بين الطرفين، والتي كانت في أغلبها من أجل عقد معاهدات الصلح والسلم، وهذا بداية منذ "النصف الأول من القرن السابع الهجري استهدف الأرغونيين السيطرة على طرق التجارة التي تصل إلى سواحل الدولة الزيانية وراحوا يعملون على تحقيق غاياتهم في عهد جاقمة الفاتح(675-610هـ/1213-1276م)، الذي هاجم سواحل تلمسان ووهران سنة 627هـ/1230م، لكن سرعان ما اتضح له أن هذه السياسة العدائية ليست في صالحه، لهذا أصدر الملك الأرغوني مرسوما يمنع فيه رعاياه من القيام بالقرصنة ضد البلدان المهادنة لها لأنها أضرت بالتجارة"[1]، هذا ما جعل يغمراسن بن زيان يبادر بإرسال سفيره أبي أرلان قنصلا إلى برشلونة، فعقد معاهدة تجارية في قطلونيا ومونبليي[2].

استغل "أبو أرلان" تواجده في برشلونة في ربط علاقات مالية مع أحد التجار من برشلونة يدعى "رامون دي بانياس"، وكان هذا الأخير يستثمر أمواله في افريقية منذ عشر سنوات[3]. وبهذا كانت العلاقات في البداية واعدة جدا وتجسدت أكثر عندما أبرم السفير مع جاقمة الفاتح صفقات لشراء عتاد للسفن[4]، وفي عام 664هـ/1265م أرسل جاقمة، الفارس "Pére de vilaragut" سفيرا إلى تلمسان لمدة ثلاث سنوات، يقوم خلالها بمهام عسكرية تتمثل في الإشراف على جند

[1] بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص143-144.

[2] المرجع نفسه، ص 144.

[3] جيلالي صاري، تلمسان الزيانية إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011، ص47.

[4] المرجع نفسه، ص 48.

النصارى ، الذين كانوا في خدمة الدولة الزيانية [1]، وأخرى تتمثل في رعاية التجار بعاصمتها، كما عين الفارس القطلاني "Guillem-Galceran "، للقيام بسفارة لنفس المهام في سنتي 667هـ/1267م و 671هـ/1272م[2].

وبعد ثلاثة أشهر من تنصيب بطرس الثالث، الذي خلف أباه جقمة الأول سنة675هـ/1276م كلف السفير "Bernard Porter" بالسفارة لعقد معاهدة مع يغمراسن، رغم أن المصادر لم تسجل نتائج هذه السفارة إلا أن تطور الأحداث يدل على أنه تم بينهما عقد معاهدة تجارة وسلم، إذ بقي السلم قائما بينهما مثلما كان عليه أيام أبيه[3]. كما أن الملك الأرغوني منح جواز مرور دائما لبعض التجار التلمسانيين، وعلى رأسهم محمد بن أبي عبد الله بن بريدي، وزير يغمراسن لتسهيل مهامهم التجارية مع بلاده، وفي هذا دليل على أن رجال الدولة الزيانية كانوا يمارسون التجارة بأنفسهم[4]، وهكذا يتبين بأن ثمة "هدفين رئيسيين من وراء إقامة هذه العلاقات المتميزة: أولهما هو الحفاظ على علاقات حسن الجوار لتأمين الدولة الزيانية ضد تحرش جيرانها، وثانيهما تطوير علاقاتها الاقتصادية مع برشلونة"[5].

[1] المرتزقة: أقدم السلاطين في دول المغرب الإسلامي على تأجير المرتزقة القطلانيين في جيوشهم وفي الحاميات الشخصية والبلاطية، فكان الحرس الحامي للسلطان وعائلته من المرتزقة، وكان الملوك النصارى القطلانيون هم الذين يتولون بأنفسهم تأجير مرتزقة الحرس، بل تعيين قادتهم واشتراط ذلك في كل عقد تسويغ، وكان السلاطين يطالبون بهؤلاء المرتزقة ويتخذونهم حرسا لهم، وأحيانا أخرى يختارونهم من بين النصارى والتجار الذين يتم أسرهم في الحروب.ينظر: عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 39-40. لطيفة بشاري، المرجع السابق،145.

[2] لطيفة بشاري ، المرجع السابق، ص 145.

[3] المرجع نفسه، ص145.

[4] المرجع نفسه، ص 145-146.

[5] جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 48.

2- السفارات مع قشتالة.

على إثر التحالف الذي جمع بني الأحمر والمرينيين وقشتالة "عام 1285/684م، قرر ملك قشتالة "أدفونش الثالث" الذي تولى الحكم سنة 703هـ/1283م بإرسال سفارة عين عليها حاكم بلنسية ريموند سان ليساريو "Remondé San Licerio" سنة683هـ/ 1284م، إلى تلمسان من أجل تجديد معاهدة السلم والهدنة مع الزيانيين، وقد رد عثمان بن يغمراسن عام 686هـ/1286م على طلبه بأن أرسل موافقته على عقد المعاهدة وسلم الرسالة Garcia"Pére " لبيار غارسيا"[1]، جاء في الرسالة مجموعة من الشروط [2].

مما يلاحظ على هذه المعاهدة، يدل أن التجار الأرغونيين لم يكن لهم فندق خاص ينزل به مثل الايطاليين، قبل هذا التاريخ، وبوجود الفندق أصبح لهم قناصل الذين كانوا الممثل الرسمي للملك ليراقب عن كثب جميع العمليات التجارية ويستلم المبالغ الضرائب التي يدفعها لملك أرغون [3]، "أما ضريبة خمس آلاف دينار التي تعهد ملك تلمسان بدفعها لملك أرغون فهي عبارة عن دين تبقى في عهد أبيه يغمراسن والملك بطرس الثالث. ويعود تاريخها إلى سنة 1277م، ولكن الملك أدفونش لم يطالبه واكتفى بالمطالبة بنصف مداخيل ضرائب الواردات، وهذا يدل على كثافة التبادل وكثرة الواردات إلى المملكة الزيانية"[4].

وقد أعطت هذه المعاهدة دافعا كبير لتوافد مختلف التجار "من أرغون، وكذلك من ميورقة وبلنسية إلى موانئ الدولة الزيانية، التي استمرت حتى بعد موت أدفونش الثالث لذلك، حاول جقمة الثاني بعد توليه الحكم في عام691هـ/1291م، عقد معاهدة ثانية مع عثمان بن يغمراسن، فبعث برسالة عام 696هـ/1296م، يطلب فيها إبرام معاهدة معه مثل التي عقدها مع أدفونش

[1] لطيفة بشاري ، المرجع السابق، ص 147.

[2] Dhina attallah , ibid , p206.

[3] جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 52.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 150.

الثالث، حتى يحصل على جزء من مداخيل الضرائب في تلمسان، لكنه لم يتوصل إلى ذلك لأن الظروف قد تغيرت، فالعلاقات التجارية أخذت طريقها و أصبحت من الواضح أنها ستسمر حتى في غياب مثل هذه المعاهدات"[1].

– سفارة عام 723هـ/1323م.

أرسل الوزير عثمان هلال بن عبد الله برسالة بطلب من السلطان الزياني إلى جاقمة الثاني ملك أرغون، يعلمه فيها بتلقي كتابه الذي طلب فيه إطلاق سراح أربعة وعشرين نصرانيا تابعين للتاجر القطلاني خوان مانوال، والذين كان تم أسرهم[2]، ومما جاء في الرسالة المؤرخة في723هـ/1323م : "ونحن نعرفكم أنكم إذا أردتم صلح مولانا أيده الله فنحن نعطيكم الأربعة وعشرين نصرانيا الذين طلبتم متاع جوان منوال ونعطيكم أيضا زيادة عليهم ثلاثين نصرانيا من بلادكم.. وإذا أردتم سلف ذهب فنسلف لكم ما تيسر بعد أن تعطونا الضمان"[3]، ويفهم من هذا الكلام أن السلطان يعبر عن استعداده لتسليمهم الأسرى، لكن بشرط عقد صلح بين البلدين، وأوضحت الحنكة الدبلوماسية للسلطان الزياني الذي "لم يظهر استعداده لاستجابة لرغبة الملك على عقد الصلح معه حسب الشروط التي تريدها تلمسان لا أرغون بل يعرض عليه استعداده لتسليمه ثلاثين نصرانيا آخرين، كما يعرض عليه تقديم سلف له من الذهب إن رغب في ذلك شرط تقديم الرهن الضروري،كما يتضح أن الخزينة بتلمسان كانت في حالة حسنة، فالعلاقات المالية والتجارية كانت متحكمة في العلاقات بين البلدين وفي نوع السياسة التي كانت يتبعها ملك أرغون في علائقه مع تلمسان"[4].

---

[1] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص152.

[2] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص55.

[3] المرجع نفسه، ص54.

[4] المرجع نفسه، ص 56-57.

- سفارة عام 727هـ/1327م.

دخل السلطان الزياني أبو تاشفين الأول في مفاوضات من أجل السلم مع ملك أرغون خايمي الثاني، حيث أوفد إليه في عام727هـ/1327م سفارة الشيخ أبي يعقوب يوسف الحوراء مع جاقمو[1] ابن جاقمة الثاني الذي كان يعمل بتلمسان سفيرا مفوضا لأبيه يرعى مصالح القطلانيين ويتاجر في آن واحد لفائدته، كما أرسل رسالة حاجب وزير السلطان أبي تاشفين هلال بن عبد الله[2]. ليؤكد صادقته ومحبته لملك أرغون، وبفضل ابن جاقمو اقنع أباه بقبول عقد الصلح الذي أقام مدة طويلة يتاجر ويدافع عن مصالح القطلانيين، وكان يميل إلى سياسة السلم مع تلمسان[3] ولا نعلم إذا ما تم عقد معاهدة صلح بين الطرفين.

- سفارة عام 730هـ/1330م.

بعث السلطان الزياني عبد الرحمن بن أبي تاشفين عام 730هـ/1330م رسالة مع أبي عمران موسى بن الشيخ أبي عنان فارس بن حريز أحد وزرائه، صحبة الملك جاقمو ابن القائد[4] جاقمو الثاني السفير الدائم بتلمسان، ومعهما الحاجب ابن الحوراء أبو يعقوب يوسف، كان الهدف من هذه السفارة أن يحملوا الرسالة ويبلغوه بطلب السلطان الزياني المتمثل في طلب التعاون والتحالف ضد

[1] جاقمو:هو خايمي الابن الغير شرعي للملك خايمي الثاني.أحمد عزاوي،ج1، ص87.

[2] هلال بن عبد الله: ورد ت شخصية هلال فيكل من عند ابن خلدون، ويحي ابن خلدون وابن الصباح الحاج عبد الله، قال عنه ان خلدون: وأما هلال فأصله من سبي النصارى القطلانيين أهداه السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن وصار إلى السلطان أبي حمو فأعطاه ولده ابو تاشفين فيما أعطاه من موالي الأعلاج ونشا معه تربا وكان مختصا عنده بالمداخلة والعدالة، وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان ابي حمو ولما ولي بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته وكان مهيبا فظا غليظا فقعد مقعد الفصل ببابه وارهب الناس بسطوته ينظر:ابن الصباح، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، رحلة المدجن الحاج عبد الله بن الصباح، تعليق محمد بن شريفة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2008، ص92./التنسي، المصدر السابق، ص138.

[3] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 60.

[4] القائد: كان لقب القائد يسند لكل من يشرف على فيلق من فيالق الحرس مع مرتب هام يتجاوز بكثير مرتب عسكر الحرس، ويسند لقب القائد الأعلى" Alcaryt Mayour" لزعيم القواد، وفي تلمسان كان جاقمو اللقيط ابن جاقمو الثاني هو القائد المسؤول الأعلى لجميع النصارى، وكان يتولى أيضا وقاضيا. عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 41-42.

الحفصيين والمرينيين[1]. ولا يشير مضمون الرسالة إلى هدف السلطان الزياني ماعدا إبلاغ الطرف الارغوني بإرسال السفراء إليها وبهذا كانت الرسالة شفهية.

-سفارة عام 764هـ/1362.

بعد أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من استرجاع ملكهم من المرينيين، استقبل بعدها في عام 764هـ/1362م، "سفارة ملك أرغون بيدرو الرابع، ترأسها فرانسيس كوستا " Farncis Costa"، يطلب منه أن يشهر الحرب على ملك قشتالة، ويطلق سراح الأسرى الذين تم أسرهم أثناء إغارتهم على مرسى هنين، وقد رد عليه السلطان الزياني برسالة مطولة عبر فيها السلطان الزياني عن استيائه مما أبلغه السفير إذ قال:" فإننا استقرينا من لفظه ومعانيه ما لا يليق بالملك الرفيع المقدر أن يخاطب بمثله الملوك الذين لهم المكانة المكينة والمرتبة العلية القوية"[2]، كما بين السلطان الزياني بأنه مستعد لتلبية طلبه المتعلق بمنحه سلفة مالية، وفي خصوص طلب معاداة تلمسان للقشتاليين فجاره في الأمر ويعلمه بأن السفير سيشرح له الأمر.[3] لطلب الملك الأرغوني ويطلب ويفهم من خلال الرسالة المؤرخة في 23صفر764هـ/1362م أن السلطان الزياني بين قرار مساعدته أو عدم ذلك سيبلغه شفاهيا من خلال السفير، وبالتالي لا نعلم إن قبل مساعدتهم، كما بينت المعاهدة أن بعض من الأسرى الذين تم إلقاء القبض عليهم في مرسى هنين تم إخلاء سبيلهم، وفضل البعض منهم البقاء في الدولة الزيانية.

كما وضح السلطان أن بعض الأسرى فضلوا البقاء في تلمسان ولم يقبلوا المغادرة، إلا عدد قليل لا يتعدون الثلاثون سمح لم بالمغادرة والرجوع إلى بلادهم، كانت حادثة مراسي تلمسان وهنين ووهران ومستغانم وأسر بعض المسلمين هي ما جعلته يتراجع عن سماحه لهم بالمغادرة وأمسكهم مطالبا

---

[1] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 76-78.

[2] أحمد عزاوي، ج1، ص 94.

[3] عمر سعيدان ، المرجع السابق، ص 109.

بتطبيق شروط الصلح المبرم سابقا، إلى أن يبادر الملك بإطلاق سراح المسلمين المخطوفين"[1]، مطالبا أيضا بأن ينزل عقابه على المغيرين والمفسدين [2]، "انتهت المفاوضات بعقد معاهدة سلم وصلح في 29صفر من نفس عام 764هـ تجمع البلدين لمدة خمس سنوات نصت في بنودها: على الموافقة على إطلاق الأسرى وتحدد أخذ العشر كضريبة"[3] ومن خلال إبرام هذا العقد مدى صلابة السلطان الزياني وثباته على موقفه حين لا يكون مهددا في الداخل او من جيرانه الحفصيين والمرينيين، فالفتن الداخلية ومطامع جيرانه كانت سببا في إضعاف الدولة الزيانية[4].

3- دور اليهود في السفارات بين دول المغرب الإسلامي والنصارى.

عرف اليهود في المغرب الإسلامي بنشاطهم الاقتصادي خاصة في دولة بني مرين[5]، حيث كانوا في حاجة ماسة إلى العناصر اليهودية لتوظيفها في عدد من القطاعات التي كانوا يرغبون في تنشيطها وإعطائها المزيد من الحيوية والقوة؛ مثل صناعة الأسلحة والمعادن النفيسة وضرب السكة وغيرها[6]، "الأمر الذي أكسبهم قوة مالية جعلتهم أصحاب نفوذ كان لها أثر واضح في المجال السياسي، هذا النفوذ الذي فتح لهم المجال لاعتلاء مناصب عالية في بلاد الدولة المرينية عكس الدولة الحفصية والدولة الزيانية التي لم يسمح لهم حكامها من الوصول إلى وظائف إدارية، باستثناء نشاطهم في

---

[1] أحمد عزاوي، ج1، ص 93-94.

المرجع نفسه، ص 93-94.[2]

المرجع نفسه، ص96.[3]

[4] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 123-124.

[5] تفوق اليهود في مجال التجارة العامة على سكان المغرب والأندلس، حيث كانت تتوفر لديهم رؤوس الأموال ، وكانت لهم عدة مبادلات تجارية بينهم وبين النصاري، وبخاصة في تجارة العبيد، التي كانت من التجارات المزدهرة في ذلك الوقت في عدد من البلدان في الشرق والغرب. بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9هـ/13-15م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص233-234./علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب في العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، العدد57-58، السنة السابعة عشر، دمشق، 1996، ص 186.

[6]استيتيتو عبد الله، "اليهود في المغرب قراءة سوسيو- تاريخية في المورفولوجيا الاجتماعية منطقة الريصاني نموذجا"، مجلة فكر ونقد، العدد. 77، 2006 ، ص 79-92.

العلاقات الدبلوماسية"[1]، ولأن المغرب الإسلامي خاصة مع سقوط الثغور الأندلسية استقبل مختلف الأجناس والطبقات فقد كان اليهود من "المهاجرين الذين يتقنون اللغة العربية واللغات الأوروبية، لذلك استعان بهم ملوك الأندلس وسلاطين المغرب الإسلامي على السواء، واعتمدوا عليهم ووظفوهم أيضا كمترجمين لإبرام اتفاقيات تجارية أو معاهدات صلح ففي عام 690هـ/1291م، أرسل السلطان أبو زيد عثمان بن يغمراسن، اليهودي ابراهام بن جلال سفيرا على ممكلة أرغون جاك الثاني "JacquesII"، من أجل تجديد معاهدة سابقة أبرمت عام686هـ/ 1286م بين المملكتين"[2]، والتي نصت هذه المعاهدة على تقسيم بلاد المغرب إلى مناطق نفوذ[3].

كما استعملهم الملوك النصارى كسفراء لهم، فألفونسو الثالث وجاقمو الثاني استعملا اليهود أبراهم وساموال بن غلال وبندافي أعوانا مفاوضين بالمغرب الأقصى وتلمسان وغرناطة،[4] واعتمد السلطان أبو سعيد المريني على اليهودي شمعون البرانسي كسفير، وكان لهذا اليهودي تأثير ونفوذ قوي على السلطان[5]، ومارس اليهود الفكاكة أيضا[6]، حيث تمكنوا من إطلاق سراح أسيرا قطلانيا أفتدي

[1] فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق، ص 260./ شحاتة ريّه عطا علي، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 1999، ص56-57.

[2] فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق، ص260.

[3] سمية نميش ، دور أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين 7-10هـ/13-16م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان -الجزائر، 2013-2014، ص83.

[4] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 27.

[5] فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق، ص261.

[6] الفكاكة: "إن الفكاك غالبا ما يكون تاجرا وصاحب علاقات يستعد أيضا للسهر على افتداء الأسرى خلال رحلاته التجارية حيث كان يعقد العقود مع المالكين الأحرار لأجل افتداء أسرى معينين من البلاد المسيحية مقابل مبلغ مالي محدد إن عقود الافتداء كانت كثيرا ما ترد بحيث أن المؤلفين الأندلسيين كانوا يلحقون بكتبهم في باب الوثائق نموذجا من تلك العقود، إن المفتدي يحتفظ بحقه في المبلغ المالي المتفق عليه حتى وإن لاذ المفتدى بالفرار .ويجوز له أن يثبت هذا الأمر بواسطة شهادات المفتدين الآخرين من الأسرى المسلمين .ومن المبطلات يذكر المؤلف المادة الإضافية التي كان يتفق عليها من زيادة مبلغ مالي على المكافأة فيما بعد قصد تغطية التكاليف الإضافية التي قد تنجم عن السفر كتأدية المكوس التي يفرضها الروم مثلا . ومما هو باطل أيضا المادة التي تنص على أن الفكاك يتفق مع وكيل الأسير على أن يتحمل مسؤولية عودة الأسير إلى موطنه، رغم أنه مسؤول عن تحريره فقط وليس على عودته الفعلية كذلك. ومما يعتبره المؤلف أيضا باطلا العادة التي جرى بها العمل على اعتبار مبلغ الافتداء ممكن الرجوع فيه" . كونينكسفلد فان،" الأسرى المسلمون في أوروبا الغربية خلال القرون الوسطى المتأخرة"، مجلة دفاتر الشمال، العدد الخامس، 2002، ص19-32

من السلطان الزفياني أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بمبلغ يتراوح مابين أربعمائة وخمسمائة دينار[1].

نستنتج من خلال ما سبق أن الطرف الأرغوني اعتبر كأكبر متعامل مع دول المغرب الإسلامي، حيث حرصوا على ضرورة توطيد علاقتهم الودية في الحوض الغربي للمتوسط خوفا على مصالحهم التجارية في المنطقة، وهو ما تجسد من خلال اهتمامها في إرسال السفارات التي بينت في كل مرة التأكيد على مسألة التجار وحمايتهم، كما أولت اهتمام كبيرا بمسألة افتداء الأسرى من كلا الطرفين .

وفي ختام هذا الفصل يتضح أن العلاقات التجارية والسياسية بين دول المغرب الاسلامي، والعالم النصراني والجمهوريات الايطالية هي استمرارية لما كانت عليه في العهد الموحدي، والتي عرفت تأرجح في طبيعة العلاقات خلال القرنين السابع والثامن الهجري، بفعل الظروف السياسية و الاقتصادية في منطقة الحوض الغربي المتوسط .

[1] إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 117.


الخاتمة

بعد إنهاء البحث خلصت إلى مجموعة من النتائج كانت في عمومها إجابة عن الإشكالية المطروحة في البداية، ومن أهمها:

تعتبر الدبلوماسية المغربية استمرار لما كان في مرحلة الدولة الموحدية، فبعد سقوطها وانقسام المغرب الإسلامي إلى دول، حرص سلاطين دول المغرب الإسلامي على الحفاظ على تلك العلاقات التي كانت منذ زمن الموحدين، من أجل بسط النفوذ والسيطرة في الحوض الغربي للمتوسط.

إن سلاطين دول المغرب الإسلامي أولوا أهمية كبيرة لاختيار السفراء الأكفاء لتولي السفارة، لذلك قاموا بوضع نظام دبلوماسي يتم العمل به في علاقاتهم مع الدول المجاورة لها ليحفظ حقوق الأطراف أثناء عقد المعاهدة، لهذا فرضت مجموعة من المواصفات والشروط لتوليها، حيث عينت مع وفد السفارة علاوة على السفير، والشهود والقضاة والمترجم، حتى تتم مهمة السفارة بنجاح، وشكل الاحتفال بقدوم السفارة من أهم مظاهر احترام العلاقات، فما أن تصل السفارة يقومون باستقبالها أحسن استقبال و يزين مجلس السلطان بأفخم الزينة، بعدها يتبادل الطرفان الرسائل، وعند رحيل السفارة تحمل بمختلف الهدايا التي ترسل إلى ملوك الدول والسلاطين متضمنة أحسن ما توصلت إليه بلاده من صناعات وأفضل الحيوانات كالخيول.

بانهيار الدولة الموحدية سعت جميع دول المغرب الإسلامي من أجل وراثة الموحدين، فدخلت فيما بينها في صراع شديد ميزها كثرة الحروب خاصة بين الطرفين الزياني والمريني وبدرجة أقل الحفصيين، وفي خضم تلك الحروب كان لزاما في كل مرة إنهاء تلك الحروب بطريقة سلمية تضمن حقوق الطرفين، فاتجهت إلى العمل الدبلوماسي بإرسال السفراء للتفاوض بدلا عنها وعقد المعاهدات، كما اتخذ السلاطين السفراء في فترات السلم، للتعبير عن الود ورغبة في استمرار العلاقات وكلفتهم بحمل الهدايا المتنوعة، برز أيضا الدور الكبير لجهود العلماء والفقهاء في السفارة في الحرب والسلم، وكذلك في عقد المصاهرات، وهو ما يفسر الثقة والأمانة التي تمتعوا بها، وكفاءتهم في الجانب الدبلوماسي، وقد عكست هذه السفارات التواصل الاقتصادي والثقافي

والمعرفي، من خلال تبادل المؤلفات وحلقات العلم التي كان يعقدها العلماء فساهم ذلك في تنشيط الحركة العلمية بين عواصم تلك الدول: فاس وتلمسان وتونس.

السفارات المتبادلة بين دول المغرب الإسلامي وغيرها من الدول، أكدت على العلاقات الوطيدة وهو ما تبرزه ألقاب التفخيم التي تتضمنها الرسائل، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن سلاطين المغرب الإسلامي استعملوا المراسلات السرية في رسائلهم.

أعطى سلاطين المغرب الإسلامي عناية خاصة لمملكة بني الأحمر من أجل حماية آخر معاقل المسلمين، ولم تتوان في دعمها بإرسال المؤونة والإمدادات العسكرية، واعتبرت الدولة المرينية أكثر من ساعدها بحكم القرب الجغرافي، وقد أخّر ذلك من سقوطها وساعدها في استرجاع بعض الأقاليم، وعدد رسائل النجدة التي دونها لسان الدين بن الخطيب وغيره التي وجدناها بين المصادر لخير دليل على ذلك، وقد امتد تأثير هذه العلاقات إلى الجانب الاقتصادي فيما يخص المبادلات التجارية من جهة، ومن جهة أخرى أثر التواجد الأندلسي على الجانب الثقافي وتبادل العلوم وكذلك الجانب العمراني، هذه العلاقات الطيبة جعلت من بلاد المغرب الإسلامي المنفذ الوحيد الذي وجهت إليه الأنظار عقب سقوط ثغور بني الأحمر الواحد تلوى الآخر، الذين تم استقبالهم بحفاوة في مدن الدول المغرب الإسلامي خاصة أن الكثير منهم كان من أصحاب الحرف والمهن، أما العلماء منهم فقربهم السلاطين في بلاطاتهم ومنحوهم مناصب عليا في الدولة، فتولى البعض منهم القضاء والكتابة.

شكلت موانئ المغرب الإسلامي مركز التقاء وعبور بينها وبين دول الحوض الغربي للمتوسط، مما جعل الأوروبيين يتنافسون في عقد المعاهدات من أجل السيطرة على الحركة التجارية والأسواق في الحوض الغربي للمتوسط، وكانت أهم المنتجات التي تصدر إلى النصارى تتمثل في الجلود والصوف والكتان والزيت والتمر .

وما ميز علاقات دول المغرب الإسلامي مع الممالك النصرانية بأنها كان يشوبها بعض التوتر، بسبب أعمال القرصنة في الحوض الغربي للمتوسط من الجانبين، لذلك يلاحظ تباين في نشاط السفارات بين مدة وأخرى وانقطاعها في أحايين أخرى، وقد حرصت هذه الممالك على تحسين علاقاتها عقب كل قرصنة، لذلك في كل مرة ترسل سفرائها لتجديد الصلح خوفا من تضرر تجارتها، وحتى تنجح في عقد الصلح كانت تعين على وفد السفارة كبار قادتها و قساوستها.

نصت أغلب المعاهدات التي أبرمها النصارى مع سلاطين المغرب الإسلامي، على ضرورة ضمان الحماية والرعاية للتجار خوفا على تعرضهم للقرصنة، كما ركزت المعاهدات التجارية على ضرورة توفر مؤسسات فندقية، وتأتي مسألة افتداء الأسرى من بين الأسباب التي وجهت السفارات من أجلها بين الطرفين، وكذلك الاتفاق على الضرائب على التجارة، وقد أتاحت المعاهدات تسهيلات مما أدى إلى ازدهار التبادل التجاري بينهم.

حظيت الجمهوريات الإيطالية كأكبر متعامل دبلوماسي وتجاري مع دول المغرب الإسلامي خاصة مع الحفصيين، التي جمعها معها نشاط كبير وتوافد لعدد من السفراء لعقد المعاهدات، في حين أن العلاقات تختلف مع الممالك النصرانية بسبب الصراع المحتدم من أجل السيطرة على غرناطة ودخولها في حروب مع سلاطين دول المغرب الإسلامي.

كما أدت رحلة ركب الحج دورا دبلوماسيا مهما بين سلاطين دول المغرب الإسلامي والمشرق ، فعلاوة على أنها ذات طابع ديني إلا أنها كلفت بمهام دبلوماسية، لذلك كانت تبالغ في إرسال الهدايا، أما من الناحية الدينية فقد أولى السلاطين عناية خاصة لركب الحجاج الذي كان يجهز، وتبعث معه سفارة تكلف للتوصية بالحجاج والتي كانت تحمل في الغالب بمختلف الهدايا والمصاحف بخط يد السلاطين، وساهم اتصال ركب الحج مساهمة فعالة في النشاط الحركة العلمية باعتبار أن السفراء كان منهم العلماء الذين كانوا ينتهزون الفرصة لترأس حلقات العلم، وكذلك في نقل العلوم والكتب، والبعض منهم اختار الإقامة، وتولي مناصب مهمة في دولة المماليك، أما بلاد السودان الغربي فكانت دول المغرب الإسلامي همزة وصل بينه وبين وأوربا، ومن جهة أخرى كانت

تجارة القوافل تنقل الذهب والعبيد التي كانت توجه منها عبر موانئ المغرب الإسلامي إلى باقي الدول، مما ساهم مساهمة فعالة في الاقتصاد وهو ما دفع سلاطين دول المغرب الإسلامي إلى إقامة علاقات جيدة مع السودان الغربي، لتقوية الصلات التجارية بينهما، وحتى تستمر المودة بينهما كانت تتبادل معها مختلف الهدايا.

وفي الأخير يمكن القول أن دبلوماسية دول المغرب الإسلامي استطاعت مواكبة مجريات التطورات السياسية التي ارتبطت خاصة بالجانب الاقتصادي، وتمكنت من بسط نفوذها بفعل نظامها الذي استطاعت من خلاله تنظيم العملية التجارية وعلاقاتها السياسية رغم كل القوى البحرية المتنافسة في الحوض الغربي المتوسط.

الملاحق

1- رسالة من أبي بكر أمير بجاية إلى خايم الثاني ملك أرغون عام 715هـ/1316م.

2- نص رسالة أبي بكر مترجم الى اللغة العربية.

3- رسالة من أبي حمو موسى الأول إلى ملك أرغون عام 723هـ/1323م.

4- رسالة السلطان أبو الحسن المريني إلى ملك ميورقة.

ملحق رقم 01:رسالة من أبي بكر أمير بجاية إلى خايم الثاني ملك أرغون عام 715هـ/1316م[1]


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والشكر لله

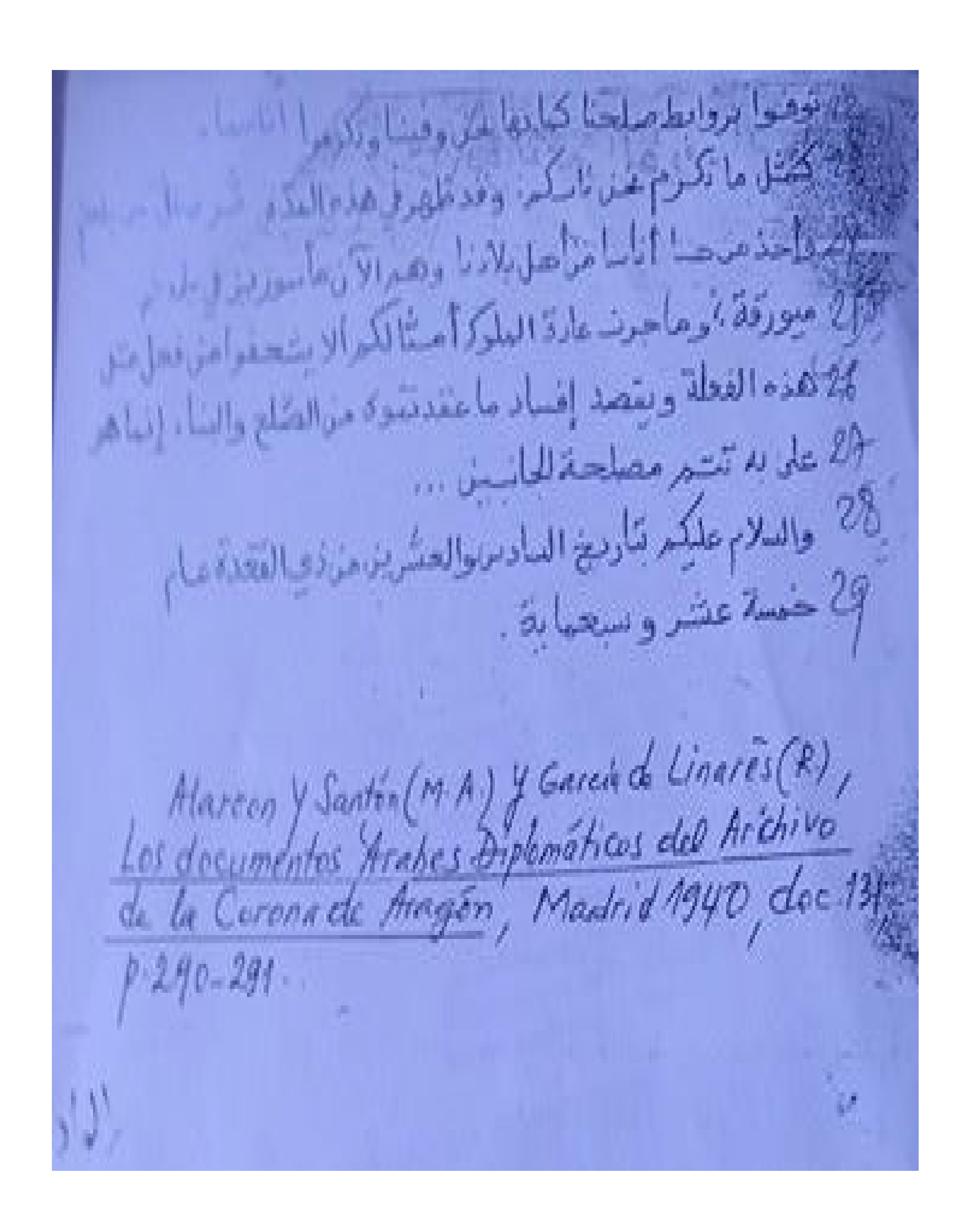
[1] Alarcon y santon, los documentos arabes Diplomaticos del archivo de la corona de Aracon,Madrid,1940,doc 131(من موقع بلد الوليد الالكتروني)

ملحق رقم2: نص رسالة ابي بكر مترجم الى اللغة العربية[1]

رسالة من أبي بكر أمير بجاية (١٣٠٩/٧٠٩ - ١٣١٢/٧١٢) إلى
إلى خايم II ملك أرغون، بتاريخ 26 ذي القعدة 21/715 فبراير 1316

من عبد الله الأمير أبي بكر ابن الأمير أبي زكريا ... إلى السلطان ... خايم سلطان أرغون وبلنسية وسردانية وقرصقة وقنت دبرشلونة وأمير البحر وصاحب علام البابة ... أما بعد ... فإنا كتبناه إليكم ... من حضرتنا بقسنطينة ... فإنه وصلنا كتابكم الموقر وأشرتم في كتبكم لطلب المال المنفق في أجفانكم التي أخذت أجفان موسى ابن عثمان. وهذه القضية لم يكن بيننا وبينكم فيها ربط ولم يقع علينا في ذلك شرط حسبما وقع الحديث مع رسولكم الأول. والأمر إنما كان لمّا سمع أن أجفان موسى بن عثمان المذكور في البحر وقع الكتب منا إليكم بالتعريف بذا ووددنا لما بيننا وبينكم من الصلح المؤسسة قواعده (*) المحمودة مصادره وموارده أن تكون الأجفان المذكورة لكم غنيمة وطعمة، وبهذا أيضا كان كتب لصاحب ميورقة. ولو كان بيننا وبينه في القضية المذكورة ربط مربوط أو شرط مشروط لكانت التوفية لكم أيضا مثله ... فأما ان اتفق أخذكم الأجفان المذكورة سررنا بذلك عملا على ما بيننا من الاتحاد المرضي ... وكتبنا عندكم وكتبكم عندنا لم يكن فيهما شيء أشرتم إليه ... والصلح بيننا لم يزل ثابت العقد ... حكمه لازم والعمل بموجبه قائم. ونحن الآن نطالبكم بما أخذته أجفانكم من تجار أهل بلادنا في هذه الجهات وغيرها، وكان ذلك بعد انعقاد صلحنا المشار إليه، وهم الآن ببلادكم، ومن شروط الوفاء بالصلح الذي بيننا وبينكم استرجاع التجار المذكورين إلينا بجميع مالهم والإسراع بهم جريا على الحكم الذي بيننا والشرط الذي اشترطنا... وأما الأسرى الثلاثة المسلمين الذين طلبتم أن تعطى أثمانهم لأربابهم النصارى فهذا شيء لم تجر به عادة ولكنه لما وصلنا كتابكم في ذلك لم يسعنا إلا أن نقضي حاجتكم فيهم، وعرضنا منكم الآن أن

[1] النص مأخوذ بالترجمة بالعربية من طرف الدكتور صالح بعيزيق.



توفوا بروابط صلحنا كما نحن وفينا وذكرهم
كمثل ما نكرم نحن ناسكم. وقد ظهر في هذه المدة
واخذ من حد أناسا من أهل بلادنا وهم الآن ماسورين في بلد
ميورقة، وما جرت عادة الملوك أمثالكم الا يتحففوا من فعل مثل
هذه الفعلة ويقصد إفساد ما عقدتموه من الصلح والبناء إياه
على به تتم مصلحة الجانبين ...
والسلام عليكم بتاريخ السادس والعشرين من ذي القعدة عام
خمسة عشر وسبعماية.

Alarcon y Santón (M.A.) y García de Linares (R), Los documentos Arabes Diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón, Madrid 1940, doc 134, p.290-291.

ملحق رقم 03:رسالة من أبي حمو موسى الأول إلى ملك أرغون عام 723هـ/1323م[1]

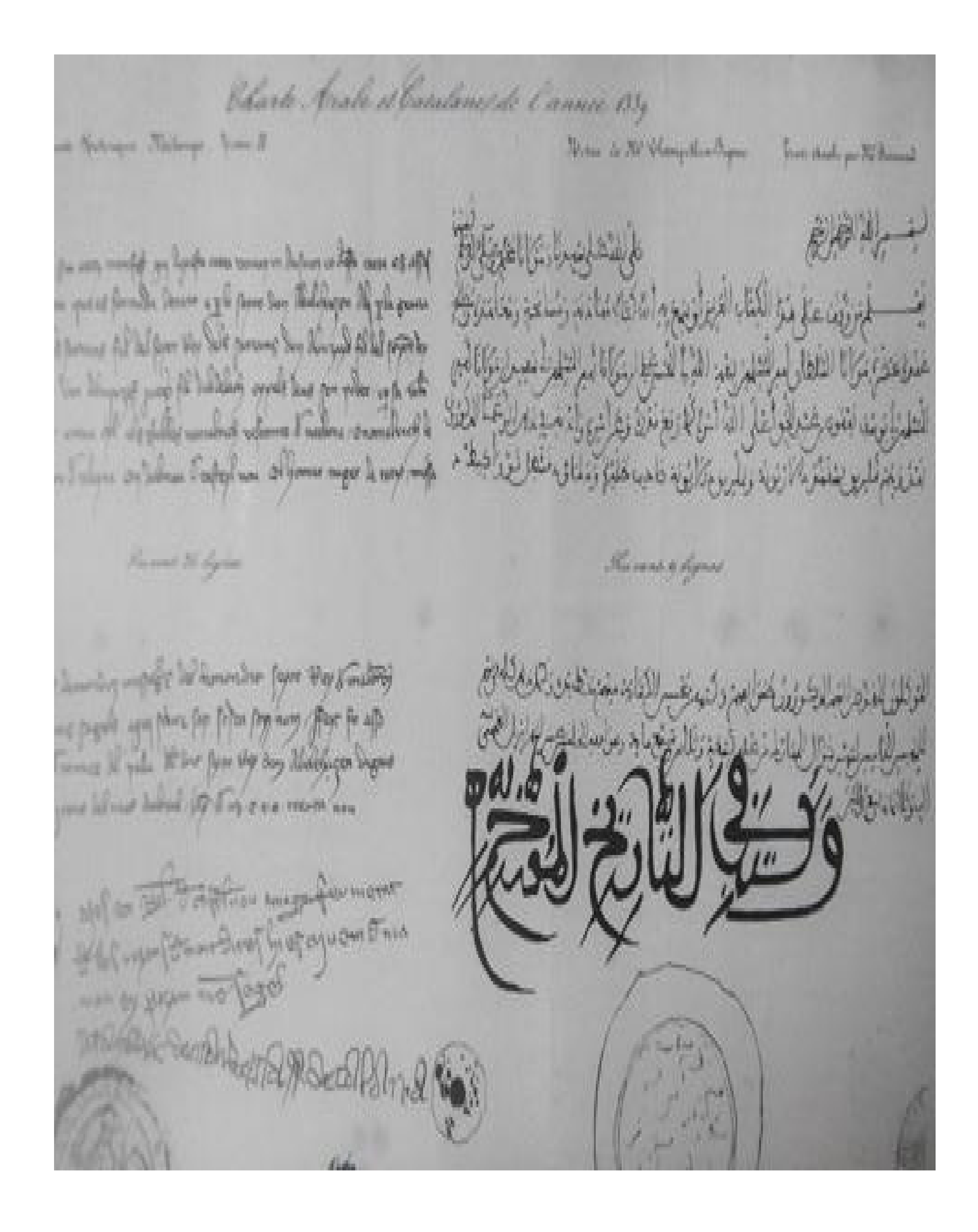
[1] Dhina atalah , Ipid, p504.

...a de Hilāl ibn 'Abd Allāh de Tremecén a Jaime de Aragón, en la que accede a ...erle los veinticuatro cautivos cristianos de D. Juan Manuel, y otros más que tiene, ...dición de que haga un tratado de paz con Tremecén; también le ofrece prestarle ...ero con garantías.

1 de *safar* de 723 = 9 de febrero de 1323

السلطان الاجل الاعز الاكرم الافضل الاحب الاخلص الاكمل دون جايمه سلطان ارغون اكرمه
بتقواه ووفقه لما يحبه ويرضاه محبه ومعظمه الشاكر فضله على الدوام لد عبد المقام العلي خلد
هلال بن عبد الله سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد حمد الله حق حمده
الدائمة على سيدنا ومولانا محمد الكريم وتسديد وعلى آله وصحبه الكرام الخلفاء من بعده فانه [كتبنا]
من باب مولانا ايده الله بحضرة تلمسان حرسها الله تعالى ولا ... الا الخير واليسر والحمد لله وموجبه
اعلامكم بوصول كتابكم وعلمنا ما ذكرتم فيه وانتم تطلبون منا اربعة وعشرين نصرانيا ماشي جوان
ونحب نعرفكم انكم اذا اردتم صلح مولانا ايده الله فنحب نعطوكم الاربعة وعشرين نصرانيا الذين
ماشي جوان منول ونعطوكم ايضا زيادة عليهم ثلاثين نصرانيا من بلادكم من الذي نعطوكم نحب
دون ان تعطونا لنا انتم احدا فان انتم وافقتم على ما ذكرناه لكم فنعملوه لكم ونعمل الصلح بيننا
ان شاء الله واذا اردتم سلف ذهب فسلفوا لكم ما يتيسر لنا بعد ان تعطونا الضمان والرهان في
وان انتم لم تعملوا ما ذكرناه لكم ولم توافقوا عليه فما بيننا وبينكم كلام والله سبحانه الموفق
والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب في ١ صفر عام ١٢٣

ملحق رقم4:رسالة السلطان أبو الحسن المريني إلى ملك ميورقة[1]



[1] Henri Bresc et Yûsuf Râgib Le sultan mérinide Abû l-Hassan. ,ibid, p133.

الفهارس العامة

1–فهرس الآيات القرآنية.

2–فهرس الأحاديث النبوية.

3–فهرس الأماكن.

4–فهرس القبائل.

5–فهرس الأعلام.

الآية	رقمها	الصفحة
	البقرة	
(ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)	56	16
(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)	44	23
	الأعراف	
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	32	22
(يَابَنِيَ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)	31	22
	الأنفال	
(وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ	72	28

فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)

التوبة

(وإن أحد من المشركين استجارك 06 26

فأجره حتى يسمع كلام الله ثم

أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا

يعلمون)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا 119 23

اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين)

مريم

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) 85 15

سبأ

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً 28 22

لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون)

الجمعة

(هُو الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمُهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ وإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)	02	16

عبس

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)	.39-38	21 -13
(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرٍ)	16-15	14

الحديث	الإحالة	الصفحة
-" *إنَّكُم قَادِمُون على إخْوانِكُمْ فأصْلِحُوا رِحَالَكُم وأحْسِنوا لِباسَكُمْ حَتَّى تكُونُوا كأنَّكُم شَامة في النَّاسِ فَإن الله لا يَحِبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ"*	سنن أبي داود، المصدر السابق، ج6،ص187	22
-" *الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ: يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ* "	المصدر نفسه، ج6، ص168	22
-" *وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ"*	صحيح مسلم 726	15
- *لاَعَدْوى ولا طِيرة وخَيرها الفَأْلُ قيل يا رسُول الله، وما الفأل؟ قال: الكَلِمةُ الصَّالحة يَسْمَعُها أحدُكُم*	المصدر نفسه، 979	19
-" *مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ"* .	صحيح البخاري، ص740	27
-" *إذا أبردتم إلَيَّ بَرِيداً؛ فابعثُوه*	أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط،	21-20

حَسَنَ الوجهِ، حَسَنَ الاسمِ "	المصدر السابق،ج7، 367- 368	21

-أ-

آبلة: 80

أرغون:173

أنكاد:41

إشبيلية: 35

-ب-

بجاية: 39-43

برشلونة:151

بلنسية:88

البندقية: 154

بيزة: 153-186-187

-ت-

الترك:135

التركستان:135

تلمسان: 75

تونس:58

-ج-

جنوة: 151

-س-

سنغاي:136

السودان: 136

-ش-

شلف:43

-ص-

صقلية:183

-ط-

طريف: 62

-غ-

غانا:136

غرناطة: 75-76-80

-ف-

فاس: 42–45

فرنسا: 181

-ق-

قادس:89

قرطبة:89

قشتالة:87 -74-88

القيروان:46

-ك-

الكانم:176

-م-

مالي: 136

مراكش:43

مارسيليا:151

مرسية: 89-98

مليانة:46

مكة:127

ميورقة:180

-ن-

ندرومة:45

-هـ-

هنين:45

-و-

وجدة:45

واد تلاغ:51

-ب-

بنو الأحمر: 88-95-89-102

بنو غانية:37

بني مردينيش:88

-ت-

الترك:116

-ج -

الجراكسة:116

-م-

مغراوة:42

المماليك:116

-أ-

أبو أرلان:257

أبو البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي:78

أبو بكر بن زكريا: 73-215

أبو بكر بن الخطاب: 97

أبو تاشفين عبد الرحمن: 56 –68-80

أبو الحسن الروبرتير:45

أبو الحسن المريني: 56 –82-106-109-110

أبو حمو موسى الثاني: 56-57-58-59

61-63-64-79-92-94-132-

265-266

أبو دبوس: 50

أبو زكريا الحفصي: 66 –187-188-204

أبو زكريا اللحياني: 194-195

أبو زيان القاضي:79

أبو زيان محمد بن عبد القوي:203

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد:76

أبو سالم إبراهيم: 57 –58-61-63

أبو سالم البرجي:79.

أبو سعيد بن يعقوب المريني: 55

أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: 53 -92

أبو ضربة:-195-215

أبو إسحاق بن أبي زكريا: 66-67

أبو عبد الله البقوري:139

أبو إسحاق التنسي:83-164.

أبو العباس الحصار:106-129

أبو العباس الغماري: 83

أبو عبد الله السطي: 75-82

أبو عبد الله الشريف الحسني: 64-79

أبو عبد الله ابن عصيدة: 194 –207-223

أبو عبد الله المخلوع:106

أبو عبد الله المستنصر: 190-191-203

أبو عبد الله محمد النفزاوي:68-69

أبو عبد الله المقري: 77 –118-119

132-121

أبو عمران موسى: 80-82

أبو عنان:83- 107-108-110-111

112-113-114-115-116

117-120-196

أبو فارس عبد العزيز:200

أبو الفداء عماد الدين:149

أبو الفضل محمد بن أبي مدين:147

أبو القاسم بن رضوان:78

أبو القاسم محمد البرجي الغرناطي:151

أبو يعقوب المنصور: 43-46-47-48

أبو يعقوب يوسف المريني18-51-52-53-

54-72-102.

أبو محمد الحباك 31

أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص:186

ابن الأبّار أبو عبد الله: 124-128

ابن روجي:57

ابن مرزوق الخطيب:31-75-82.

أحمد بن أبي عمارة:70

أحمد البنزرتي:81

أدفونش الثالث259

ألمان شفرة:210

ألماريك دوناربون:243

أوبيزون أدالار:192

اونزمار بن عريف:60

إبراهيم بن أبي حاتم العزفي:74

إبراهيم بن الحاج:77

إبراهيم أبو نصر:69

-ب-

برنار دي فونس:212

برناندو بننكازا:214

بارنت فسكنتي:190-191

برتران دي موزراكا:206

بطرس باربا:196

بيار كابيونو داملفي:189

بيبرس البندقداري:136

بيدرو الأول:109

بيدرو بوسو:209-210.

بيدرو الثالث: 205-206

بيدرو دي باربا:246

بيدرو الرابع: 214-218-219-225

بيدرو غرانيغو:193

بيدرو الفارس:219

بيرنارد ديسبويغ:260

بيرنارد زابيلا:260

بيرنار بورتر:257

-ج-

جاقمة الأول: 257-258-264-269

جاقمة الثاني: 260-263-264

جاك أمبرياكو:205

جاك دابيانو:200

جاك فالاسو:200

جان أنيلو:197

جان بوكولول:213

جان فجيولي:195

جنتيل دي غريمالدي:199

جيوفاني ديلا نييلو:255

-خ-

خايمي الثاني: 208-210-211-212-213

224-223

-د-

داردنس دو باركة:212

دالماس دوكاسطيلنو:243

دونمى دبلامي:176

الدون نوينو دي لارا:104

دونيا ليونور:247

-ر-

ريني دلبانيو:195

ريمون دي فيلانوفا:208

ريموند سان ليساريو:259

-ز-

زياني سيبيتيانو:194

-س-

سانشو:211-212

سعد بن عبادة:87

سوط النساء:66

-ش-

شارل دانجو: 202-203-204 -206-254

شجرة الدر: 137

-ص-

صلاح الدين الأيوبي:46-47-48-49

صلاح الدين الصفدي الشافعي:150

الظاهر برقوق:152

-ع-

عامر بن إدريس بن عبد الحق:72

عبد الرحمن بن خلدون:153

عبد الرحمن البلوي:38.

عبد الرحمن بن محمد السجلماسي:164

عبد العزيز بن أبي الحسن:65

عبد الله بن محمد المسيلي:164

عبد الله بن منقذ:47-48

عبد المؤمن بن علي: 42 -185.

عريف بن يحي:74

عز الدين أيبك: 136

علي الكانية:265

عماد الدين أبو الفداء:150

عيسى بن مسعود الزواوري:163

-غ-

غارسيا بيريس دي مورا:211

غرسيس لشبين:233

غريغوار سالني:211

غليوم أولومار:212

غليوم دي تالمنكا:200

-ف-

فارس الدين أقطاي:136

فرانسيس كوستا:266

فرناند الرابع:-233-240

فرناندو ردريجيس:43

فريدريك الثاني: 189 -214–221-223

فريديريك ليكافيلو:198

الفونسو العاشر: 103 –234-244

الفونسو الحادي عشر: 109

الفونسو دوكزمان:238

الفونسو ريموندس:43

فيتو دي مالكنديني:200

فيليب الثالث:203

فيليب دالياتا:196

فليب جيولياني:190

فيليب لوهاردي:-203-237-244

-ق-

قزمان:233

قوالدو رينوكي:255

-ك-

كومزي دسكونت:186

كيّيلم:234

-ل-

لسان الدين بن الخطيب: 94-95-117

لوشيتو دي بونافي:199

لوران دي باغا:212

لويس التاسع: 136 -192

لبيار غارسيا:259

-م-

ماري جاطة: 174

مارين دي مولينو:193

مانسو مانسي:197

ميسو جيبو:205

محمد بن تومرت:42.

محمد بن عمر البريطل:64

محمد بن غانية:45

محمد بن طلحة الباتلشي:266

محمد بن قلاوون:138

محمد بن منصور الغماري:80

محمد بن يوسف بن نصر:87

المرتضي:72

محمد الفقيه: 102-104

منسا موسى:171-172

منصور قلاوون:138

منغوري دي كليرمونت:197

ميشلي:195

ميكاليتو ميكالي:195

-ن-

نجم الدين أيوب:136

نونيو دى لارا:44

-هـ-

هانري أبات دي تراباني:189

هجين جاك:265

هلال بن عبد الله:264

هولاكو:154

هيكيس دوطُوطُوز:243

-ي-

يحي بن خلدون: 71

يحي بن شعيب المقدمي: 83

يحي بن علي البطيوي:57

يحي بن ومازير:71

يغمراسن:50-51-52-53-66-67-

68-91-97-99.

يوسف الأول 108-109-110-

-115-114-113-112-111-

129-121-117-116

133-132-131

قائمة

المصادر و المراجع

-القرآن الكريم.

أولا- كتب الحديث الشريف

1-البخاري أبو عبد الله، (ت256ه/869م)، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، مكتبة عباد الرحمن، مصر،2011م.

2- ابن حجر العسقلاني(ت852ه/1449)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد، ومحمد الدين الخطيب، وقصي الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، 1986م.

3- أبو داود السجستاني، (ت 275ه/،888م) سنن أبي داود،حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م.

4- مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري(ت 26ه/875م)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

ثانيا-المصادر:

5-ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، (ت810ه/1408م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

6- (..............)، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، 2006م.

7- (..............)، أعلام المغرب والأندلس في القرن 8 – وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، د-ت، ط3، 1987م.

8- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، (من أهل القرن السادس هجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

9- ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي،(ت 930-1523م)، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، مصر، 1960م.

10-ابن أبي حجلة التلمساني(776هـ/1375م)، سكردان السلطان، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مصر، 2001م.

11- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي(ت728هـ / 1328 م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

12- (..............)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.

13- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي(ت 756هـ/1355م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار-المسماة رحلة ابن بطوطة-، تحقيق عبد الهادي التازي، دار مطبوعات الأكاديمية المغربية، المغرب، 1997م.

14- البدر العيني محمود بن أحمد(ت 855هـ/1451م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ارنست هانس، دار إحياء الكتب العربية، 1962م.

15- (..............)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، 2010م.

16- (..............)، السلطان برقوق من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق إيمان عمر شكري، مكتبة مديولي ، مصر، 2002م.

17-البكري أبو عبيد (ت 487هـ/ 1094م)، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

18- ابن تغري بردي أبو المحاسن (ت 874هـ/1470م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق إبراهيم طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972م.

19- (..............)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد الأمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1984م.

20- التنبكتي أبو العباس أحمد بن أحمد(ت 1032هـ/1624م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتعليق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا، ط1، 1989م.

21- التنسي أبو عبد الله بن عبد الجليل(899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011 م.

22-ابن جبير أبو الحسن(ت614هـ/1217م، رحلة ابن جبير ، دار صادر، بيروت، د-ت.

23- الجويني أبو المعالي،(478هـ/1085م)، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق مصطفى حلمي ومحمد فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1989م.

24- ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت1930م.

25- أبو حمو موسى الزياني(ت791هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء، الجزائر، 2012م.

26- الحميري أبو عبد الله بن عبد المنعم(توفي في أواخر القرن 9هـ/15م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتعليق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988.

27- ابن الخطيب لسان الدين،(ت 776هـ/1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1،1975م.

28- (..............)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،2009م.

29- (..............)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، تحقيق محمد كمال الشبانة و حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،د. ت.

30- (...............)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر من عن ذلك من شجون الكلام، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2003.

31- (..............)، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980م.

32- ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1405م)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن و ووضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

33-(..............)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

34- ابن خلدون أبو زكريا يحي(780هـ،1378م) بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

35- ابن خلكان شمس الدين(ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1949م.

36-ابن دقماق القاهري(ت809هـ/1407م)، نزهة تاريخ الإسلام، دراسة و تحقيق سليم طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م.

37- الذهبي شمس الدين(ت748هـ/1348م)، سير أعلام العلماء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996م.

38- ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1984م.

39- الزركشي أبو عبد الله(كان حيا حتى عام 894هـ/1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس،1966م.

40- الزمخشري أبو القاسم محمود(ت538هـ/1143م)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

41- الزهري أبو عبد الله (كان حيا سنة 546هـ/1151) كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د-ت.

42-السبكي تاج الدين(ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1964م.

43- السخاوي شمس الدين (ت....)الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد جمال القاسم، دار الجيل، بيروت، د.ت.

44- السعدي عبد الرحمن، (ت1066هـ/ 1655م)تاريخ السودان، وقف على طبعه هوداس، باريس، 1981م.

45-ابن سعيد المغربي أبو الحسن(ت685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

46- ابن سماك العاملي(كان حيا في الربع الأول من القرن التاسع الهجري/15م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م.

47- ابن الشماع أبو عبد الله،(ت876هـ/1459م)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

48- ابن صاحب الصلاة عبد الملك(ت594هـ/1198م)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م.

49- ابن الصباح، (توفي في أوائل القرن التاسع الهجري/15م)، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، رحلة المدجن الحاج عبد الله بن الصباح، تعليق محمد بن شريفة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2008م.

50- ابن الصغير،(كان حيا في القرن الثالث الهجري/9م) أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق بحاز إبراهيم ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

51- الطبراني أبو القاسم سليمان(ت 360هـ/918م)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995م.

52- الطرطوشي أبو بكر بن محمد(ت520هـ/1126م)، سراج الملوك، حققه محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، دار المصرية اللبنانية، مصر، 1999م.

53- ابن عبد البر النمري القرطبي، (ت463هـ/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، ط1، 2002م.

54- عبد الله الترجمان الأندلسي، (ت 832هـ/1428م)، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق محمد علي حماية، دار المعارف، مصر، ط2، 1992م.

55- عبد الواحد المراكشي(ت625هـ/1228م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.

56-ابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، د ت.

57- العمري ابن فضل الله(ت749هـ/1348م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.

58-ابن عميرة المخزومي أبو المطرف(ت733هـ/...) ، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2014م.

59- الغبريني أبو العباس(ت704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط2007،1م.

60- ابن فارس أحمد بن الحسن القزويني، (ت 395هـ/1004م)معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر لطباعة والنشر، السعودية،1979م.

61- ابن الفراء أبو الحسين بن أبي يعلى،(ت 458هـ/1165م)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط3، 1993م.

62- ابن فرحون القاضي إبراهيم بن نور الدين، (ت799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1966م

63- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.

64- أبو الفضل محيي الدين بن عبد الظاهر،(ت 692هـ/1292م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل راجعه محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، الجهورية العربية المتحدة، 1961م.

65- ابن القاضي المكناسي أحمد(1025هـ/1615م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974م.

66- ابن قتيبة الدينوري(ت 276هـ/889م)، أدب الكاتب، تحقيق محمد الفاضلي، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الجزائر، 2007م

67- القزويني أبو عبد الله زكريا،(ت682هـ/1283م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د-ت.

68-(............)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1980م.

69-(............)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق وتقديم، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982م.

70- ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وتحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، م1990.

71- القلقشندي أبو العباس أحمد(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

72-(............)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

73-(............)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق وتقديم، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، مصر، ط2، 1982م.

74- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني(ت810هـ/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الفارسية، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، م1968.

75- القيرواني ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم (ت 1110هـ/1698 م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المطبعة التونسية، المحمدية، تونس، ط1،1869م.

76- الماوردي أبو الحسن علي (ت450هـ/1058م)، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة علي بن محمد بن حبيب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979م.

77- (............)، نصيحة الملوك، تحقيق محمد خضير، مكتبة الفلاح، الكويت،ط1، 1983م.

78- مجهول، (من أهل القرن الثامن الهجري) زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م.

79- مجهول، (كان بقيد الحياة في نهاية القرن التاسع الهجري/15م)، جغرافية وتاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013م.

80-مجهول،(كان بقيد الحياة عام 712هـ/1312م)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عيد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005م.

81- مجهول(من أهل القرن السادس الهجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، د ت.

82- ابن مخلوف محمد بن محمد(**1360**هـ/**1940**م)، شجر النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1**، **2003**م.

83-ابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله(ت781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

84-ابن مريم المديوني المليتي(المتوفى بين عامي 1025-1028هـ/1616-1619م)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.

85- المقدسي أبو شامة(ت539هـ/999م) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002م.

86- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني(ت1014هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وعلق عليه مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، **2011**م.

87-المقريزي أبو العباس تقي الدين(845هـ/1441م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997م

88- (..............)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1972م

89- (..............)، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف ،مصر، 1895م.

90- (..............)،الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000م.

91-(..............)، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002م.

92- الملزوزي المكناسي بن عبد الواحد(ت697هـ/1297م)، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الطبعة الملكية، الرباط، 1963م.

93- ابن منظور أبو الفضل الأفريقي، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د–ت.

94- النباهي أبو الحسن، (توفي بعد عام 792هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م.

95- الكتاني محمد بن جعفر،(1345هـ/1927م)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن محمد الطيب الكتاني و محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004م.

96- الكفيف الزرهوني، ملعبة الكفيف، تحقيق وتعليق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987م.

97- النميري ابن الحاج (**768**هـ/**1367**م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد بن شقرون، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013م.

98- النووي محي الدين أبو زكريا(ت676هـ/1277م) ، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د–ت.

99- الهمذاني رشيد الدين، (ت 1318هـ/1318م)جامع التواريخ، دارسة وتحقيق، فؤاد عبد المعطي الصياد، كتب عربية، مصر، د–ت.

100- الوزان حسن، (المتوفى بعد 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

101–ابن واصل جمال الدين، (ت 697هـ/1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال ، حسنين محمد ربيع ، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 1957م.

102–ابن الوردي المعري الكندي، (ت 749هـ/1349م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط1، د–ت.

103- (..............)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهبية، مصر، 1868 م.

104- (............)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008م.

105- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت 914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981 م.

106-ياقوت الحموي(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م

رابعا- المراجع :

107- أبو الأجفان محمد بن الهادي، الإمام محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس،1988م.

108-أوسطاش دانيال، تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغرب، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 2011م.

109-باشا نجاة، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976م.

110- برنشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تعريب حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

111- بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع العاشر الهجريين، (13-16م)، منشورات وزراة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1،2011م.

112- بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي —دراسة اقتصادية واجتماعية-، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006م.

113- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية، دار المعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

114- بلوط عمر، فنادق مدينة تلمسان الزيانية-دراسة أثرية- مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م.

115- التازي عبد الهادي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، السعودية، 2005م.

116- (..........)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم-عهد بني مرين والواطسيين-1988 د-م، 1988م.

117-(...........)، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983م.

118- التهاوني محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف رفيق العجم، علي دحروج ترجمة عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1،1996م.

119- جبران محمد سعود، أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009م.

120- الجبري محمد عبد المتعال، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1989م.

121-الجعماطي عبد السلام، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، دار ابن حزم، الرباط، ط1، 2010م.

122- الجهيمي حمد محمد، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/19م، د-م، د-ت.

123- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

124- حجام محمد، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، رقم48،د-ت.

125- الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة92-897هـ/ 711-1492م)، دار القلم، بيروت، ط2، 1981م.

126- (...........)،التاريخ والفقه، أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1،2003م.

127- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، د.ت.

128- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987م.

129- (...........)،الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع ،ط3، 1987م.

130- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية –الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

131- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

132- حمادة محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية 64-697هـ/683-1492م، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، سوريا، د.ت.

133- خضير عباس قاسم ، المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،2009م

134- الدراجي بوزياني، نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

135- الزحيلي وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر، دمشق، 2011م.

136- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1969م.

137- زنبير محمد، المغرب في العصر الوسيط، الدولة –المدينة- الاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم24، مطبعة النجاح، الرباط، المغرب، ط1، 1999م.

138- سامية عامر، الصليبيون في شمال أفريقيا، حملة لويس التاسع على تونس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2002م.

139- سعيدان عمر، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن14م، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2011م.

140- الشاهري مزاحم علاوي، الحضارة الإسلامية في المغرب –العصر المريني-، مركز الكتاب الأكاديمي، المغرب، د-ت.

141- الشبانة محمد كمال، يوسف ابن الأحمر سلطان غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1998م.

142- الشكري أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية 1230-1430م، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1999م.

143- شحاتة رّية عطا علي محمد، اليهود في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، سوريا،ط1، 1999م

144-صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

145- صاري جيلالي، تلمسان الزيانية إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث ، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011م.

146- طقوش سهيل، تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1997م.

147- الطنطاوي علي ، أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية ، ط3، 1986م.

148- عاشور سعيد عبد الفتاح ، أوروبا العصور الوسطى-النظم والحضارة-، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959م.

149- عبد الرحمن محمد، الدبلوماسية الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، السعودية، 2006م.

150- عثمان بن جمعة ضميرية، السفارة والسفراء في الإسلام، د.ت.

151- عزاوي أحمد، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة الرباط، المغرب، 2011م.

152- عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت.

153-(..........)، العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.

154- الفتلاوي سهيل حسين، الدبلوماسية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م.

155- الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دار موفم ، الجزائر، **2007**م.

156-القبلي محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987.

157- ليفي بروفنسال، نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، مطبوعات لاروز، باريس، فرنسا، 1948م.

158- لويس أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفييق غربال، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د-ت.

159- مؤنس حسين، رحلة الأندلس حديث الفردوس المفقود، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1985م.

160- محمدي السيد عبد الفتاح هدى، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، ط1،2008م.

161- مرعي خلف الله ابتسام، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي(564هـ 936هـ/1130م.1529م) دار المعارف، مصر، 1985م.

162- الملاح بشار أكرم، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5-9هـ/11-15م، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م.

163- (............)، دور السفارات في التواصل الحضاري بين المرينيين ودولة مالي الإسلامية في القرن الثامن الهجري/14م،د-م، 2009م.

164-ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، دار عمار للنشر، الأردن، ط1، 1998م.

165- المنجد صلاح الدين، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، أمثارات بنيا وفرينك، إيران، د.ت

166- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000م.

167- (...........)، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، المغرب، 1953م.

168- المهدي ميغا هارون، إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي، للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، د-ت.

169- مهنا عبد الأمير ، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2010م.

170- موسى عز الدين عمر ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، د —ت.

171- الناصري أبو العباس، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

172-(..........)، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تحقيق جعفر بن أحمد الناصري، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2006م.

173- نخيل غونثاليث بالينثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، د-ت.

174- نشاط مصطفى، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، مطابع أفريقيا الشرق، المغرب، 2012م.

175- الكتاني مصطفى حسن، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، دار منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ت.

176- ك، ماد هو بانيكار: الوثنية والإسلام ،تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2، 1998م.

خامسا-المجلات العلمية:

177- باليتو لورا، جنوة وبلاد المغرب من 1222الى 1226، ترجمة مصطفى نشاط، مجلة أمل، العدد الخامس، السنة الثانية 1994م.

178-بلعربي خالد، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، غرداية، 2011م.

179- بوباية عبد القادر ،علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس، مجلة التراث العربي، العدد99-100، 2005م.

180- بوداود عبيد، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية، مجلة عصور، العدد 6و7، مخبر البحث التاريخي مصادر ومراجع، جامعة وهران، الجزائر، 2005م.

181- بولقطيب الحسين : المغرب والبحر خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، العدد41، 2011.

182- الجمال أحمد محمد إسماعيل ، تاريخ مدينة أودغست ودروها في حركة التجارة بين المغرب و أفريقيا جنوب الصحراء(السودان الغربي) ، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، القاهرة، العدد الثامن، 2008.

183- حاجيات عبد الحميد، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد الثاني، 2011م.

184-راكة عمر، العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالمماليك الإسبانية، مجلة كان التاريخية (الكترونية)، العدد الرابع عشر،2011م.

185-الرباصي مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى، مجلة الساتل، ليبيا، د-ت.

186- طويلب عبد الله، العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والحفصية، مجلة كان الالكترونية، السنة الخامسة، العدد18، 2012م.

187- بولقطيب الحسين، المغرب والبحر خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، العدد41، 2011م.

188- سامي سلطان سعد، الجاليات الايطالية التجارية في المغرب الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع عشر، مجلة سيرتا، الجزائر، د-ت.

189- سعيود إبراهيم، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة –القرصنة الايطالية نموذجا-، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد11، 2011م.

190- طواهرة فؤاد، المجتمع والاقتصاد خلال العصر الزياني(7-9/13-15م) ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد السادس عشر، 2014م.

191- العثمان إيمان عبد الرحمن، الفشتاليون في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث، المجلد السابع، العراق، 2003م.

192- علاوة عمار مرضي، أثر المغاربة في بلاد الشام خلال العصر المملوكي" القضاء إنموذجا"، مجلة ديالى، العدد السادس والخمسون، العراق، 2012م.

193- العلوي عبد العزيز، الرحلة العلمية من إمبراطورية مالي إلى فاس في العصر المريني، مجلة دعوة الحق، العدد350، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م.

194-(............)،علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني، أعمال ندوة التجارة وعلاقاتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1989م.

195- القادري إبراهيم بوتشيش، الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995م.

196- كونينكسفلد فان، الأسرى المسلمون في أوروبا الغربية خلال القرون الوسطى المتأخرة، مجلة دفاتر الشمال، العدد الخامس، 2002م.

197- مجموعة من المؤلفين، أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989م.

198- لمرالي علوي محمد : "الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الايطالية، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سلسلة الندوات رقم7، المحمدية، المغرب، د-ت

199- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب في العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، العدد57-58، السنة السابعة عشر، دمشق، 1996م.

200- عيسى عبد الله، أثر الإسلام على المجتمع الأفريقي خلال القرن 10هـ/16م مملكة سنغاي نموذجا، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون، 2015م.

201- وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة، العدد 27، الجزائر، 1975م.

202- يخلف حاج عبد القادر، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة عصور الجديدة. العدد الثاني، الجزائر، 2011م.

سادسا- الرسائل الجامعية:

203- الأعرجي مؤيد مال الله عزيز نضال، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م- دراسة سياسية حضارية- رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2004م.

204- بالأعرج عبد الرحمن ، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م.

205- بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر-دراسة تاريخية وثقافية(675-897هـ/1238-1492م)-،رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2012-2013م.

206- بوخاوش مريم، مواقف ابن خلدون التاريخية من دول المغرب الإسلامي من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2008-2009م.

207- بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010م.

208- بكوش فافة، أبو عبد الله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م.

209- بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9هـ/13-15م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

210- جميات أحمد، مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالیك المسيحية(635-897هـ/1238-1492م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011-2012م.

211- حداد مزوزية، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر-باتنة-الجزائر، 2012-2013م.

212- الخطيب أحمد غالب محمد علي، أحكام السفارة في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه في الفقه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005م.

- دريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الاسلامي مع جول جنوب غرب أوروبا في الفترة (ق 7-10هـ/13-16م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013-2014.

213- رزقي عبد الرحمن، النظم الإسلامية في الأندلس (316-422هـ/929-1031م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011م.

214- راكة عمر، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.**م.**

215- بن ساعو محمد، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن07-10هـ/13-15م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، الجزائر، 2013-2014م.

216- سعداني محمد، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر، 2015-2016م.

217- سهيل جمال، البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م، رسالة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011م.

218- طريفة حميد، ابن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، رسالة ماجستير غير منشورة في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، 2009-2010م.

219- عبدلي الأخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005م.

220- عبد الشكور نبيلة، إسهامات المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة(12/15م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

221- عنان عبد الرحمن، السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008-2009م.

222- عبد الله حسن عامر أحمد، دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالیك النصرانية في اسبانيا 668-869هـ/ 1269-1465، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2003م.

223- عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9و10هـ/15-16م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 200-2001م.

224- عواجي القهار عبده بن محمد ، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية 630-897هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 1998م.

225- علي عيسى هيام، الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2010م.

226- عيفة الحاج، علاقات المغرب الإسلامي بمصر خلال القرن الثامن الهجري(14م)، رسالة ماجستير غير منشورة، بوزريعة، جامعة الجزائر،2001-2002م.

227- غربي بغداد، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م.

228- بن قايد عمر، علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا واسبانيا)، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2010-2011م.

229- القرقوطي معمر الهادي، الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

230- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، غير منشورة جامعة تلمسان، 2005-2006م.

231- مكيوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول(633هـ - 1236م/ 737هـ -1337م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008م.

232- مبطي المسعودي جميلة، المظاهر الحضارية في عهد دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،2000م.

233- نميش سمية، دور أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين 7-10هـ/13-16م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان -الجزائر، 2013-2014م.

234- ولد خسال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ-922هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامع الجزائر، د-ت.

سابعا- الدراسات الأجنبية :

235-Blancard, Louis , ocuments inédits sur le commerce de Marseille au moyen-âge, édités intégralement ou analysés, 1885

236-Daouadi Belkace, Les Relations Commerciales Entre Le Royaume Abdelwadid DE Tlemcen (1) ET Les Villes DU Sud DE L'europe Occidentale À Partir du Milliu du XIII e Siécle Jusqu'au Mollieu DU XV Université Jean Moulin-Lyon III / CNRS BIBLID ,16, 2009

237-Dhina atalah, Let etat de l'Occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe S, ENAL-Alger 1984.

238-Jacques le Goff , saint Louis, impression maury imprimeur, 2014.

239- Jehel Georges, L' Italie et le Maghreb au moyen age, conflits et achanges du VII au XV siècle, paris 2001.

240- Henri Bresc et Yûsuf Râgib Le sultan mérinide Abû l-Hassan 'Alî et Jacques III de Majorque. Du traité de paix au pacte secret, Institut français d'archéologie orientale, Le Caire , 2011.

241 -Mas Latrie, Traités de paix et de commerce , les relations des chrétiens , Les arabes de L'afrique septentrionale, paris,1872.

ثامنا–المواقع الالكترونية:

242- مبخوت بودواية وهوراية بكاي، "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين 7–9 الهجريين"، مجلة الفسطاط الالكترونية.www.fustat.blogspot.com.

243– محمد عمراني زريفي، أهم المسالك البحرية على عهد بني مرين، موقع أنفاس نت . www.anfasse.org. تاريخ الزيارة 2016/0628

244–مجلة دعوة الحق دعوة الحق، العدد52، د–ت، موقع http://www.habous.gov.ma تاريخ زيارة الموقع 2016/80/23.

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشكر والتقدير

مقدمة..10-1

الفصل التمهيدي: مفهوم السفارة والسفير.

أولا:مفهوم السفارة لغة واصطلاحا..13

1-السفارة لغة...13

2-السفارة اصطلاحا..14

3-السفير...14

ثانيا:مفاهيم حول السفارة..14

1-الرسول لغة واصطلاحا...14

أ-الرسول لغة. 14

ب-الرسول اصطلاحا..14

2-الوفد...15

3-البعثة..15

4-ديوان البريد...16

5-ديوان الرسائل..17

ثالثا: طرق اختيار السفراء..19

1-الصفات الشكلية...19

أ-الاسم واللقب الحسن...19

ب-حسن الصورة...20

ج-النسب...21

د- حسن المظهر أو اللباس الحسن.. 21

2-الصفات الموضوعية..23

-أسباب أخلاقية...23

3-أسباب علمية..24

أ-الخطابة...24

ب-الفصاحة..25

ج-العلم بالنظم السياسية..25

رابعا:معاملة الرسل والسفراء..26

أ-عقد الأمان...26

ب-استقبال الرسل..26- 27

ج- أوراق الاعتماد(التذاكر)..28

خامسا:مراحل عقد المعاهدة من طرف السفير..28

1-المترجم.. 28

2- الشاهد.. 30

3-القاضي.. 30

الفصل الأول: السفارات بين دول المغرب الإسلامي.

أولا: السفارات قبيل القرن السابع الهجري/13م..35

1-الموحدون.. 35

2-السفارات في عهد عبد المؤمن بن علي(524هـ .558هـ/1130م .1163م).....36 -37

3-سفارة صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي(586هـ /1190م)...........38 -40

ثانيا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي..40

1-السفارات بين الدولتين الزيانية والمرينية..40

- طبيعة العلاقات الزيانية المرينية.. 40

2-السفارات بين الدولتين الزيانية والحفصية..................................... 54

- طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية...54

3-السفارات بين الدولتين المرينية والحفصية..................................... 60

ثالثا: دور العلماء والفقهاء في السفارة بين دول المغرب الإسلامي...........................64

1-علاقة العلماء بالسلطة..64

2-سفارات العلماء والفقهاء بين الدولتين الزيانية والمرينية.................................. 65

3-سفارات العلماء بين الدولتين الزيانية والمرينية أثناء الصلح................................67

4-سفارات العلماء بين الدولتين المرينية والحفصية.......................................69

أ-سفارات من أجل تجديد الصلح..69

ب- سفارات من أجل المصاهرة وتبادل الهدايا..71

ج- سفارات من أجل تبادل الهدايا والتعزية..71

5-أثر السفارة في توثيق العلاقات بين دول المغرب الإسلامي......................71-73

الفصل الثاني: السفارات بين دول المغرب الإسلامي وبني الأحمر.

أولا: السفارات بين الدولة الزيانية وبني الأحمر..75

1-السفارات بين الدولتين. 76

2-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي لدولة بني زيان وبني الأحمر.........80- 82

3-خصائص الرسائل الديوانية.. 83-85

ثالثا: السفارات بين الدولة المرينية وبني الأحمر..86

-أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين المرينية وبني الأحمر...............102

رابعا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة بني الأحمر......................................105

1 -أثر السفارات على الجانب الاقتصادي والثقافي للدولتين الحفصية وبني الأحمر...... 107-108

2–جدول يبين السفراء الذين ترددوا على بلاطات سلاطين المغرب الإسلامي وبني الأحمر...113 -109

الفصل الثالث: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والمماليك.

–أصل المماليك..116

أولا: السفارات بين الدولة المرينية والمماليك......................................117

–طبيعة العلاقات المرينية المملوكية...117

ثانيا: السفارات بين الدولة الحفصية ودولة المماليك.................................127

–العلاقات الحفصية المملوكية..127

ثالثا: السفارات بين الدولة الزيانية ودولة المماليك.................................129

–طبيعة العلاقات الزيانية المملوكية...129

رابعا: أثر السفارات على العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والمماليك..............135-132

خامسا: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والسودان الغربي..........................136

1–طبيعة العلاقات المرينية مع السودان الغربي................................ 137

2–أثر السفارات بين الدولتين على الحياة الثقافية.................................141

3–السفارات الحفصية مع بلاد السودان..143-142

4–السفارات الزيانية مع بلاد السودان...144

الفصل الرابع: السفارات بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني.

أولا: طبيعة العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والعالم النصراني....................................148

1– العلاقات بين الموحدين والعالم النصراني...151

2–السفارات بين الحفصيين والجمهوريات الايطالية...158-153

3–السفارات بين الحفصيين والممالك النصرانية.................................158- 163

– جدول يبين أسماء السفراء الذين توافدوا على الحفصيين والنصارى.......................167-163

ثانيا: ملاحظات واستنتاجات حول المعاهدات...168

1–الضرائب.. 169

2–حماية التجار... 169

3–توفير المؤسسات الفندقية...169

4–التفويض..171-170

ثالثا: السفارات بين المرينيين والممالك النصرانية......................................173-172

1–السفارات بين الدولة المرينية ومملكة أرغون....................................172

2–السفارات بين الدولة المرينية وقشتالة...180-174

3–السفارات بين الدولة المرينية وميورقة...180

4–السفارات المرينية مع فرنسا..180

رابعا: **السفارات المرينية مع الجمهوريات الايطالية**...181

1–سفارة صقلية عام 759هـ/1358م...183

2–جدول للسفراء الذين توافدوا بين الدولة المرينية والنصارى........................183 -189

خامسا:السفارات بين الدولة الزيانية والجمهوريات الايطالية........................ 190-192

سادسا–السفارات الزيانية مع الممالك النصرانية...................................192

1–السفارات مع مملكة أرغون...192 -194

2– السفارات مع قشتالة... 194-199

3–دور اليهود في السفارات بين دول المغرب الإسلامي والنصارى**...............** 199-201

خاتمة...203 -206

الملاحق..208 -212

الفهارس العامة...214 -237

قائمة المصادر والمراجع...239 -264

فهرس الموضوعات...266 -272

ملخص الأطروحة

يتناول موضوع الأطروحة السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (13 ـ 14م)، حيث شهد المغرب خلال هذه الفترة علاقات متباينة فيما بينها ، فضلا عن علاقاتها مع مختلف الدول، فكان تاريخها حافل بالأحداث التاريخية التي تراوحت بين الحرب والسلم، ومن أجل تحسين العلاقات تبادلات فيما بينها السفارات والتي تنوعت وتعددت أغراضها، لهذا قاموا بتعيين سفراء يكلفون من طرف الملوك لتبليغ رسائلهم، إذ اعتبر السفير حلقة الوصل بين الدول حيث يعبر عن رغبات الدولة ويطرح وجهة نظرها لتحقيق مصالحها، وتتمحور الإشكالية الرئيسية حول الدور الذي لعبته السفارات في تمتين الروابط وتعزيزها فيما بين دول المغرب الإسلامي وبين دول العالم الإسلامي والنصراني.

الكلمات المفتاحية: السفير، الفقهاء، الزيانيين، المرينيين، الحفصيين، العالم الإسلامي.

Abstract:

The thesis deals with the subject of embassies in the Islamic Maghreb during the seventh and eighth centuries AD (13 -14 m), where Morocco has witnessed during this period varying relations among the Islamic Maghreb countries, as well as its relations with various countries. All its history was full of historical events, which ranged between war and peace, and in order to improve relations between them, some exchanges between the embassies have occurred, which varied and its numerous purposes were multiplied, and this was by setting ambassadors assigned by the Kings to convey their messages, as it is the Ambassador who links between the countries where he expresses wishes of the state and put its point of view to achieve its interests, and the main dilemma revolves around the role played by the embassies in strengthening and reinforcing connections between the inter-Islamic Maghreb countries and between the countries of the Muslim world and the Christian.

Keywords : Ambassador, jurists, Zayanyen, Meridinide, Hafsids, the Islamic world.